كتابي

١٠ قروش



حلمي مراد

أفروديت

غانية الاسكندرية

وكتب أخرى



فلورا (للرسام « تيسيان » ، بمتحف « أوفيزى » بفلورنسا)



السفاحة (للرسام « سي. ألوري » ، بمتحف « بيتي » بفلورنسا)

كتابى

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية
يصدر أول كل شهر
صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار الكتاب

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب الثالث والثلاثون (السنة الثالثة) : ديسمبر ١٩٥٤
الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة :اقرأ التفصيلات بالداخل
الادارة : عمارة الجندول ـ ١٤ شارع ٢٣ يوليو ـ بالقاهرة
تليفون ٥٩٥٥٦ و ٦٥٦٠٨

عزيزى القارىء ..

أحب اليوم أن أتبادل واياك حديثا كالذى تعودنا أن نتبادله سـويا بين الحين والحين ، كلما بدا لك أن تطالبنى - مشكورا - برغبة من رغبـاتك أو أمنية تجيش فى نفسك وتتمنى أن يجيبك اليهـا « كتابى » اذا كانت فى متناوله ..

والحديث الذى أنا بصدده يتناول ما أبداه لى البعض من اعتراض على الصور « المكشوفة » - كذا ! - التى قالوا انها تنشر فى «كتابى» ضـمن اللوحات الثمانى التى يقدمها لك فى كل عدد مطبوعة على ورق سـميك مصقول ..

« كتابى » يشترى الاعداد الستة الاولى من القراء !

نظرا لالحاح الكثيرين من القراء فى طلب الاعداد الستة الأولى من « كتابى » ، ولتعذر اعادة طبعها فى الوقت الحاضر ، ولما كان لا يبعد ان يكون لدى البعض اكثر من نسخة من الاعـداد المذكـورة .. **فقد رأت ادارة «كتابى» أن تعلن عن استعدادها لشراء أى عدد من نسخ الاعداد الستة الأولى، تمهيدا لتمكين من تنقصه الاعداد المذكورة من اقتنائها بعد ذلك من الادارة . فالرجا الاتصال بالمجلة فى هذا الشأن، على أن يكون تسليم النسخ اليها حضوريا أو بالبريد المسجل .**

الاشتراك فى « كتابى »

◆ ترسل جميع الأعداد الى المشـتركين : فى مصر والسودان بالبريد المسجل ، وفى الخارج بالطائرة . وقيمة الاشتراك فى مصـر والسودان : عن سنة (١٢ عددا) : ١٢٠ قرشا ، وعن نصف سنة (٦ أعداد) ٦٥ قرشا - فى الخارج (العراق وسوريا ولبنان والحجاز والأردن الخ ..) ترسل القيمة بشيك أو بحوالة بريدية نقدية عن عن طريق مكاتب البريد MONEY ORDER وتحتسب القيمـة بمـا يوازى ١٣٠ قرشا (عن سنة) و ٧٠ قرشا (عن نصف سنة)

ورغم أن الذين أبدوا لى هذا الرأى لا يتجاوزون عدد أصابع اليد .. ورغم أن أصحاب الرأى العكسى الذين كتبوا الى يحبذون نشر هذه اللوحات الفنية بلا استثناء ، يفوقون الاولين فى العدد .. ورغم أننى أفترض أنه فى مقابل كل شخص يكتب الى انسان ، لينتقد شيئا لا يعجبه منه ، قد يوجد عشرة يعجبهم هذا الذى ينتقده سواهم ، ولكنهم لا يكتبون ـ فان الانتقـــاد ، بطبعه ، دافع على الكتابة أقوى من الاعجاب !

أقول ، اننى برغم هذه الاعتبارات كلها ، لا أحب أن أترك رغبة من قارىء قائمة فى ذهنه بغير ايضاح أو رد .. وقد كان فى امكانى أن أرد على أصحاب هذا الاعتراض بخطابات خاصة أحاول فيها اقناعهم بوجهة نظرى .. لولا اننى أردت أن أنتهز هذه الفرصة كى أطرح الموضوع على أكبر عـــدد ممكن من ((المحكمين)) ، آملا أن يصلنى منك أكبر عدد من ((الاصوات)) ـ أيا كان رأيك الشخصى الذى تراه ..

والسؤال الذى أستفتيك بشأنه ، وأريد جوابك عليه ، هو :

هل ترى فيما ينشره كتابى من صور للوحات أو تماثيل ((عارية)) ، من صنع فنانين عالميين ، معروضة فى أشهر متاحف العالم ، خروجا من الكتاب عن رسالته التى أخذ نفسه بهـــا منذ عدده الأول ، وهى العمل عـــلى نشر الثقافة العالمية بقدر ما يسعه من جهد ، ورفع مشعل الفكر الحر عاليـــا ، كيما يبدد ظلام الجهل والرجعية .. أم ترى ذلك داخـــلا فى صميم رسالة كتابى ، بل رسالة أية مجلة تحسن الظن بدرجة تذوق قرائها للفن الرفيـــع واعجابهم به ؟

أو ، فى قول آخر : هل ترى أن هناك فارقا بين نشر صورة تمثال لامرأة عارية ، من صنع ((رودان)) ، أو ((كانوفا)) .. أو صورة لوحة فنية من رسم ((تيسيان)) أو ((رنوار)) أو ((جويا)) أو ((بوتيتشيللى)) تمثل ((فينوس)) كما ولدتها أمها .. هل ترى فارقا بين نشر صورة كهذه ، وبين صورة ((سابحة فاتنة)) أو نجمة سينما مرتدية لباس البحر ؟.. أم ترى أن الامرين سواء ، يستحقان أن تمزق الصورة من المجلة التى تنشرها قبل أن تدخلها بيتك ـ كما قال لى قارىء يزعم أنه ((مثقف)) ، سامحه الله وعفا عنه !

وأخيرا ، هل ترى أن نشر الصور الفنية العالمية التى أعنيها ، والتى تمنح الحكومات اعانات لراسميها ، وتنفق أموالها على المعارض التى تعرضها ، وتشجع الناس على ارتيادها .. هل ترى أن نشر مثل هذه الصور من شأنه أن يهذب الذوق الفنى فى المرء ويسمو بمشاعره .. أم ـ على العكس ـ يثير الغرائز وينحط بالقيم الاخلاقية والمعنوية ؟

وفى انتظار سماع رأيك فى هـــذا الاستفتاء ، على أوسع نطاق ، أهديك أطيب تحية ..

حلمي مراد

كتابى

اعداد نفدت

كتابى الاول : ((خطايا الحب)) وكتب أخرى ، وكتابى الثانى : ((قلب عذراء)) وكتابى الثالث : ((الهاربة من الجنة)) وكتابى الرابع : ((حواء الجديدة)) وكتابى الخامس : ((احدب نوتردام)) وكتابى السادس : « جريمة حب » .

اعداد توجد نسخ منها بالادارة

كتابى السابع ((عشيقة نابليون)) ، والثامن ((مذكرات كيوبيد)) ، والتاسع ((صنم تحطم)) ، والعاشر ((حديقة الله)) ، والحادى عشر ((عندما تحقد المرأة)) ، والثانى عشر ((لعبة الحب والموت)) ، والثالث عشر ((توبة خاطئة)) ، والرابع عشر ((ايها الربيع ترفق)) ، والخامس عشر ((الشيطان على الأرض)) ، والسادس عشر ((ليدى هاملتون)) والسابع عشر ((الارملة المرحة)) والثامن عشر ((حياة جورج صاند)) ، والتاسع عشر ((حياة سارة برنار)) ، والعشرون ((رباعيات عمر الخيام)) ، والحادى والعشرون ((حياة بيتهوفن)) ، والثانى والعشرون ((حياة موسولينى)) ، والثالث والعشرون ((كوخ العم توم)) والرابع والعشرون ((الزوج والعشيق)) والخامس والعشرون ((البوهيمية)) ، والسادس والعشرون ((فتاة لها ماض)) والسابع والعشرون ((ترويض النمرة !)) والثامن والعشرون ((فن الحب)) ، والتاسع والعشرون ((الجريمة والعقاب)) والثلاثون ((المنافق)) (طرطوف) ، والحادى والثلاثون ((أميرة مصر)) والثانى والثلاثون ((الأمطار))

◆ **وتطلب** من ادارة كتابى: ١٤ شارع ٢٣يوليو بالقاهرة (عمارةالجندول)، وثمن كل عدد (من العدد ٧ الى ٢٤) ١٠ قروش خالص اجر البريد (المسجل ما عدا الاعداد ١٣ ، ١٦ ، وثمن كل منهما ١٢ قرشا ، والعدد العاشر والعدد العشرون وثمن كل منهما عشرون قرشا .. وابتداء من العدد ٢٥ ثمن كل نسخة بالبريد المسجل ١٢ قرشا

◆ **ملحوظة : ترسل القيمة فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بحوالة بريدية** نقدية عن طريق مكاتب البريد **MONEY ORDER** أو بشيك على أحد بنوك القاهرة ، ولا تقبل العملة الاجنبية أو أذونات البريد الخارجية . وتحرر الاذونات والشيكات باسم صاحب المجلة شخصيا .

مطبوعات كتابى

صدر منها حتى الآن :

١ ـ قصة مدينتين — **٢ ـ ذات الثوب الابيض**
٣ ـ الخالدون — **٤ ـ الخاطئة**

وثمن كل من الأول والرابع عشرون قرشا خالص اجر البريد المسجل (نظرا لوشك نفادهما) ، والثاني ١٢ قرشا ، والثالث ١٠ قروش



نافذة "كتابي" تطل على العالم :

رأيت وسمعت لك في أوربا

للمحرر

رومـــــــا !

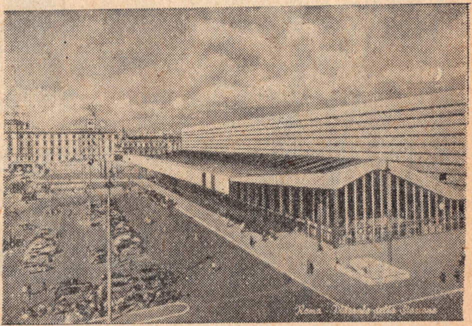
« أواه يا روما ٠٠ يا وطنى الثانى ٠٠ يا موطن الروح ! »

لورد بيرون

◆ **صدقوا** حين أطلقوا عليها « المدينة الخالدة » ٠٠ فهى ليست مدينة ٠٠ انها دنيا بأسرها ٠٠ انها متحف جميع العصور ، وموطن جميع الفنون ، ومحراب ذكريات لا حصر لها ٠٠ ذكريات تعلق بهـــا يوما ما مصير الجنس البشرى بأجمعه !

ورغم ان روما الحديثة لا تنقصها المعـــالم ذات الجاذبية الاخاذة ، فان الماضى هو الذى يجذب زائرها أكثر من الحاضر ٠٠ تجذبه « روما القديمة » ، التى ينتفض تاريخها العريق فيمثل أمام الخاطر فى كل خطوة يخطوها المرء بين معالمهـا التى لا حصر لها ٠٠ فان كل شبر من أرضها ، وكل ركن من أركانها ، يذكرك بحدث ضخم من أحداث التاريخ !٠٠

وحيثما اتجهت بك قـدماك في « المدينــــة الخــالدة » ، تصادف حطاما من آثار المـاضى التليـد : كومة من الآثار المهدمة هنـا ، وقوسا متداعيـا من أقـواس النصر هناك ، وعامودا منصـوبا ، أو



محطـــة روما من الخــارج : ثانى محطات العالم في الضخامة والجمال



محطة روما من الداخل : تحفة من البللور والرخام .. وأرض كالمرايا !

تمثالا مبتورا .. لكنك تحس وأنت تتأمل هذه الاحجار الباقيات ، أنها قد شهدت أعتى أحداث التاريخ الانسانى ، وأخطر أطوار الفكر البشرى .. وتخالج قلبك وعقلك وأنت تقف أمامها « رهبة » خاصة ، مبعثها تصورك للكفاح الشاق الذى خاضته الاجيال فى تاريخها الطويل ، والثمن الفادح الذى دفعته ، كى تظفر بالتقدم الذى أدركته ، والحرية الغالية التى نتنفس أنسامها ونعيش فيها الآن !

.. فبغير أن تنطق هذه الاحجار ، تحدثك عن الامبراطوريات التى قامت ، والامبراطوريات التى انهارت .. الامجاد التى كانت ، والامجاد التى زالت !.. بل انك لا تكاد تدير بصرك هنا أو توجه طرفك هناك ، الا وتقطع عليك وعيك آلاف الذكريات .. فلقد اجتمعت لروما ، وفى روما ، أعظم الاحداث فى تاريخ العالم .. وتاريخ الفن .. والدين .. والانسانية !

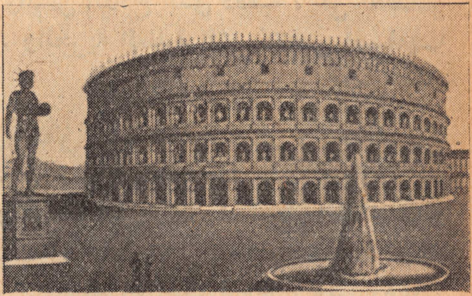
كنت والقطار الكهربائى الجبار ينهب بى الارض نهبا اليهـــا ـ قادما من جنوا ـ أطالع بعض ما قاله فيها زوارها من شعراء مختلف الجنسيات والاقطار : « شــيللى » الانجليـــزى الذى قال : « اذهب الى روما ، تجد فيهـــا جنـــة ومقبرة ، مدينـــة وصحراء ! » ٠٠ و « جيته » الالمانى ، الذى هتف فى « مراثيه » لها : « انك لعـــالم بأسره يا روما ، ولكن بغير حب لا تكون روما روما ، ولا يكون العالم عالما ! » ٠٠ ثم « لونجفيلو » الامريكى : « روما ! لكأنهـــا مركز « الجاذبية الارضية » ، الذى ينجذب اليه البشر من جميع الجهات !٠٠ انها لكل انسان بمثابة وطنه الثانى ! »

وأفقت من مطالعاتى وقد وقف بى القطار فى محطة روما ٠٠

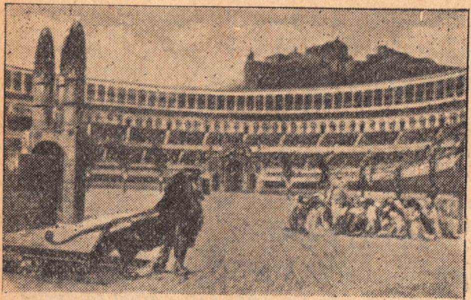


أحد تماثيل «فينوس» بالمتحف الاهـــلى الـــرومانى

◆ ومحطة روما آية من آيات الفن الحديث ، وهى ثانية محطة فى العالم ـ بعـــد محطـــة نيويورك ـ من حيث الضخامة والجمال والاناقة .. فـأنت تجد نفسك فيهـــا وسط « مدينـــة » من البللور والرخام والمرايا ، كل مافيها يلمع ويضىء ، حتى لقد ذكرتنى بالمدن الخرافية التى تنبأ بهـــا الـــكاتب الانجليزى «هـ ج. ويلز » فى قصصه



ملعب « الكوليسيوم » فى صورته الاصلية الكاملة ، وفى كل نافذة من نوافذه تمثال ، وفوق حائطه الأعلى مئات المشاعل المتجاورة التى يتصاعد منها اللهب ..



أسد يطلق من قفصه فى الطابق الذى تحت الأرض ليلتهم ضحاياه من الأسرى الذين تجمعوا فى مواجهته ينتظرون مصيرهم المحتوم !

عن « العالم فى المستقبل » !.. وقد تم تشييد المحطة وافتتحت منذ ثلاثة أعوام فقط ، ولكن يقال ان موسولينى هو الذى وضع تصميمها أيام حكمه، وان لم تتسع له الفرصة للبدء فى تنفيذه .. وقد أشرف على تنفيذ التصميم المهندسان المعماريان الشهيران « مازوانى » و « مونتورى »

وبالمحطة عدد لا حصر له من النوافذ التى يجلس خلفها موظفون لا عمل لهم غير الاجابة على استعلامات المسافرين .. وبها حوانيت بللورية أنيقة لبيع الزهور والفواكه والسجاير والصحف والكتب والحلوى والمأكولات والمشروبات، وكل ما يخطر على البال.. الى جانب المطاعم الفاخرة الفسيحة التى تقدم وجبات كاملة للمسافرين والعابرين .. وبالمحطة عدا أبوابها البللورية السميكة، أبواب أخرى - بل أسوار - حديدية تبرز من باطن الارض وترتفع تدريجيا الى أعلى بمجرد ضغط الموظف المختص - عند اللزوم - على زر كهربائى على مكتبه !

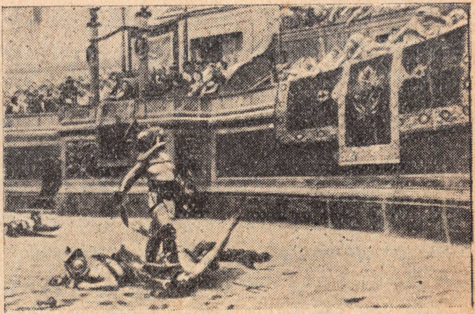
وأول مفارقة صارخة تلفت نظرك اذا خرجت من الباب الجانبى لهذه المحطة العصرية المتألقة ، انك تجد نفسك أمام سور أثرى شاهق من مخلفات الرومان ، شيده الملك سرفيوس قبل الميلاد بنحو ستة قرون ! .. والى جانبه أثر رومانى آخر هو حمامات «ديوكليتيان» التى شيدها هذا الامبراطور على مساحة ٤٤٠ ألف ياردة مربعة ، وتتسع لـ ٣٢٠٠ مستحم فى وقت واحد ! .. ويشغل جانبا كبيرا من هذه الحمامات الآن « المتحف الاهلى الرومانى » ، الذى يضم مجموعة كبيرة من التحف والتماثيل يمثل بعضها الالهة « فينوس » و « منيرفا » و « أبوللو » .. الخ

وشوارع روما كثيرة الارتفاع والانحدار ، ولا عجب فقد شيدت المدينة فوق ١٢ تلا - وان سميت بالمدينة ذات « السبعة » تلال - وقد بدأ الملك « رومولوس » بتشييد الجزء الاول منها فوق تل واحد ، يوم ٢١ أبريل سنة ٧٥٣ قبل الميلاد ، ثم اتسعت رقعتها وشيدت أجزاء أخرى منها فوق بقية التلال ، حتى بلغت نطاقها الحالى ..

ومنذ انشائها تناوب حكمها سبعة ملوك (من سنة ٧٥٣ - ٥٠٩) .. ثم صارت جمهورية يحكمها قناصل (من سنة ٥٠٩ - ٢٩) .. ومنذ سنة ٢٩ قبل الميلاد غدت امبراطورية ، واستمرت كذلك حتى سنة ٤٧٦ م

الملعب الرهيب !

◆ **ومن** أهم معالم روما الأثرية التى يقصدها زائروها ، ملعب «الكولوسيوم» (COLOSSEUM) ، الذى كانت تقام فيه « حفلات » المصارعة المشهورة وتطلق فيه الوحوش على المسيحيين فى عهد نيرون .. وهو بناء دائرى ضخم يقع فى أحد الميادين وسط المدينة ، ويشغل مساحة ستة أفدنة انجليزية ، طول محيطه من الخارج نحو ٦٠٠ متر ، وقطره الخارجى ٢١٠ ، وارتفاعه ٦٥ ، وقطره الداخلى ٩٠ .. والفرق بين القطرين الخارجى والداخلى يشغله المدرج الدائرى الهائل الذى كان يحتشد فيه عشرات الألوف من أفراد الشعب وعلية القوم لمشاهدة تلك الحفلات ..



مصارع جرح خصمه وتطلع الى مقصورة « عذارى معبد فستا » يستطلع قرارهن فى شأن مصير المتهم ، فأشرن بسباباتهن الى أسفل ، علامة أنهن يحكمن على الجريح بالموت !

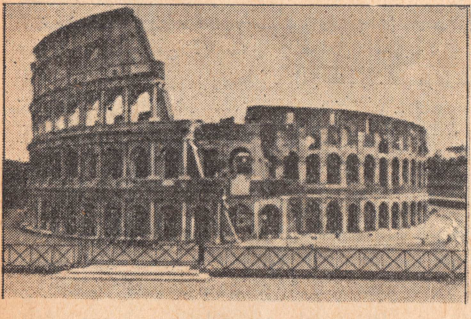
وللملعب ثمانون مدخلا ، منها أربعة رئيسية كانت مخصصة لدخول الامبراطور والمصارعين ، ثم لاخراج الموتى والجرحى من هؤلاء الى مكان تنزع فيه عن الاخيرين دروعهم الفولاذية ويجهز على من يوجد على قيد الحياة منهم !

وقد بدأ فى انشاء الملعب الامبراطور ((فسباسيان)) - فاتح أورشليم - فى سنة ٧٢ م ، فى المكان الذى كانت تشغله بحيرة قصر نيرون الذهبى ، وأطلق عليه اسم ((الملعب الفلافى)) نسبة الى لقب أسرته .. لكنه صار يعرف فيما بعد باسم ((الكولوسيوم)) - أو ((الكولوسيو)) بالايطالية - نسبة الى ضخامته .. ثم افتتحه بعد ثمانى سنوات ابنه الامبراطور تيتوس (الذى تقرأ قصة غرامه بالملكة ((بيرينيس)) فى مكان آخر من هذا العدد) . وقد استخدمت فى بنائه سواعد اثنى عشر ألفا من الاسرى اليهود الذين جلبهم الامبراطور من فلسطين - بعد ان هلك من اليهود أثناء حصاره لاورشليم مليون ومائة ألف ، وأسر ٩٧ ألفا !

وقد افتتح الملعب يومئذ بحفلات باذخة استمرت مائة يوم متوالية ، وفاضت خلالها فى الساحة الداخلية أنهار من دماء الضحايا ، من المصارعين والوحوش . ويقول المؤرخون انه قد أريقت فى حفلات الافتتاح المذكورة دماء خمسة آلاف من الوحوش .. أما عدد الضحايا الآدميين فلم يتعرض التاريخ لذكره !

جزاء ((سنمار))

◆ أما المهندس المعمارى الذى وضع تصميم ((الكولوسيوم)) فلم ينقش اسمه عليه ، وان كان أحد الباحثين قد عثر فى كهف من الكهوف التى كان يختبىء فيها المسيحيون أيام اضطهاد الرومان لهم ، على اشارة يرجح منها أن المهندس المذكور كان مسيحيا يدعى ((جودنتيوس)) ، وانه قتل بعد ذلك أثناء الاضطهادات المذكورة ..



معبد ((الكوليسيوم)) كما صار الآن ، بعد أن تهدمت أجزاء منه

ومدرج الملعب ينقسم الى ثلاث درجات من الصفوف : كان يجلس فى السفلى منها - القريبة من

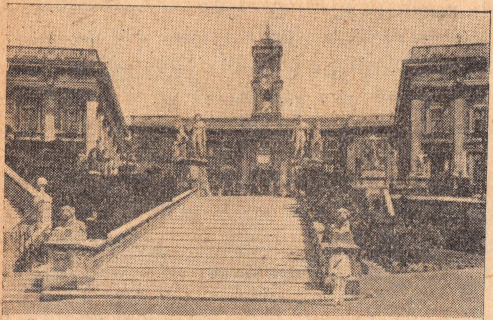


معبد « فستا » (فى أقصى الصورة الى اليســار) وفى المقدمة أحد أحواض جمع ميــاه الامطار التى يحرم عــلى عذارى المعبــد أن يشربوا غيرها !

الساحة ـ الاشراف وأفراد الطبقــات الرفيعة ، يليهم الى أعلى أفراد الطبقة الوسطى، ثم العامة. وفى أسفل الدرجات الثلاث محيط من المقاصــير التى لا يزيد ارتفاعها عن الارض عن نحو ثلاثة أمتار ، وقد كانت مخصصة لكبار رجال الدولة وعلية القــوم .. وفى نتوء بارز من هذا المحيط كانت مقصورة الامبراطور ورجال الحاشــية وعــذارى معبد « فستا » اللواتى يحففن بموكبــه ! .. وفى أعلى الــدرج صف من الاعمدة صفت فى ظله المقاعد التى خصصت للمتفــرجات من النســاء . وفوق قمم تلك الأعمدة شرفة دائرية كان يجلس فيها بحارة الأسطــول الامبراطورى المنوط بهم نشر أو طوى مظلة كبيرة من قماش أشرعة المراكب، لحماية النظارة من الشمس والعوامل الجوية .. وكانت تستثنى من هذه المظلة ، الساحة الوسطى المخصصة للمصارعة ، التى كانت تظــل مكشوفة على الدوام .. وكان يطلق على تلك الساحة الوسطى لفــظ (ARENA) ، نسبة الى الرمال التى تفرش بها أرضها الخشبية كى تمتص الدماء التى تراق عليها ، وتحمى أقدام المتصارعين من الانزلاق ! .

وبين الساحة والمدرج كان يوجد سور منخفض يعلوه قضيب تدور فوقه أجسام اسطوانية بسرعة ، كى تحول بين الوحوش وبين التسلق فوقها والتهجم على النظارة !.. وكانت أرض الساحة الخشبية ترتكز فوق صفوف من الاعمدة المشيدة تحتها من أساس متين ، وتتخلل تلك الأعمدة ممرات وأنفاق ومصائد ومغارات ومصاعد ، تنفذ منهــا الوحوش والحــراس والمصارعون وسواهم الى وجه الارض من خلال فتحات مغطاة ـ (وما تزال معالم ذلك « البدروم » الرهيب باقية حتى اليوم !)

رقة !



قصر الكابيتول الذى شيد فوق أحد تلال روما السبعة ، وقد كان مركز الحياة السياسية فى أيام الرومان .. والى اليسار متحف الكابيتول الذى صممه «ميكيل انجلو»

◆ ويرجع منشأ فكرة تلك المصارعات الوحشية ، التى صارت من أشهر وأبشع تقاليد الرومان ، الى ماقبل انشاء هذا الملعب بمئات السنين ، يوم كان أسرى الحرب يذبحون فوق مقابر الابطال الذين يقتلون فى المعارك! – وقد أشار «هوميروس» الى هذه التضحيات فى ملاحمه – ثم عمم هذا التقليد بالتدريج ، حتى صار العبيد يذبحون كالخراف فوق مقابر اسيادهم اذا توفوا ! .. وفى الاجيال التالية ، حين ازدادت المشاعر الانسانية « رقة » ، رؤى الاستعاضة عن تقليد ذبح اولئك التعساء على تلك الصورة ، باجراء آخر أقل قسوة ، يقضى باطلاق كل اثنين منهم احدهما على الآخر ، يتصارعان ويقتتلان .. حتى يموت الواحد ، فينجو الآخر .. وبذلك يتاح لكل منهم الأمل فى ان يظفر بالحياة ، اذا قتل خصمه قبل ان يقتله !

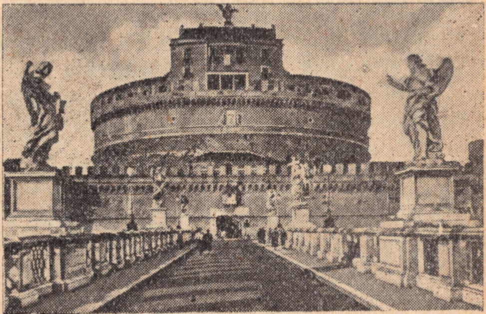
وقد اقيمت المصارعة الأولى على هذه الصورة الجديدة فى روما سنة ٢٦٤ قبل الميلاد ، فى ملعب آخر كان أكثر تواضعا ، حين اجتمعت الجماهير لتلهو برؤية ثلاثة ازواج من العبيد يتصارعون .. وفى سنة ٢١٦ اقيمت حفلة اخرى بلغ فيها عدد المتصارعين اثنين وعشرين زوجا ! .. وكانت المناسبة فى المرتين وفاة سيد أولئك العبيد ! .. ومنذ ذلك التاريخ تزايد فى الجماهير نمو هذا التعطش لرؤية المصارعات الدموية ، بالسرعة التى نمت بها قوة الدولة الرومانية وترف حكامها .. الى ان بات من الضرورى انشاء مدارس كبرى لتدريب العبيد على المصارعة ، وملاعب أكبر منها لاشباع هواية الجماهير لهذا اللون « الممتع » من اللهو .. ومن هنا انشىء « الكوليسيوم » ، و « سيرك مكسيم » الذى يقل عنه شأنا ..

وكانت المصارعة قاصرة فى البداية على العبيد وأسرى الحرب ، ثم ضم اليهم بعد ذلك المجرمون المحكوم عليهم بالاعدام .. ولم تلبث العدوى ان سرت الى بعض عشاق المغامرات من المواطنين والفرسان ، الذين صاروا يعتبرونها نوعا من المبارزة بينهم وبين خصومهم .. بل لقد نزل الى هذا الميدان بعض اعضاء مجالس الشيوخ ، بل وأحد الاباطرة انفسهم ، وهو الامبراطور « كومودوس » ، الذى كان يلذ له ان يهبط من مقصورته ليشترك فى المصارعة كأى مصارع عادى ، فخورا باللقب الذى صار يطلق عليه منذ ذلك الوقت ، وهو لقب « امير المصارعين ! »

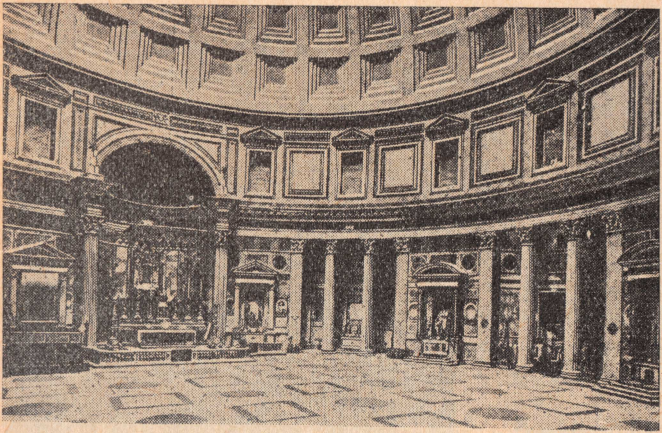
وكان المصارعون يدخلون الى الحلبة فى موكب منتظم ، ثم تسلم اليهم سيوف خشبية كى يتدربوا بها بضع دقائق ، قبل ان تستبدل بالسيوف الحقيقية فتدق الطبول ايذانا ببدء المعركة ! .. ثم يحتدم الصراع الدموى فى استماتة وعناد - فقد أقسم المتصارعون على القتال حتى الموت - وكلما جرح واحد صاحت الجماهير فى صوت واحد : « هوك هابيت » - وهو تعبير معناه : « لقد نالها ! » .. وعندئذ يخفض الجريح ذراعيه علامة الخضوع والتسليم ، وينتظر حكم المتفرجين على مصيره : فاذا أرادوا انقاذه رفعوا سبابتهم الى أعلى .. واذا أرادوه ان يقتل أشاروا بسبابتهم الى أسفل وأمروه بأن يتلقى الطعنة القاتلة .. وكان المصارعون عادة يتلقون هذه الطعنة بكل ثبات وشجاعة !

صرخة !

◆ **واستمرت** هذه اللعبة الوحشية تمارس مئات السنين .. حتى رفع الامبراطور « كونستانتين » - أول امبراطور مسيحى لروما - صوت الوعى الدينى الجديد الذى يستبشع ذلك التقليد الوثنى الوحشى ، فالغى



قصر « سان انجلو » الذى أنشأه الامبراطور ادريان ليكون قبرا له ، وأنشأ القنطرة لتصله بالمدينة ..



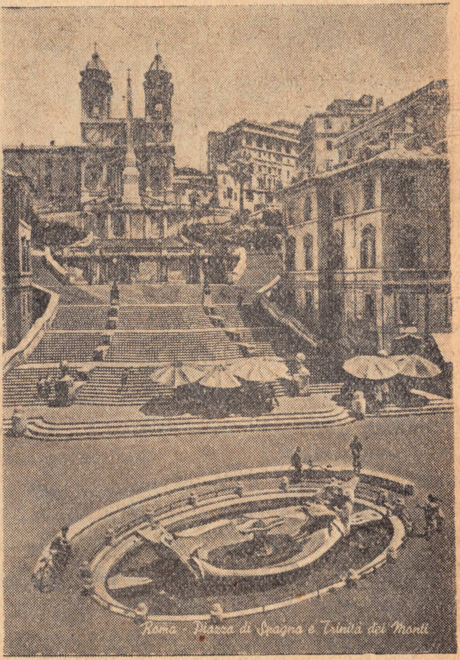
البانثيون : مقبرة ملوك ايطاليا وعظمائها

المصارعات فى سنة ٣٢٥ .. ولكنها لم تلبث ان اعيدت على يد خلفه والامبراطورين اللذين تلياه ! .. وجاء بعدهم اباطرة آخرون حاولوا الغائها من جديد ، لكنهم عجزوا عن مقاومة التيار القوى المضاد !

على ان الذى عجز عنه الاباطرة ، استطاعه راهب أعزل يدعى تيليماخوس» .. فقد سافر الى روما خصيصا فى سنة ٤٠٤ ليرفع صوته بالاحتجاج على ذلك التقليد ، وفيما كان الصراع محتدما على أشده ألقى الراهب بنفسه فجأة إلى وسط الحلبة وصاح يناشد النظارة ، باسم الدين ، ان يناصروه فى استهجان المصارعات الدموية . وحاول فى الوقت نفسه ان يفض اشتباك المتصارعين وينتزع السيفين من يديهما .. ولكن القوم ثاروا عليه حانقين ، لافساده مباراتهم الممتعة ، فرجم المسكين من فوره بالاحجار فى وسط ساحة المصارعة !

غير ان هذا الاستشهاد النبيل احدث هزة عنيفة فى روما ، فكان ان اصدر الامبراطور « هونوريوس » أمره على اثر ذلك بالغـاء « رياضة » المصارعة الوحشية نهائيا .. وكانت تلك المباراة آخر ما شهد ملعب « الكوليسيوم » من مصارعات دموية .. وكان « تيليماخوس » آخر شهيد مسيحى يلقى مصرعه فيها !

وقد استخدم الكوليسيوم فى القرون الوسطى كقلعة حربية ، فأصابه شيء من التلف وتهدمت اجزاء منه .. كما انتزعت بعض احجاره الضخمة فى مختلف العصور لاستخدامها فى تشييد صروح ومبانى اخرى فى روما .. ولكن ، برغم ما أصابه من دمار من جراء هذا وذاك ، فانه ما يزال يحتفظ بطابع الجلال والرهبة الذي كان له فى ايام القياصرة ، والذى أوحى الى الراهب « بيدا » منذ أجيال بهذه العبارة : « ما دام الكوليسيوم باقيا ، فروما باقية .. فاذاسقط الكوليسيوم فسوف تسقط روما.. واذا سقطت روما سقط العالم !

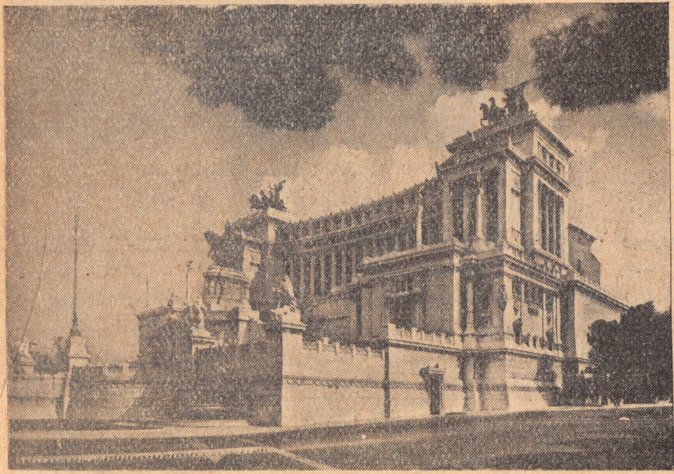


« سوق عكاظ » روما ، حيث يتناقش الشباب فى الادب والفن ويداعبن بائعات الزهور . وفى أقصى الصورة كنيسة « ترينيتا دى مونتى »

عذارى معبد « فستا »

◆ وعلى ذكر « عذارى معبد فستا » اللواتى كن يجلسن بصحبة الامبراطور فى مقصورته بالكوليسيوم، فلنمض لزيارة معبدهن فى حى آخر من أحياء روما . أنه ـ كما ترى فى صفحة ١٦ ـ جميل الهندسة ، على شكل دائرة يتألف محيطها من عشرين عامودا فاخرا من الرخام ، يعلو كلا منها كورنيش ذو نقوش بديعة .. ويتألف سقف المعبد

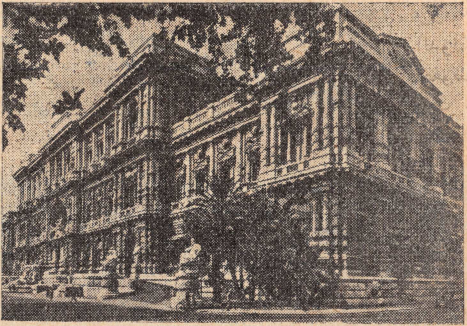
من قرص مدبب الى أعلى فى وسطه ، مثل قبعات الصينيين ، ويرتكز اطاره على رؤوس الاعمدة العشرين .. **وقد بنى المعبد ليكون محرابا لشعلة « النار المقدسة » التى كان الرومان فى عصور الوثنية يعتقدون انها ترمز الى قوة روما وعظمتها ، والتى كانت ترعاها فى عرفهم « الربة فستا » .. وقد ظلت تلك**



النصب التذكارى الهائل للملك فيكتور عمانويل الثانى

الشعلة المقدسة متقدة فى المعبد منذ انشائه ، طيلة أحد عشر قرنا ، حتى انتصر الامبراطور « تيودوسيوس » المسيحى على خصمه « اوجينيوس » الوثنى عام ٣٩٤ ، فأصدر أمره باغلاق جميع المعابد الوثنية ومصادرة أموالهـــــا وممتلكاتها .. وعندئذ أطفئت تلك النار و « سرحت » كاهنات المعبد اللواتى كان يطلق عليهن « عذارى معبد فستا » !

ولهؤلاء العذارى ومعبدهن قصة شائقة ، ترجع الى عصور ما قبل التاريخ، حين كانت الضرورة تقتضى الاحتفاظ بنار تظل مشتعلة على الدوام فى وسط



قصر العدالة بروما : آية من آيات فن المعمار والهندسة

كل قرية ، رهن تصرف كل مواطن ـ فى وقت كان يتعذر فيه اشعال النار الا بصعوبة ، اما عن طريق أشعة الشمس أو عن طريق حك قطعتى زلط ! ـ ومن ثم كان يعين فى كل قرية بعض فتياتها كى يتولين حراسة النار والسهر على ابقائها مشتعلة على الدوام .. وبمرور الزمن بدأ ينظر الى تلك النار كشىء « مقدس » يستحق « العبادة » باعتباره من ألزم مرافق القرية ! .. وتحولت اولئك الفتيات راعيات النار بحكم طقوس العبادة الجديدة الى « كاهنات » لهن حقوق خاصة وعليهن واجبات صارمة ، وأطلق عليهن « عذارى فستا » ، نسبة الى ربة النار التى جعلنها رمزا لعبادتهن ..

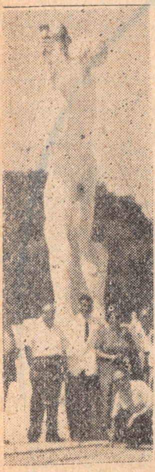
وحين ادخلت هذه العبادة الى ايطاليا ، كانت والدة الامبراطور «رومولوس» مؤسس روما ـ قبل زواجها من والد الامبراطور بطبيعة الحال ـ من أولى العذارى اللواتى اخترن « كاهنات » لمعبد الهة النار . وكان هؤلاء يخترن فى العادة من بنات اعرق عائلات روما وأنبلها ، على ان تتوفر فى كل منهن شروط صارمة أهمها :

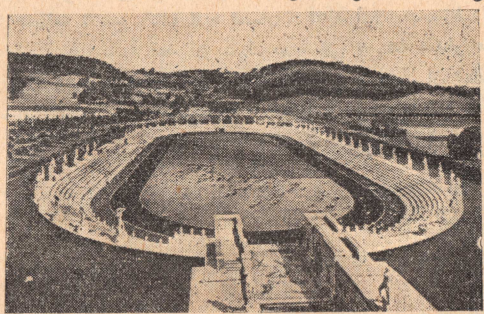
١ ـ أن تتراوح سن المرشحة بين السابعة والعاشرة
٢ ـ ان تضطلع بتأدية رسالتها لمدة ثلاثين عاما كاملة
٣ ـ ان تتعهد بالتزام العفة المطلقة طوال هذه المدة !

فاذا انتهت الثلاثون عاما جاز « للعذراء » ان تعود الى الدنيا ، وتتزوج اذا شاءت .. على ان ذلك لم يكن يحدث الا نادرا ، فقد كانت غالبية الكاهنات تموت فى خدمة الربة « فستا » ..

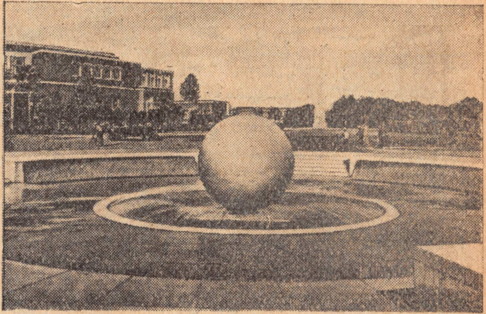
وكانت عذارى المعبد يتناوبن السهر على الشعلة الدائمة ليل نهار ، كما كان من واجباتهن رفع الصلوات للربة كى تكفل رفاهية الشعب والدولة ، وتنصر جيش الرومان فى الحروب .. وكان يعهد اليهن ايضا ببعض محفوظات الدولة ، ووصايا الأباطرة ، والوثائق البالغة الاهميـــة ، التى يتوقف على بقائها وسريتها كيان البلاد ! .. وبحكم هذه الواجبات الهامة « المقدسة » ، كانت الكاهنات انفسهن تحظين من الشعب وحكامه بنظـــرة تقرب من « التقديس » ، باعتبارهن حاميات روما وحارسات مجدها ! .. فكانت تخلع عليهن لهذا السبب اعظم الامتيازات ، ويتقدم مواكبهن ضباط الحرس - شأن الاباطرة والقناصل - بل ان هؤلاء كانوا يحنون لهن رؤوسهم اذا التقوا بهن ويفسحون لهن الطريق !

.. وفى الملاعب والأماكن العامة كانت تحجز لهن مقاعد الشرف .. وتفرض القوانين على الامبراطورة أن تجلس بينهن .. واذا صادفن مجرما يساق الى الموت كان فى سلطتهن أن يصدرن عفـــوا عنه ويأمرن باطلاق سراحه فى الحال !.. واذا دخلن حلبة المصارعة وقت تقرير مصير أحد المتصارعين كانت حيـاته توهب له اكراما لهن .. واذا أهان شخص احداهن أو حتى مر بجوار محفتها ، كان يعاقب بالموت !.. وأخيرا كان من حق الكاهنة أن تدفن عند موتها داخل حدود روما ، على خلاف سائر الناس !





« ستاد » روما الرياضى للألعاب الأوليمبية ، الذى أنشأه موسولينى ، وقد أقيمت حوله عشرات التماثيل الرخامية الضخمة لمختلف أنواع الرياضة . وفى الصورة اليسرى ترى نسبة حجمها الى حجم الانســان !

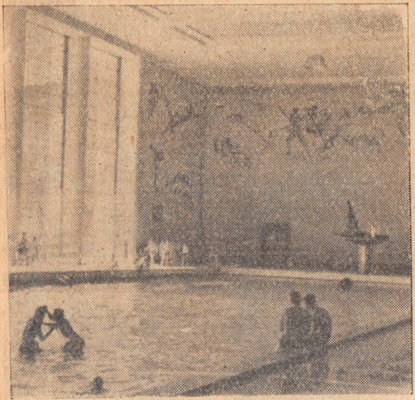


« نافورة الكرة » الملحقة بستاد موسولينى ، وفى أقصى الصورة الى اليسار مبنى حمام السباحة المغلق الذى ترى صورته من الداخل فى الصفحة المقابلة

على أنه فى مقابل كل هذه الحقوق والامتيازات ، كانت على الكاهنة واجبات كثيرة صارمة : فاذا انطفأت شعلة النار المقدسة مثلا – وكان مثل هذا الامر يعتبر فألا سيئا ونذيرا بشر عظيم يصيب الدولة – عوقبت العذراء المسئولة عن هذا الاهمال بجلدها بالسياط فى غير رحمة ! .. واذا أخلت بواجب الاحتفاظ بعفتها المطلقة والتزام الطهر الكامل – طهر « النار التى تشتعل على المذبح » – كان عقابها رهيبا : ففى البداية ، فى عهد حكم الملك « نيوما » ، كانت المفرطة فى عرضها ترجم بالحجارة حتى الموت ! .. ثم كأنما وجد هذا العقاب « غير كاف » ، فصارت تجلد أولا بالسياط ثم تدفن « حية » فى مقبرة خاصة ، بعد ان يترك معها فى قبرها مقدار من الخبز واللبن ، كى يطول احتضارها وعذابها ! .. والتاريخ يسجل ان ثمانى عشرة كاهنة من حارسات النار لقين حتفهن بهذه الطريقة الوحشية !

ونتيجة لهذه العقوبات الرهيبة ، وتلك الواجبات الصارمة ، لم يكن من السهل وجود آباء وامهات يسمحون لبناتهم بالانخراط فى سلك عذارى ربة النار ! .. وبعد ان كان الأصل ان يقصر هذا الشرف على بنات الأشراف والنبلاء ، صار يسمح به لبنات الطبقة المتوسطة ، بل قبلت فى هذا المضمار فى عهد الامبراطورية فتيات من طبقة العامة وطبقة العبيد الذين أعتقهم اسيادهم ! .. ومع ذلك ، ورغم الثراء والمجد ومظاهر التكريم التى كانت تخلع على عذارى معبد فستا ، فقد جاء وقت فى أخريات ايام الامبراطورية الرومانية تعذر فيه العثور فى طول البلاد وعرضها على ست كاهنات لمعبد النار ، وهو الحد الأدنى لحارسات الشعلة المقدسة !

تكييف الهواء .. منذ عهد الرومان !



حمام السباحة المغلق ، الملحق بستاد موسولينى . وقد زينت جدرانه وأرضه بأروع اللوحات الفنية !

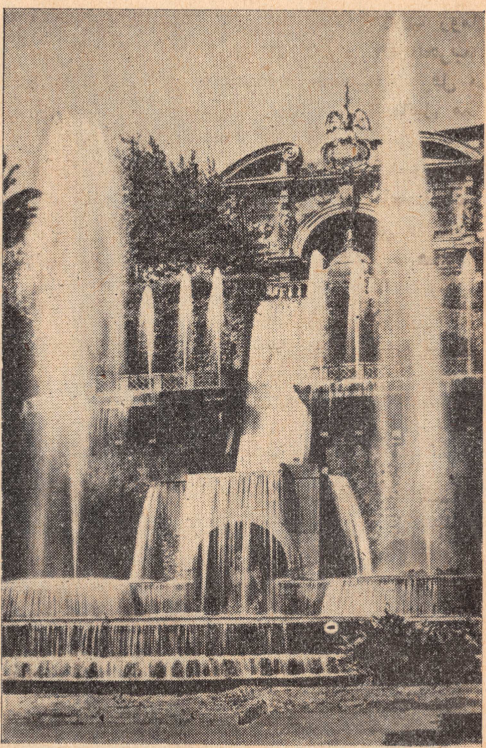
◆ والى جوار معبد فستا ، ترى حطام الدار التى خصصت لسكنى الكاهنات العذارى، وكانت قد شيدت على نفقة الدولة بقرار من مجلس الشيوخ، وزينت بتمثال للربة فستا وتماثيل لأشهر الكاهنات .. وفى جانب منها ممر من طابقين كان يستخدم لتتمشى فيه قاطنات الدار فى الايام المطيرة التى يتعذر عليهن فيها الخروج الى الحديقة .. **وفى جانب آخر من المكان ثلاثة احواض كبيرة يرجح انها اعدت لتجمع فيها مياه الامطار ، فقد كانت طقوس المعبد تحرم على كاهناته شرب الماء الذى لوثه المرور فى مواسير .. ولا تبيح لهن غير ارواء ظمأهن من ماء المطر أو من الانهار والينابيع ! .. على ان اعجب ما يلاحظ حول الدار ، الجدران المزدوجة التى تحيط بها من كل جانب ، والتى ترك بينها فراغ كبير لمرور الهواء الساخن الذى ينبعث من افران ساخنة ما تزال موجودة فى مكانها الى الآن !**

الكابيتول

◆ **والآن** تعال بنا نتابع جولتنا بين معالم روما فنزور « الكابيتول » .. ذلك القصر الذى تتمثل فى اسمه عظمة الرومان ومجدهم ، والذى كان محور الحياة السياسية فى عصرهم . لقد سمى كذلك لانه شيد فوق تل الكابيتول ، أحد تلال روما السبعة . **وسبب شهرته فى تاريخ روما القديمة انه كان الملاذ الذى يلجأ اليه الحكام فى عصور الوثنية لاستخارة «جوبيتر» كبير الالهة فى أمر مستقبلهم وأخذ « الفأل » الذى يسيرون على هديه فى سياستهم حين يسند اليهم الحكم وكلما تحرجت الامور أو وقعت الازمات واحتاج الأمر لاتخاذ قرار هام ! .. وهنا كان القواد الظافرون العائدون من**

ميادين القتال يختمون أمجادهم الحربية بتقديم الفروض وطقوس التكريم لرب الارباب !

على أن الكابيتول القديم لم يبق منه غير اسمه وما يرمز اليه ، فقد أعيد تشييده فى العصور الوسطى واتخذ دارا للبلدية، ثم أضيف اليه – على انقاض المعبد القديم – الجناح ذو القباب العالية الذى اتخذ مقرا لمجلس الشيوخ. **وجاء أحد البابوات فعهد الى « ميكيل أنجلو » بمهمة اعادة روائه القديم ، فأعاد تصميم الميدان الحالى الذى يتوسط أجنحته الثلاثة ، والمتحف الذى يقوم الى يساره ، والسلم والمنحدر الرائعين اللذين يؤديان اليه من أسفل التل ، واللذين يحف بهما صفان من أروع التماثيل التى يحس الصاعد وهو مار بينها بروعة الماضى المجيد !**

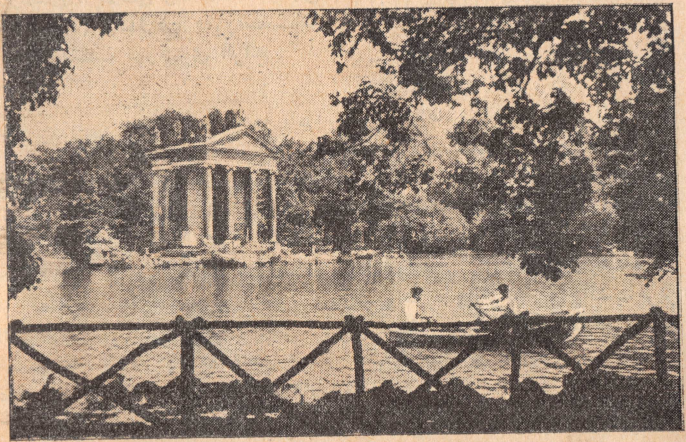


نافورات « فيللا ديستى » الخلابة ، بحديقة القصر الساحر الذى خلفه الكردينال ديستى ابن « لوكريشيا بورجيا » فى ضاحية (تيفولى) بروما

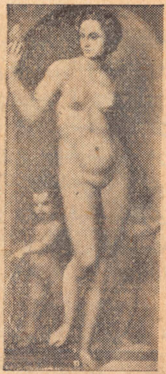
« فينوس » ... مع ٨٣ امبراطورا !

ومتحف الكابيتول - وهو الجناح الايسر - يعتبر من أغنى متاحف روما بآيات فن النحت.. ومن أشهر التماثيل التى يضمها تمثال مارس اله الحرب، وكيوبيد ومحبوبته سايك ، وبروتوس قاتل يوليـــوس قيصر ، وهرقل ، وجوبيتر ، وسقراط ، وشيشرون ، وديموستين (وبعض هذه التماثيل من الرخام المصرى الاسود) . وفى احدى القاعات ترى أروع مجموعـة من التماثيل النصفية لاباطرة الرومان العظام البالغ عددهم ثلاثة وثمانين ، وكلها تماثيل أصلية أستخرجت من شتى الحفائر والأمكنة .. وفى قاعة أخرى تمثال من المرمر يمثل فينوس ربة الجمال - أو افروديت كما يطلق عليـها اليونان - عارية تماما (وترى صورة التمثال فى صفحة ٢٩) .. هـذا الى مئات التماثيل الاخرى التى لا يدركها الحصر ..

أما الجناح الأيمن من الكابيتول ، ويسمى قصر « الكونسرفاتورى » ، فيضم مجموعة أخرى من التماثيل الخالدة ، من بينها تمثال نصفى لميكيل أنجلو صنعه لنفسه ، وتمثال « ذئبة الكابيتول » وتحتها طفلان آدميـان يرضعان .. وفى قاعة أخرى مجموعة من « سجاجيد الحائط » المنسوجة نقلا عن أروع اللوحات الفنية لمختلف الفنانين .. وفى قاعات أخرى مئات اللوحات



بحيرة «فيللا بورجيزى» الساحرة ، يطل عليها معبد أثرى مزين بأبدع التماثيل

« فينـــــوس » للرســـــام « بريسشيانينو » (الى اليمين) وتمثال « الأعمى والمقعـــد » (الى اليسار) وهما من معروضـــات متحف بورجيزى الرائع

التى يضيق المجال عن وصفها بل عن مجرد تعداد أسمائها وأسماء راسميها ، ومن بينها لوحة هائلة تمثل « الاسكندر الاكبر يهزم « دارا » ملك الفرس » وهى من صنع الفنان « كورتونا » .. الخ

حديث يطول

◆ **ويضيق** بى المجال لو أردت أن أصف لك – بالتفصيل – أهم معالم روما ، القديمة والحديثة ، لذلك أجتزىء من حديثها ببضعة أسطر عن كل منها :

قصر سان أنجـلو : من أهم ما يراه الزائر فى روما .. شيده الامبراطور «هادريان» فى السنوات (١٣٠ – ١٣٥) ليكون ضريحا يخلده بعد موته ، واستوحى تصميمه من مشاهداته فى جميع انحاء الامبـراطورية الرومانيـــة خلال رحلاته التى استغرقت ثمانية أعوام ! .. كما شيد القنطرة الرائعة التى تربط القصر ، وهو يقع على الضفة الاخرى للنهر ، ببقية المدينة .. وفى بداية القرن الخامس استخدم القصر كقلعة حربية لرد عدوان قبائل القوط .. **ثم تعاقبت عليه المصائر بتعاقب الاحداث التى استدعت استعماله لأكثر من غرض ، فى اكثر من مناسبة : فمن مقبرة للاباطرة .. الى قلعة حربية .. الى مقر للملوك ، والامراء ، والبابوات .. الى محكمة سياسية .. الى معتقل ينفذ فيه حكم الاعدام فى البابوات ، والكرادلة ، والمتـآمرين السياسيين .. الى ثكنات للجيش .. الى متحف ، وهو المصير الأخير الذى استقر له الآن . وهكذا عاصر القصر حقبا هامة من تاريخ روما خلال عصورها الوثنية ، فالمسيحية ، فالحديثة ، طوال ثمانية عشر قرنا !**

والزائر لهذا المتحف الآن يمر بالعشرات من القاعات والأبهاء والكهوف ، أهمها : قاعة العـــدالة ، قاعة ابوللو ، قاعة بولين ، قاعة المكتبة ، قاعة

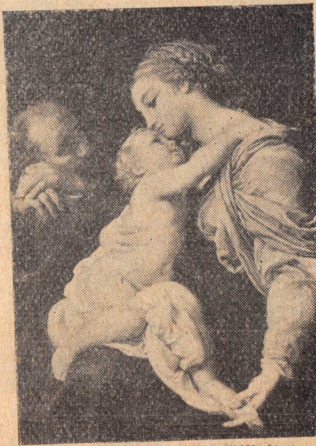
الخزانة ، كنيسة سان ميشيل ، قاعة المسرح ، حمام البابا كليمنت السابع (وهو آية فى البذخ والروعة) .. وفى أسفل القصر ترى الكهوف المروعة التى كانت تستخدم فى بعض العصور كمقبرة للاحياء !

البانثيون (مقبرة العظماء) : أنشأه الحاكم الرومانى « أجريبا » سنة ٢٧ قبل الميلاد ليكون معبدا للآلهة «مارس» و «فينوس» ، وهو من أروع آيات فن المعمار فى روما القديمة . وقد كاد يذهب كله ضحية للنيران يوم شب فيه حريق عام ٨٠ قبل الميلاد ، فجدده البابا بيوس ، ثم اعيد ترميمه فى عهد الامبراطور « كاراكالا » .. لكنه يدين بشكله الحالى الى الامبراطور « هادريان » . وحين اغلقت المعابد الوثنية سنة ٣٩٢ على أثر انتصار المسيحية ، كان البانثيون من بينها . وظل مغلقا اكثر من مائتى عام ، حتى فتحه البابا سنة ٦٠٨ وحوله الى كنيسة باذن من الامبراطور .. ثم نقل اليه **ما حمولته ٢٨ عربة كبرى من عظام الشهداء الذين ماتوا فى كهوف (الكاتاكومب) تحت الارض أيام اختبائهم من اضطهاد الوثنيين. وتم الاحتفال بهذا النقل يوم أول نوفمبر من ذلك العام ، فكان ذلك بداية « عيد جميع القديسين » الذى تحتفل به روما كل عام الى اليوم .**



تمثال آخر لـ « فينوس » بمتحف « كابيتولينو »

وفى عصر النهضة ، دفن فى البانثيون كثير من رجال الفن والادب ، على رأسهم الرسام « رفاييل » . وفى سنة ١٨٧٠ حول الى مقبرة لملوك ايطاليا ، فدفن فيه فيكتور عمانويل الثانى ، ثم ابنه امبرتو الاول الذى اغتيل سنة ١٩٠٠



« العائلة المقدسة » للرسام « باتونى »

◆ **قصر الكيرينال :** بدىء فى انشائه سنة ١٥٧٤ ليكون مقرا للبابا ، واشترك فى تصميمه وزخرفته عدد كبير من أشهر المعماريين ، كان آخرهم « برنينى » الذى وضع تصميم بوابة القصر الفاخرة وشرفته التى طالما وقف فيها البابوات فى المناسبات المختلفة ليباركوا الشعب .. وقد جرى فى القصر انتخاب عدد كبير منهم .. كما ألقى نابليون القبض فيه على احدهم ، وهو البابا بيوس السابع . وفى سنة ١٨٧٠ ضم القصر الى املاك الدولة وجعل مقرا لملوك ايطاليا ، حتى ألغيت الملكية سنة ١٩٤٧ فاتخذ مقرا لرئيس الجمهورية .

◆ **النصب التذكارى لفيكتور عمانويل :** من أفخم واضخم صروح ايطاليا الحديثة ، ويقع فى ميدان من اكبر ميادين روما النابضة بالحركة . وقد بدىء فى انشائه سنة ١٨٨٥ ولم يكن قد تم العمل فيه يوم افتتح رسميا عام ١٩١١ - بعد ٢٦ سنة ! - بمناسبة العيد الخمسينى لاعلان الوحدة الايطالية التى تمت على يد الملك فيكتور عمانويل « والد الشعب » !

والنصب مصنوع جميعه من الرخام الابيض الفاخر ، ويتصدره تمثال



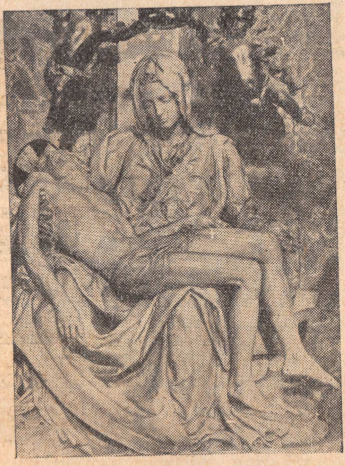
السلم التى سقطت عليها قطرات من دم المسيح أثناء هبوطه من منزل الحاكم الرومانى بعد تتويج هامته باكليل الشوك ، وقد نقلت من أورشليم الى روما وغطيت درجاتها بالخشب كى لا تبلى



قبلة يهوذا !

ضخم من « البرونز » للملك عمانويل ، وعند قاعدته قبر الجندى المجهول .. وبه عدة تماثيل ترمز للوطن ، وروما ، والتضحية ، والعدالة ، والفكر ، والعمل .. وتحف بقاعدته نافورتان ترمزان للبحرين اللذين يحتضنان ايطاليا : الادرياتيكى والتيرانى ..

◆ **« الفورم الايطالى »** : صرح آخر من مفاخر ايطاليا الحديثة ، انشأه موسولينى سنة ١٩٣١ ليكون ملعبا لكافة ضروب الرياضة . وهو يتألف من عدة اقسام : (١) **المدرج الاوليمبى** ، ويتسع لمائة ألف متفرج ، وهو مخصص للمباريات العالمية . (٢) **والمدرج الرخامى** (الذى ترى صورته فى صفحة ٢٣) ويتسع لعشرين الفا ، ويحف به ٦٠ تمثالا ضخما تمثل كل الوان الرياضة ، قدمت كل تمثال منها احدى ولايات ايطاليا ومدنها الكبرى . (٣) **اكاديمية الثقافة الجسمانية** ، ويلتحق بها الصبية من كافة أنحاء ايطاليا لتقوية أجسامهم أو للتخرج منها كمعلمين أو مدربين للالعاب الرياضية ، (٤) **حمام السباحة المغطى** (وترى صورته فى صفحة ٢٥) وهو نموذج عصرى للحمامات الرومانية ، وتحلى جدرانه وارضه لوحات رياضية ملونة ومطعمة بالموزايكو ، ويبلغ طول الحوض الذى به ١٦٠ قدما وعرضه ٦٠ وعمقه يتراوح بالتدريج من ٥ الى ١٨ - تحت منصة القفز مباشرة - ويمكن رفع هذه المنصة بطريقة آلية الى ارتفاع ٣٥ قدما ! ويتسع المدرج المطل على الحوض لنحو ألفى متفرج ، فى اوقات المباريات الكبرى . (٥) **ساحة « الفورم »** ، وتغطى مساحة قدرها ١٨ الف متر



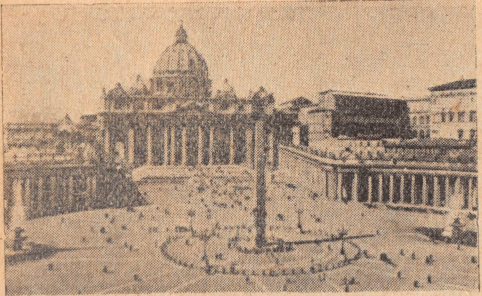
مريم تحمل جثمان المسيح : تمثال خالد لميكيل انجلو



منظر علوى لميدان القديس بطـــرس كمـــا يرى من قبة كنيسته بالفاتيكان ، وتتوسط الميدان مسلة مصرية !

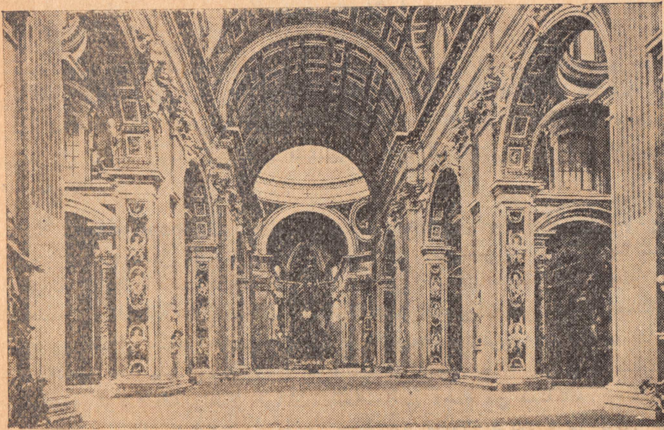
مربع ، منها ستة آلاف متر مزينة بالموزايكو ! (٦) **النافورة** ، وتتألف من كرة ضخمة من المرمر تزن ٤٧ طنا ويبلغ قطرها عشرة أقدام ! (٧) **المسلة** ، وهى الوحيدة فى روما المصنوعة من مرمر (كارارا) ، ويبلغ ارتفاع عامودها ٦٠ قدما ووزنه ٣٠٠ طن . وقمتها مكسوة بقشرة ســميكة من الذهب تزن ٧٠ رطلا ، لتحميها من فعل العوامل الجوية .

◆ **قصر العدالة :** تحفة من تحف فن المعمار الحديث ، تطل على الضفة الغربية لنهر التيبر (الذى يخترق روما ، والذى لا يبعد مصبه عنها اكثر من ١٤ ميلا) ، ويواجه القصر قنطرة « كافور » .. وقد استغرق انشاؤه ٢٠ عاما ، وبلغت نفقاته ٣٠ مليون ليرة .. وهو من أروع ما يمكن ان يتصوره المرء فى الابنية الحكومية ، ويبلغ عرض واجهته ١٧٥ مترا (اى ما يوازى ارتفاع نحو ٥٠ طابقا من احدى العمارات !) . ويزين مدخلــه « منظر » رخامى بارز يمثل العدالة بين القوة من جانب ، والقانون من الجانب الآخر .. وتحف بالمدخل تماثيل لأشهر المشرعين ورجال القــانون الايطاليين .

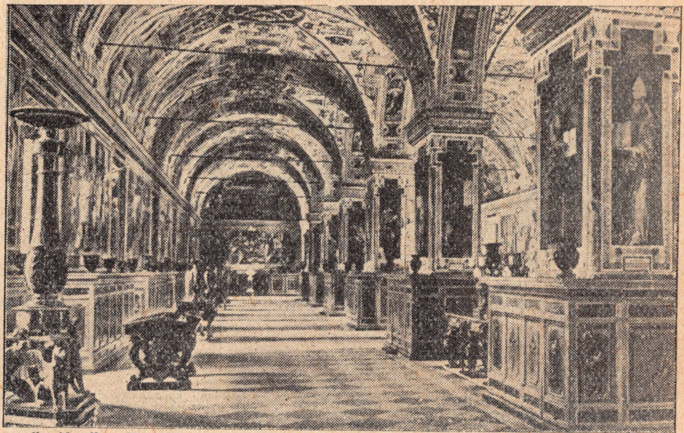


كنيسة القديس بطرس ذات القبة المشهورة ، كما ترى من واجهتها

◆ **فيـــــلا بورجيزى :** اكبر وأبدع حدائق روما، يبلغ مسطحها نحو اربعة اميال ، وقد انشأها الكردينال بورجيزى (بين عامى ١٦٠٥ - ١٦٢١) ، وزينها بالنافورات ومساقط المياه ، والبحيـــــرات الصناعية، والنماذج المقلدة للآثار والتحف القديمة .. كما أقام فيها ميدانا فسيحا لسباق الخيل ! وقد كان ذلك كله حتى سنة ١٩٠١ ملكا خاصا لأسرة بورجيزى التى



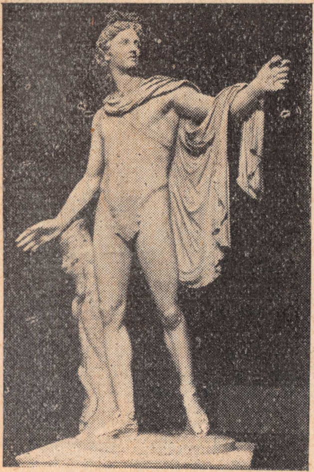
منظر داخلى لبهو من أبهاء الكنيسة التى تعتبر أعظم كنائس العالم ، وبها عرش البابا



مكتبة الفاتيكان المفضية الى متحفه العالمى : كنوز من الفن والجمال لا تقدر بذهب الأرض !

كانت تقطن هذه الجنة الأرضية ، وتقيم فيها فى المناسبات مهرجانات وحفلات باذخة للنبلاء والبابوات ، يشترك فيها احيانا افراد الشعب .. وفى سنة ١٩٠٣ اشترت الحكومة الايطالية « الجنة » المذكورة وقدمتها هدية الى بلدية روما كى تكون متنزها عاما للمواطنين ! (انظر الصورة صفحة ٢٧)

◆ **متحف بورجيزى :** والى جانب تلك الحدائق الغناء ، أسس الكردينال بورجيزى فى نفس الوقت متحفا خاصا كان يعتبر – الى أن ابتاعته الحكومة الايطالية – ملك المتاحف الخاصة فى أوربا بأسرها ! .. وقد زود المتحف فى البداية بالتحف التى أسفرت عنها الحفريات فى مختلف ممتلكات اسرة بورجيزى بالضواحى والمدن الاثرية القديمة.. وفى بداية القرن التاسع عشر اذعن « كاميلو بورجيزى » – وكان قد تزوج من « بولين » شقيقة نابليون – لرغبة الامبراطور فى ان يبيعه مائتى تحفة من ممتلكاته كى توضع فى متحف اللوفر بباريس ، مقابل مبلغ ١٥ مليون فرنك (ما يزال جزء منها لم يسدد حتى اليوم !) .. وقد حفزت هذه الخسارة الجسيمة صاحب القصر على مضاعفة الجهود للتنقيب عن تحف جديدة ، كما جمع ما



«ابوللو» اله النور والفنون : تمثال بمتحف الفاتيكان

لديه منها فى قصوره الاخرى ، حتى تمكن فى سنة ١٨٢٠ من سد الفراغ الذى تركته الصفقة الخاسرة فى متحفه .. وقد ظلت أسرته تحتفظ بالمتحف حتى ابتاعته منه الحكومة الايطالية عام ١٩٠١ بثلاثة ملايين وستمائة ألف فرنك !

ومتحف بورجيزى غنى بمجموعة من أثمن ما أبدعته فنون النحت والرسم فى مختلف العصور ! ومن أجمل تماثيله ذلك التمثال المشهور لبولين بونابرت - زوجة صاحب القصر فى ذلك الوقت - الذى يمثلها مضطجعة على أريكة ، نصف عارية ، وقد أمسكت فى احدى يديها بتفاحة ! (وترى على الصفحة ١٦٧ من هذا العدد صورة لقطاع جزئى جانبى من التمثال) .. وقد بلغ من ابداع ناحت التماثيل الفنان « كانوفا » فى كل ما نحته لبولين من تماثيل ، فى مختلف الاوضاع ، أن راجت شائعة تقول انه كان أحد عشاقها !

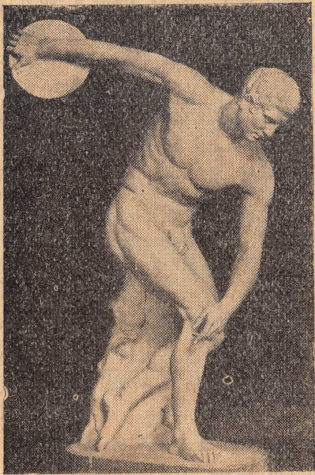
ومن التماثيل الاخرى التى يحفل بها متحف بورجيزى : ابوللو ودافنى ، النبى داود ، المسيح يرفع عن الصليب ، بلوتو يخطف بروسربين (من أساطير الاغريق) ، الزمن يكشف عن الحقيقة ، فتاة محجبة ، شباب المسخ الراقص ، سوزانا .. الخ .. كما ان بالمتحف نموذج للأثر المصرى الخالد أبى الهول .. الخ - أما جناح الرسم فيحفل بمئات اللوحات الزيتية الخالدة لأشهر الرسامين امثال : رفاييل ، بوتيتشيلى ، روبنز ، تيسيان ، كوريجو .. الخ - (وترى صورا لبعض محتويات المتحف على الصفحتين ٢٨ ، ٢٩)

◆ **حدائق بنشيو** : والى جوار حدائق فيللا بورجيزى تقع حدائق « بنشيو » ، وقد كانت تعرف أيام الرومان باسم « التل الأخضر » نظرا لارتفاعها عن مستوى المدينة بحيث تشرف عليها من عل فتبدو روما بأسرها من « شرفتها » فى منظر رائع .. **ولهذه الحدائق قصة مفجعة ، فقدكانت**



قطاع مكبر من تمثال العذراء لميكيل انجلو (بمتحف الفاتيكان)

مملوكة فى عهد الامبراطور «كلوديوس» لمواطن يدعى «فاليرياس أسياتيكس» ، فأوعزت زوجة الامبراطور المدعوة « مسالينا » الى زوجها بأن يتخلص من المواطن المذكور على أية صورة ، كى تؤول حدائقه الى الدولة ، أى الى زوجها واليها ، فيستمتعان بها كما يحلو لهما .. وبالفعل دبر الامبراطور للمسكين تهمة أنه يتآمر ضده ، وعلى أساس هذه التهمة استصدر حكما باعدامه ، وأعدم على الأثر .. فضم الامبراطور حدائق بنشيو الى أملاكه !.. حتى جاء الامبراطور أوريليان بعد خمسة قرون فرد الحدائق للشعب كى تكون متنزها



« قاذف القرص » : تمثال رائع بمتحف الفاتيكان

عاما . وظلت على هذا الوضع بالفعل قرونا عديدة ، ثم أهملت مع مرور الزمن وحولت الى حقل للكروم .. الى أن أمر نابليون أثناء احتلاله ايطاليا سنة ١٨١٢ باعادة زرعها وتنسيقها لتكون حديقة عامة . وبعد سقوط نابليون سنة ١٨١٥ عنى البابا بيوس السابع بمواصلة تنفيذ الفكرة ، لكنها لم تتم وتفتتح الحدائق للجمهور الا فى عهد البابا جريجورى السادس عشر .

واليوم تعتبر حدائق بنشيو من أجمل أماكن النزهة فى روما ، وملتقى الشباب والعشاق فيها .. وهى منسقة تنسيقا جميلا ، وممراتها مزينة بتماثيل نصفية لعظماء ايطاليا اللامعين .. وكان صاحب الاقتراح مازينى .

وفى العدد القادم نواصل زيارة معالم روما وفلورنسا والبندقية



معبد الحب !

(بقصر « التريانون » بفرساى)



مهرجان الصواريخ (بمدينة « لنداو » بألمانيا – على الحدود النمسوية)



دون جوان .. وحواء !

قصة مصرية : للمحرر

(« سالم » و « حشمت » شابان جمعت بينهما الصداقة والزمالة فى الجامعة .. ثم فرقت بينهما الأيام والأعمال فى معترك الحياة .. وهما فى طبيعتهما طرفا نقيض : الأول تلفته الى المرأة عيناها ، والثانى تلفته ساقاها ! .. هذا يشبه الفتاة الجميلة بزهرة الياسمين ، وذاك يشبهها بالفاكهة الناضجة ! .. سالم يحلم بمناجاة شاعرية حالمة ، وحشمت يطمع أول ما يطمع فى قبلة ساخنة .. الخ)

المنظر الاول

مقهى « الاميريكين » حيث يجلس حشمت الى احدى الموائد المشرفة على ملتقى شارعى ٢٦ يوليو وسليمان باشا .. وقد فرغ من احتساء قدح البيرة الذى أمامه ، وبدأ يتفرغ لملاحقة الحسان ببصره الحائر الذى لا يكل .. وفيما هو يذرع الرصيف بعينيه ، يلمح صديقه القديم «سالم» مارا فى الطريق ..

حشمت (مناديا) : هيه ‥ سالم !

سالم (وهما يتصافحان بحرارة) : أهلا ، حشمت ‥ كيف حالك ؟ (مازحا) يبدو اننى منحوس ، لا أكاد أهبط القاهرة حتى ألقاك ‥ أعوذ بالله !

حشمت (وهما يجلسان) : يا فتاح يا عليم ‥ ابتدأنا ؟ دعنا من هذا ، متى جئت ؟

سالم : أمس ‥ حصلت على اجازة قصيرة ، كنت أنوى أن أقضيها بعيدا عنك ، ولكن ما باليد حيلة ‥ وأنت، أما زلت وفيا لهذا المكان تقضى فيه نصف يومك ؟

حشمت : كلا ، لم أعد أجلس هنا الا نادرا ، **(فى لهجة ذات معنى)** فان أعمالى ‥ فى رواج !

سالم : أعمالك ؟ أوه ، **(وهو يتنحنح)** مع حسناء المنيرة أيضا ؟

حشمت (ساخرا) : حسناء المنيرة ۰۰۰؟ أوهوه ۰۰ يا لك من ساذج ! أتحسبنى أذكرها ؟۰۰ لقد مرت على بعدها عشرات ۰۰ ولكنك معذور ، ان ثلاثة أعوام فى الاقاليم كفيلة بأن تفقدك ذكاءك ومزاجك ۰۰

سالم (متكلفا الحزن فى مزاح) : حقا ، انى تعس ۰۰ الى يا دون جوان ۰ أما من أمل فى علاج ؟ ألا تعرف لى دواء ؟

حشمت : دواؤك بسيط : فتاة لها عينان ماركة « براسو » تجلوان الصدأ عن قلبك !

سالم : ليت زوجتى تسمعك

حشمت : زوجتـــك ؟ هل تزوجت ووقعت فى الفخ ؟ يا غلبان !

سالم : نعم ، ولكن دعنا من هذا وأكمل « وصفتك » ۰۰ ماذا يلزمنى أيضا يا صيدلى الغرام ؟

حشمت : أتريد دروسا فى طبيعـــة المرأة و « ألف باء » الغرام ؟ اليك أحدث وصـــفة : التزم الدفاع مع المرأة التى تبادر بالهجوم ۰۰ أما التى تتحصن وراء دلالها فابدأ معهـــا بالهجوم الخاطف ۰۰ سدد ضربتك الى « القلب » مبـــاشرة وكن جريئا ولا تتردد ۰۰ فالمرأة كأنثى القطط ، حين يطاردها الذكر تعدو وتتمنع ، فاذا أهملها عادت تتمسح فيه وتناديه بموائها فى دلال !۰۰ ان كيدهن عظيم ، لكن كيدى أعظم !

سالم : عجبا يا أخى ، أهكذا تدل عليهن بسلطانك ؟۰۰ يبدو أنك واثق من نفسك !

حشمت (فى ســخرية) : واثق من نفسى ؟ وهل لديك شك ؟ ان الفضل « للتكتيك » البارع الذى أتبعـــه ۰۰ انى أتحدى أى انسان أن يثبت فشلى فى غزوة واحدة ، ومن يفعل، له جائزة قدرها ۰۰

سالم : مهلا مهلا ، ومن الذى يتحداك ؟٠٠ اننى أود فقط أن أحضر احدى غزواتك ٠٠

حشمت : بكل سرور ٠٠ اننى أرحب بك « كمراســـــل حربى » فى ميدان القتال !٠٠ ولك أن تحدد المكان والزمان ، وسترى كيف أخرج من أى ميدان تضعنى فيه بـ « صيدة » ٠٠ أيكفيك هذا ؟

سالم : جدا جدا يا « جنرال » ٠٠ ولسوف أتصل بك فى أقرب فرصة ٠

المنظر الثانى

.. واتصل سالم بحشمت بعد أيام ، والتقيا قبل الغروب ، فقاد سالم صديقه الى احدى قاعات الرقص الراقية ، حيث تركه يجلس منفردا الى احدى الموائد ، بينما جلس هو الى مائدة أخرى منزوية ، يراقبه ! .. الشرفة مزدحمة بخليـــط من الجنسين ، وقد لزم الكثيرون منهم موائدهم ، بينما اشترك البـاقون فى الرقص الذى حمى على أنغام موسـيقى « التانجـــو » الحالمة . وحشمت يدور بعينيه هنا وهناك باحثا عن صيد .. حتى تلتقى عيناه بعينى حسناء تدله نظراتها على أنها « سهلة » .. فيتقدم منها طالبا رقصة :

حشمت (وهما يرقصان): أراك وحيدة ٠٠ أتنتظرين أحدا؟

هى : كلا ٠ **(مستدركة)** ولكن ، من قال انى مكلفة بالرد على ٠٠

هو : على فضولى ٠٠ قوليها ولا تخافى

هى : عفوا ، لم أقصد ٠٠

هو : اذن تقصدين انى متطفل ؟

هى : كلا ، انك ٠٠

هو (مقاطعا) : ولكنها الحقيقة

هى : انك تسىء فهمى ٠٠

هو : اذن فأنا غبى !



هى : أوه ، لقد غلبتنى !

هو : عجبا ، ما عهدت حواء تغلب بهذه السهولة !

هى : بل انك لا تجيد التعبير ..

هو : وهذه اهانة جديدة ! ماذا تعنين اذن ؟

هى : أعنى ان حواء قد تغلب، لكنها لا تعترف بهزيمتها !

هو : وكيف اعترفت أنت اذن؟

هى : لأوهمك بسذاجتى !

هو : ثم ماذا ؟

هى : ثم أوقعك فى حبائلى ..

هو : اللهم احفظنا .. وبعد ذلك ؟

هى : بعد ذلك .. الله يرحمك !

هو (**يتحسس رقبته مشفقا**) : يا ساتر !

هى : آه ، أرأيت كم أنا ماكرة ؟

.. ..

.. ..

هو : ألا تشمين رائحة « شياط » ؟

هى (**فى دهشة**) : شياط ؟.. أين ؟

هو : هنا ، فى قلبى .. انه كالاناء ، يحترق على وهج نظراتك لأنه فارغ . فهلا قبلت أن تملئيه ؟

هى : يا ماكر ، أوتريدنى أن أدخل النار .. باختيارى ؟

هو : أو لم تخرجينى من الجنة .. باختيارك ؟ عندما رأيتك شعرت وأنا أنظر الى عينيك اننى أسقط فى بئر عميق .. بل فى برميل من الخمر ! .. ألا ترين كم أنا ثمل ؟

هى : أهكذا سريعا ؟

هو (فى استنكار) : سريعا ؟ لقد مضت ثلاثة أشهر وأنا أبحث عنك ، منذ فقدت بسببك تسعة عشر قرشا ..

هى : لست أفهم

هو : رأيتك فى سينما (ريفولى) ، على مقعد قريب منى ، فلم أفقه من حوادث الفيلم شيئا !.. ثم رأيتك هنا مرة فبدأ مسيو (..) يسطو على جيبى بانتظام !

هى : يظهر انه بدأ يسطو على ذكائى أيضا .. من هذا المسيو (...) ؟

هو : صاحب هذا المرقص .. آه ، وفرى على نفسك نظرة الشك هذه ..

هى (فى خبث) : ولكنها أول مرة أجلس فيها هنا .. أما سينما ريفولى فلم أدخلها قط !

هو : يا للنحس ، لقد حوصرت ! دعينا نتصارح : رأيتك هنا الليلة فأعجبتنى .. وكنت وحيدا .. وأنت وحيدة .. فلم لا يكمل أحدنا الآخر ؟ تعلمين ان اليد الواحدة ..

هى (تقاطعه وتكمل المثل) : لا تصفق .. أعلم ذلك . ولكن قل لى : **(بنظرة نشوانة)** ما الذى أعجبك فى ؟

هو : أها .. لن أقول قبل أن نلتقى ، فى جلسة هادئة !

هى : ماذا ؟ انك جرىء !

.. ..

وبعد فترة ، شوهد « حشمت » و « كوثر » خارجين معا . ولم ينس حشمت وهو خارج أن يرمى صديقه سالم ، الجالس بعيدا ، بنظرة معناها : « ألم أقل لك ان أساليبى لا تخيب ، وان فى السويداء .. رجالا ؟ »

المنظر الثالث

غرفة أنيقة ، يوحى أثاثها ، والتليفون المعلق فى الجدار ، بانها فى فندق محترم . كوثر وحشمت جالسان متجاورين على كنبة مريحة:

حشمت (وهو يتأمل الغرفة فى اعجاب) : اذن فهنا تقيمين !؟.. يبدو أنك كنت محقة حين فضلت أن نتم سهرتنا

هنا ، فان مسكنى فى الحقيقة أكثر تواضعا من هـذه الحجرة الجديرة بأن تضم مخلوقة ناعمة مثلك **(وهو يدنو منهـا)** لها هذا العنق العاجى ، وهذه ٠٠ **(متلفتا حواليـه)** ولكن ما هذا ؟ انى أسمع صوتا غريبا !

كوثر (ضاحكة فى غموض) : لا تنزعج ٠٠ انهـا قطتى (بوسى) تعبث خلف مقعدك

حشمت : لا ٠٠ أرجوك ٠٠ أنا لا أحب القطط ٠٠ امنحيها الليلة اجازة طويلة تقضـيها خارج الغرفة ٠٠ ولنشرب نخب تعارفنا السعيد **(وهو يحيطها بذراعه)** ونحتفل ٠٠ **(مذعرا)** أوه ٠٠ ان « الخربشة » آتية من ناحية الباب ٠٠ أهى قطة أخرى ؟

كوثر (فى خبث) : انه الذكر وراء الباب ، يطارد أنثاه !

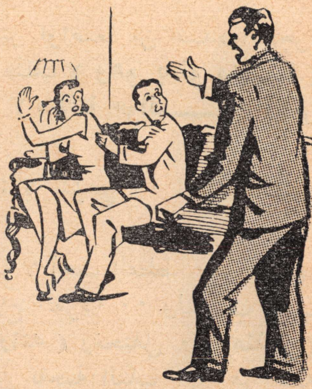
حشمت : دعيه ينتظر ٠٠ لم يبق الا أن نراعى مزاج القطط!
(يهم بتقبيلها ، ولكن الباب يفتح فجأة ، ويدخل منـه : سالم !)

سالم (بعد ان وقف مبهوتا ، كمن تلقى صدمة) : ما شاء الله **(ثم ساخرا فى حنق)** برافو ، برافو .. عظيم والله !

حشمت (فى لهجة يمتزج فيها الحنق بالمزاح) : يا بركان الاذى ، يا خميرة العكننة .. ما الذى اتى بك الى هنا **(كمن يتنبه فجأة الى شىء)** ولكن .. كيف عرفت مكاننا .. ومن أين لك المفتاح ؟ اننى لا أفهم ! **(ثم ينظر الى كوثر كمن يتلمس عندها تفسيرا ، فيراها ممتقعة الوجه !)**

سالم : أو تتبجح ايضا ، يا نذل ؟ انك انت وامثالك الذين تفسدون النساء الشريفات ..

حشمت : مالك تهذى ؟ أنسيت ان الرهان بدأ على يديك ؟



سالم (فى لهجة انفعال شديد) : رهان ؟ أمعى أنا تجرب أساليبك ؟ أخرج من هنا ، وانت يا ملعونة : سوف ترين كيف يكون انتقامى !

كوثر (فى ارتباك وخجل واستعطاف) : ولكننا ياسالم ..

حشمت (كمن وجد مخرجا يحول به دفة الهجوم) : اذن فأنت تعرفها ! .. مرحى ، مرحى ، أيها الزوج المثالى المخلص الذى يتخذ لنفسه عشيقة قبل انقضاء عام على زواجه !

سالم : عشيقة يا سافل ؟ قلت لك اخرج من غرفتى .. وأنت يا خائنة ، اخرجى معه .. انك لم تعودى زوجتى ! أنت طالق !

حشمت (فى ذعر ، وهو يمسح العرق المتصبب من وجهه) : ماذا ؟ زو .. زو .. زوجتك ؟ **(وهو يزدرد لعابه ويشير الى كوثر)** أهذه زوجتك ؟ لا بد أن يكون أحدنا قد جن .. أو لم ترنا منذ البداية نتعارف ، ونجلس معا ، ونخرج معا ؟ لم لم تقل انها زوجتك ؟

سالم (فى حزم وتشف) : أردت أن أنزوى كى لاترانى هى ، ثم ارى ما يكون .. حتى اضبط الحية فى وكرها ! فاخرج ودعنى **(وهو يحدج كوثر بنظرات وعيد نارية)** أصفى حسابى !

حشمت (فى خزى لا يحسد عليه) : يا الله .. يا أم هاشم .. ألا تجىء الطوبة الا فى المعطوبة ؟ أو لا تطلقها الا بسببى ، وعلى يدى ؟ يا للمصادفة المقوتة ! **(ويتجه الى باب الخروج وهو فى حالة يرثى لها ، وقد نسى طربوشه .. ولكن قبل ان يبلغ الباب يسمع سالما وكوثر ينفجران فى الضحك)**

كوثر (وهى مغرقة فى الضحك) : كفاه يا سالم .. ان المسكين على وشك الاغماء

حشمت (تبدو عليه الحيرة بشكل يدعو الى الاشفاق) : لست افهم !

سالم (ساخرا) : أتريد ان تفهم ؟ انظر يا غبى **(ويشير الى تقويم معلق على الحائط)**

حشمت (زائغ البصر) : اول ابريل ؟! **(ثم يتهالك على اقرب مقعد)** الله يجازيك

سالم (ضاحكا فى شماتة) : والآن دعنى اقدم لك زوجتى كوثر . عندما قصصت عليها قصة رهانك وتحديك ، قبلت عن طيب خاطر ان تمثل معك هذا الدور .. تجلس فى قاعة الرقص على انفراد ، وتصطادك بنظراتها كأى صيد غرير ، ثم تقودك الى هنا .. كى أضبطكما معا ، ونلهو أنا وهى بالتشفى فيك . ها ها **(ويستغرق فى الضحك الساخر)**

حشمت (وهو ما يزال متخاذل القوى ، وقد بدأ يسترد انفاسه) : ما هكذا تكون الدعابة يا حضرة .. ان اعصابى قد انحلت

كوثر وسالم (فى صوت واحد ، وقد أحاطا بحشمت وأمسك كل منهما باحدى اذنيه يشدها بقوة ، بينما تقدم له كوثر بيدها الاخرى كأسا من الماء البارد) : والآن .. يا دون جوان ؟

حشمت (مجيبا وهو يزدرد لعابه بصعوبة) : حرمت !

كتب الأولون



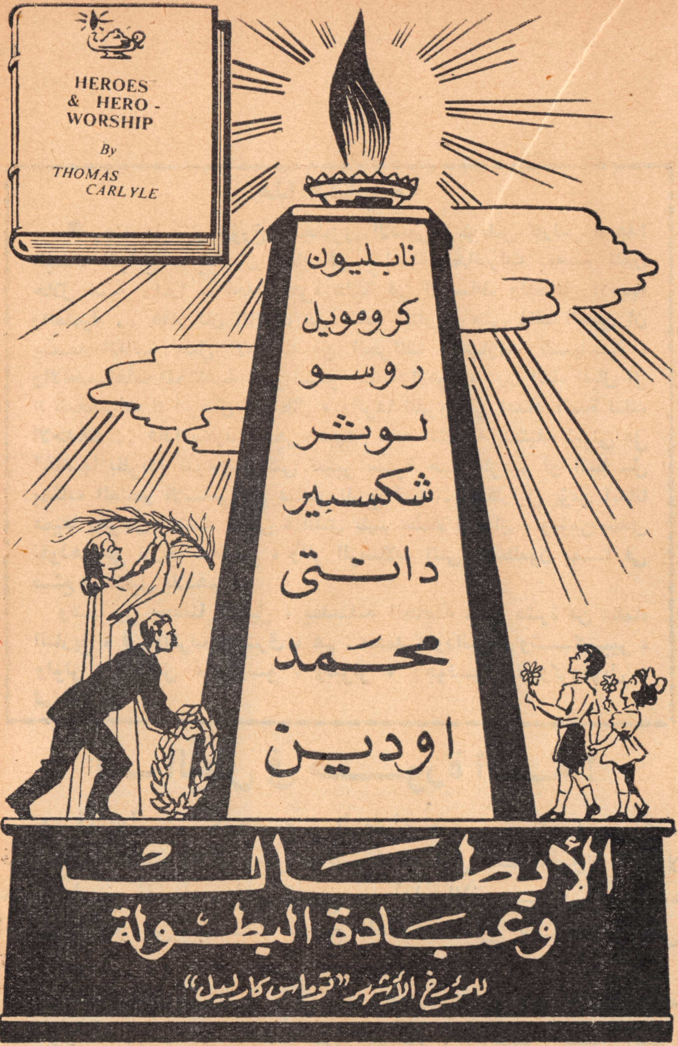
كنوز الكتب القديمة

عزيزى القارى. ...

قرات معى فى الاعداد الماضية من كتابى ، من روائع الكتب القديمة ،هذه الكتب على التوالى :

« ديكاميرون » : بوكاشيو
« دون كيشوت » : سرفانتس
« الالياذة » : هوميروس
« اميل » : جان جاك روسو
« حى بن يقظان » : ابن طفيل
«روبنسن كروزو» : دانييل ديفو
« غرام الاخوين » : (كاتب فرعونى مجهول)
« يوتوبيا » : توماس مور
« الجمهورية » : افلاطون
« الكوميديا الالهية » : دانتى
« الاوديسة » : هوميروس
« العالم كما يسير » : فولتير
« غرام مشبوب » : لين يوتانج
« رباعيات عمر الخيام »
عفاف (كوزى سانكتا) : فولتير
« رسالة الغفران » : المعرى
« نظرية التطور » : داروين
« رأس المال » : كارل ماركس
« العقد الاجتماعى » : روسو

وفيما يلى أقدم لك هـذا الكتاب المشهور الذى فتح به مؤلفه فتحـا جديدا فى تأريخ سير العظماء



تلخيص الاستاذ : محمد بدر الدين خليل

هذا الكتاب ..

◆ عند ما نشر المؤرخ الانجليزى الاشهر « توماس كارليل » هذا البحث الجامع ـ بعد ان ألقاه فى سلسلة محاضرات بمدينة لندن خلال سنة ١٨٤٠ ـ أحدث هزة هائلة فى الاوساط والمحافل الادبية والعلمية .. فقد كان المألوف فى كتابة التاريخ حتى ذلك الحين ان يستمد الكاتب أصل الاحداث من الحركات والتيارات السياسية ، والاتجاهات المختلفة التى تسير دفة الامور ، دون القاء البال الى « شخصيات » الرجال والأبطال ، وأثرها القوى فى اعداد العدة لتلك الاحداث .. فاذا بكارليل يجىء فيهدم هذه النظرية العتيقة ليبنى على أنقاضها نظريته الجديدة التى تعتبر سيرة حياة الزعيم أو البطل بمثابة العنصر الأساسى من عناصر تاريخ أمته .. فكارليل يؤمن ايمانا عميقا بالوحى ، شبه الالهى ، الذى يلهم عظماء الرجال ، ويؤمن بمدى نفوذهم على تاريخ شعوبهم ، وأثر الرسالات التى يضطلعون بها فى صنع مستقبل بلادهم !

وفيما يلى يحدثنا كارليل ، بفلسفته الخاصة ، عن عشرة من عظماء التاريخ ، فى الغرب والشرق ، هم : محمد ، ودانتى ، وشكسبير ، ولوثر ، ونوكس ، وروسو ، وبيرنز ، وجونسون ، وكرومويل ، ثم نابليون ..

١ ــ البطل فى صورة إله !

◆ **نتناول** هنا موضوع « البطولة » و « عبادة البطولة » فى تاريخ البشرية ، وهو موضوع لا يقل اتساعا ولا شمولا عن التاريخ نفسه ، فان تاريخ ما أداه الانسان فى هذه الدنيا ، هو فى لبه تاريخ العظماء الذين ساهموا فى تقدمها ..

ومن الاقوال الصائبة ، ان دين الانسان هو أهم حقيقة عنه .. ولا اعنى بدينه مذهبه فى العبادة ، وانما أقصد الشىء

الذى يؤمن فعلا به ، والطريقة التى يشعر بأنه مرتبط بهـا روحيا بالعالم غير المرئى : هل كان يؤمن بالوثنية ، أو تعدد الآلهة ، أو مجرد التمثيل الرمزى للغز الحياة ؟ ـ وفى هـذه الحالات تكون القوة الطبيعية المادية هى العنصر الرئيسى ـ أو كان يؤمن بالمسيحية ، وبأن الذى لا يرى هو الحقيقة الوحيدة، وبأن الزمن يســتند الى الابدية ، ومن ثم تكون السيادة القدسية قد حلت محل السلطان الوثنى ؟٠٠ أو كان يتجه الى الالحاد والتشكك والبحث عما اذا كان هناك عالم غير مرئى ٠٠ أو يتجه الى عدم الايمان والانكار الصريح ؟

ان الاجابة عن هذه الاسئلة تهيىء لنا لب تاريخ الانسان من حيث معتقداته

ولنتخذ «أودين» ـ الصنم الرئيسى لدى وثنيي سكندناوة ـ رمزا للبطل فى صورة الاله ٠٠ وأول ما ينبغى أن أجاهر بـه فى هذا الصدد ، معارضتى للنظرية القائلة بأن تلك الوثنية ـ أو أية ديانة أخرى ـ انما تألفت من دجل وكهانة وخداع ٠٠ فالدجل لا يخلق شـــيئا ، بل يجلب الموت على كل شىء ٠ والانسان ، فى كل مكان ، عدو بالفطرة للاكاذيب !

وقد كانت الوثنية يوما حقيقة خالصة لدى معتنقيهـا ٠٠ وكان جلال الطبيعة ، أو الدنيا ـ الذى لا يتبدى اليوم الا للموهوبين ـ يتجلى اذ ذاك لكل من تأملها ٠ وكان جســم الانسان ، وسر وعيه ، أكثر ما فى العالم جـلالا وغموضا ، فكانا رمزا لله ، وأهلا « للعبادة » فى نظر النـــاس فى تلك العهـــود

فأى شىء أقرب الى المعقول اذ ذاك من عبادة البطـل ٠٠ من الاعجاب السامى بالرجل العظيم ؟٠٠ ان اعجاب المرء بمن هو أسمى منه هو المؤثر الحيوى فى حياة الانسان ، وهو البذرة الاولى للمسيحية ٠٠ ولا شك فى أن شعوب « سكندناوة » الشمالية تلك قد أوتيت معلما وزعيما سبق سواه ٠٠ أوتيت

بطلا حقيقيا من دم ولحم كان هو الموحى لهـا بالهها الصنم « أودين » ٠٠ وتصف الاساطير هذا البطـل بأنه مخترع الحروف الابجدية السكندنافية ، وبأنه مبتكر الشعر ٠٠ ذلك لأن هذا الانسان النبيل ، المخترع والمبتكر ، كان حـريا بأن يبدو لاهل الشمال فى بداوتهم بطلا ، ونبيا ، والها ٠٠ وان ما روى عن « أودين » البشرى ، من انه تكلم بصـوت بطل ، وبوحى من السماء ، فنبأ قومه بما للشجاعة والشهـامة من أهمية لا حد لها ٠٠ ومن أن قومه آمنوا برسالته هذه، واعتقدوا أنها من السماء ، وانه ذو قداسة لانه بلغهم هذه الرسـالة ٠٠ كل هذا يبدو لى كبذرة أولى للدين لدى أهل الشمال ٠٠ لان ذلك الدين كان يمجد الشجاعة ويقدسها ويفرضهـا فرضا ٠٠

٢ ـ البطل فى صورة نبى

◆ **ان** العقيدة المحمدية بين العرب ، أوضح مثل للظاهرة الثانية من ظواهر تكريم الابطال ، حيث لا ينظر الى البطـل كاله ، وانما كملهم من الله ٠٠ كنبى

فلنحاول أن نفهم ما كان « محمد » يعنيه بالدنيـا ، أو بالاحرى ما كانت تعنيه الدنيا لديه ٠٠ انه بالتأكيـد لم يكن دجالا ولا محتالا واسع الدهاء ، ولا مزيفـا ٠٠ والفروض القائلة بأنه كان كذلك ليست سوى نتاج عصر الحاد ، فهى تكشف عن ألوان من الشلل الروحى تدعو للاسى ٠٠ **أفيقوى مدع زائف على ايجاد دين ؟ ٠٠ ان الزائف لا يستطيع أن ينشىء شيئا ، ولو كان هذا الشىء بيتا من طوب ! ٠٠ وما كان ميرابو ، ولا نابليون ، ولا بيرنز ، ولا كروموبل ، ولا أى مخلـوق ليستطيع أن يفعل أمرا ما لم يكن قبل كل شىء صادق الايمان به ٠٠ فان الاخلاص وصدق الايمان هما أعظم ما يميز جميـع أولئك الذين يأتون عملا من أعمال البطولة ٠٠**

والعرب شعب جدير بالذكر ٠٠ بل ان بلادهم ذاتها أهل لان تذكر ٠٠ تصور آفاقا شاسعة رملية جرداء ، خالية ، صامتة كالبحر ٠٠ وأنت فيها وحيد ، فى خلوة مع الكون ٠٠ تصليك فى النهار شمس ذات شواظ ووهج لا يحتمل ، وتغطيك بالليل السماء الواسعة ، العميقة ، ذات النجوم ٠٠ انها بلاد تصلح لقوم من البشر ، خفيفى الايدى ، كبيرى القلوب ٠٠ ومن ثم يمتاز العربى بأنه يقظ ، نشيط ، خفيف الحركة ٠٠ وانه أكثر الناس استغراقا فى التفكير والتأمل ، وأشدهم تحمسا وغيرة ٠٠

وهكذا كان العرب ، كرماء ، جسورين ، صرحاء ، صادقين، عميقى الايمان ٠٠ وكانوا بخلالهم العظيمة يرتقبون اليوم الذى يظهرون فيه للعالم ويستأثرون باهتمامه وتقديره ٠٠

وبين هؤلاء القوم ، ولد محمد فى سنة ٥٧٠ ، فشب فى أحضان البادية ، وحيدا معالطبيعة ومع أفكاره ٠ وقد عرف من باكورة عمره بأنه مفكر ، وكان زملاؤه يلقبونه ب « الامين » ٠٠ وبلغ الاربعين من عمره قبل أن يتحدث عن أية رسالة من السماء ٠ وكان طيلة هذا العمر يمارس حياة وادعة ، هادئة، ينفذ فيها ببصيرته خلال مظاهر الاشياء الى الاشياء ذاتها ٠٠

ثم ٠٠ وبعد أن قضى شهرا معتزلا في غار بالقرب من مكة يصلى ويتأمل ، أنبأ زوجه خديجة بأنه ـ بفضل نعمة من السماء لا سبيل الى وصفها ـ لم يعد يتخبط فى الظلمات ، بل وضح لبصيرته كل شيء ٠٠ فاذا كل هذه الاصنام والاوثان هباء ، وليس هناك سوى اله واحد فوق الجميع ٠٠ فالله كبير ٠٠ وهو الحق ٠٠ « الله أكبر » ٠٠ وهكذا جاء الاسلام يدعو الى طاعة « الله » ٠٠

وهذا هو المذهب الصادق الوحيد الذى عرف حتى الآن٠٠ فالرجل يصيب فى تصرفاته ويغدو عزيز الجانب طالما ربط نفسه بالقانون العظيم ، العميق ، المسيطر على الدنيا ، على

الرغم من كافة القوانين الموضوعة ، والمظاهر المؤقتة الزائلة ، وكل حساب وتدبير ٠٠ وهذه هى روح الاسلام ٠٠ وهى أيضا عين روح المسيحية ٠٠ فعلينا ان نتقبل كل ما يحدث لنا ، على أنه من الله المهيمن علينا ٠٠ والاسلام يرمى - بطريقته الخاصة - الى انكار الذات ، وقمع النفس ٠٠ وهذه هى أسمى حكمة كشفتها السماء لعالمنا الارضى ٠٠ وانى لأجد فى محمد - وفى قرآنه - الصدق والاخلاص ، والتحرر الكامل من الزيغ والضلال ، قبل كل شىء ٠٠ وقد ظل دينه طيلة هذه القرون الاثنى عشر ، مرشدا لخمس الجنس البشرى ٠٠ وظل - قبل كل شىء - موضع ايمان قلبى عميق ٠٠

لقد كان العرب شعبا ضيق الافق ، فبعث اليهم نبى بطل ، فلم ينقض قرن حتى كان العرب قد وصلوا الى غرناطة من ناحية ، والى دلهى من ناحية أخرى !

٣ - البطل فى صورة شاعر

◆ **ان** البطولة التى تتمثل فى القداسة أو النبوة من نتاج العصور الغابرة ، ولا سبيل الى تكرارها فى العصور الحديثة ٠٠ ومن ثم ، فنحن نرى بطلنا الآن فى صورة أقل طموحا ، ولكنها أيضا أقل استدعاء للشك أو للتساؤل ٠٠ تلك هى صورة الشاعر ٠٠ اذ أن البطل يستطيع أن يكون شاعراً ، أو نبيا ، أو ملكا ، أو كاهنا ، أو ما شئت له أن يكون ، تبعا لنوع الوسط الذى يولد فيه ٠٠ ولا أكاد أتصور عظيما حقا ، يعجزه أن يكون أى نوع من العظماء ٠٠

والواقع ان الشاعر والنبى سواء فى محاولة فض مغاليق أسرار الكون ، وان كان النبى ينفذ الى السر المقدس من ناحيته الخليقة ، فى حين أن الشاعر يستشفه خلال بحثه عن الجمال ٠٠ فالشعر أغنية بطبيعته ، اذ أن أفكاره موسيقية ، لا فى اللفظ فحسب ، بل وفى صميمها وصوغها وموضوعها ٠٠

مقارنة بين شكسبير و دانتي



دانتى

ولنأخذ مثلا « شكسبير » و « دانتى » ، الشاعرين اللذين ارتقيا الى مراتب تقرب من القداسة !

لقد عاشا بعيدين أحدهما عن الآخر ٠٠ ولم يكن لهما من نظير ، بل كان كل منهما فردا فذا ٠٠ ولقد وضع دانتى كتابه فى المنفى وسجله بدماء قلبه ٠٠ واتخذت روحه العظيمة، المشردة فى الارض ، لنفسها وطنا وسكنا فى ذلك العالم الآخر المهيب الذى صوره ٠٠وما أشبه المراحل الثلاث ـ الجحيم، والمطهر ، والجنة ـ بثلاثة أقسام فى عالم قدسى ، عظيم ، فوق كل المقاييس الطبيعية ٠٠ وهذه الاقسام الثلاثة بعضها فوق بعض ، فى ظلمة ورهبة مخيفتين ٠٠ هكذا كان عالم الارواح الذى صوره دانتى ٠٠ وكان تصويره أصدق ما قيل فى الشعر

٠٠ ونحن نرى ان الصدق هنا هو معيار قيمة الشعر ، وان القوة هى طابع عبقرية دانتى ٠٠ فان عظمته تتجلى فى تعبيراته القوية وفى عمق عباراته ، وفى حيوية الصور التى ترسمها كلماته ٠٠

وهكذا نرى دانتى يتألق فى سماء المجد ـ حيث يومض كل عظيم رفيع الشأن فى كل العصور ـ براقا كالكوكب الناصع ٠٠

وكما بعث « دانتى » الايطالى الى عالمنا ليمثل فى صورة موسيقية ديانة العصور الوسطى ، ويستخلص منها ديانة أوربا الحديثة ، وحياتها الداخلية الكامنة ٠٠ فكذلك يمكن

القول بأن شكسبير يصور لنا حياة أوربا الخارجية فى تطورها فى زمنه ، بما كانت تحفل به من معانى الشهامة ، والادب ، والكرم ، والفكاهة ، والطموح ٠٠ وما كان يلابسها من طرق التفكير العملى ، والتصرف ، والنظر الى الحياة ٠٠

وكما اننا لا نزال نرى فى اشعار هوميروس بلاد الاغريق العريقة ، فاننا سنظل نرى فى أشعار شكسبير ودانتى ـ ولو مرت آلاف السنين ـ ماكانت عليه أوروبا الحديثة من ايمان، ومن حياة ٠٠ اذ صور لنا دانتى الايمان ـ أو الروح ـ بينما رسم لنا شكسبير الجسد ، بطريقة لا تقل عن طريقة دانتى نبلا ٠٠ فكأنما بعث شكسبير ليسجل لنا هذه الناحية من حياة أوربا ٠٠ وفى الوقت الذى بلغت فيه الشهامة ـ التى كانت تطبع الحياة الاوربية ـ ذروتها ، وأوشكت أن تنحدر الى الانحلال البطىء الذى نراه الآن فى كل مكان ٠٠ فى ذلك الوقت بعث هذا القطب من أقطاب الشعر « شكسبير » بعينين ثاقبتين تنفذان الى أعماق المظاهر ، وبصوت غرد يتردد عبر الاجيال ، ليرقب تلك الحياة ويسجل لها وصفا يبقى على الزمن !

الاضطهاد الذى أظهر عبقريا !

وهكذا كان الرجلان القديران : دانتى عميق ، قوى ، ملتهب كتلك النار الكامنة فى جوف الارض ٠٠ وشكسبير هادىء ، واسع الافق ، بعيد النظر ، كالشمس المطلة على عالمنا ، المنيرة له ٠٠ وقد أنجبت ايطاليا أحدهما ، وكان للانجليز شرف انجاب الآخر ٠٠

ولقد كان ظهور شكسبير فى انجلترا عجيبا ، حتى لكأنه جاء وليد المصادفة ٠٠ وكثيرا ما يخيل الى أنه لو لم يضطهد سيد مقاطعة ((ورويكشاير)) ذلك الـ ((شكسبير)) لانه كان يسرق الوعول من أراضيه ، لما قدر لنا أن نسمع عنه كشاعر عظيم ، هادىء ، كامل ، قادر على استكمال كل نقص فى نفسه

.. وكأنما لم تكن غابات ستراتفورد وسماؤها ، والحياة الريفية الخشنة فى جنباتها ، بكافية لتكوينه .. ثم ، ألم يكن ذلك العصر العجيب الزاهر ، الخالد الأثر فى تكوين انجلترا ، والذى ندعوه بعصر « اليزابيث » ، لونا آخر من ألوان المصادفة فى حياة شكسبير ؟

ألا ما أشبه الحياة بشجرة تزدهر وتذبل وفقا لقوانينها وقواعدها الخاصة التى لانكاد ننفذ الى حقيقتها !.. انه لعجب لم يوله أحد حقه من التأمل والدراسة بعد .. فما الورقة الذاوية الجافة الساقطة على الارض سوى مثل تتجمع فيه عوامل هى فى الواقع أجزاء من النظام الشمسى ومن مجموعة الكواكب والاجرام .. وما من فكرة تخطر للانسان ، ولا كلمة ينطق بها ، ولا عمل يصدر منه ، الا وله منبع مستمد من جميع البشر ، والا وله أثر لا يلبث أن يؤثر - بشكل ظاهر أو بشكل غير ظاهر - على سائر الناس ، عاجلا أو آجلا !.. وهكذا الامر كله كالشجرة ، تستمد حياتها من دورة العصارات فى كل كيانها ومن تأثيراتها على هذا الكيان ، ويتجلى الاتصال والتعاون المتبادلان فيها بين أصغر ورقة وأدق وأدنى شعيرة فى الجذر .. وبين أعظم الاجزاء وأضألها على العموم ..

سر عظمة شكسبير

وتظهر عظمة شكسبير أكثر بروزا وجلاء فى تصويره للانسان .. فليس لمخيلته الهادئة ، المتكبرة ، مثيل .. اذ أن كل كلمة فى رواياته انما تنبعث من تغلغل ، وصفاء قريحة ، وجلاء بصيرة .. وهو في تصويره يلم بكافة أنواع الانسان : من « عطيل » الى « فالستاف » ، ومن جولييت الى كوريولينس .. وهو يصور كلا من هؤلاء تصويرا كاملا ، دقيقا ، فى عدل وانصاف واعتزاز بكل منهم ..

ومن المقاييس الصحيحة للرجل ، مدى ما يؤتى من بصيرة .. وقد كان شكسبير أعظم أهل الفكر ، اذ أن مسرحياته

تعتبر فى عمق الطبيعة ذاتها ٠٠ أى ان فنه لم يكن اصطناعا ، ولم يكن أسمى ما فيه وليد الصنعة ، ومن ثم فستظل الاجيال القادمة تجد فى شكسبير معانى جديدة ، وأضواء جـديدة تكشف عن نفوسهم ، كما كشفت عن نفوس أبنـــــاء جيل شكسبير والاجيال اللاحقة له ٠٠

وهكذا! كان شكسبير ـ هو الآخر ـ نبيا ، ذا بصيرة ملهمة ، ولكنه فسر وحيها من ناحية أخرى ٠٠ ذلك ان الذين تأويهم الجزيرة الانجليزية لن يلبثوا عما قريب أن يغدوا جزءا صغيرا من الانجليز ، اذ سينتشر السكسون شرقا وغربا ، وفى أصقاع شاسعة من الكرة الارضية ٠٠ فما الذى يستطيع أن يربط بين هؤلاء جميعا فى أمة واحدة متماسكة حقا ، فلا يتفككون ، ولا يتقاتلون ، بل يعيشون فى سلام ؟

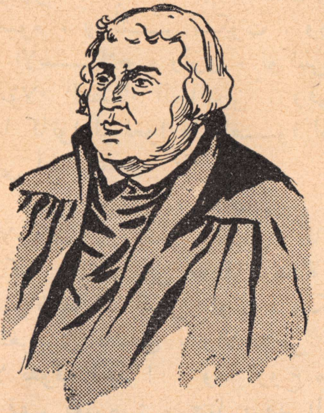
اننى أجيب عن هذا ، بأن الذى سيربط بينهـــم لن يكون سوى ملك انجليزى لا يزعزع الزمن أو الاحداث عرشـه ٠٠ الملك شكسبير ، الذى يشرق علينا كأنبل ، وألطف ، وأقوى الروابط ٠٠ وانا لنذهب الى انه سيظل يرسل ضياءه فوق الشعوب الانجليزية لآلاف السنين ٠٠

حقا ، ان من أعظم ما تحظى به أمة ، أن يكون لها مثل هذا الصوت الجهورى ملهما !

٤ ـ البطل فى صورة رجـل الديـن

◆ **ورجل** الدين ـ كذلك ـ نوع من الانبياء ، اذ لا بد من أن يؤتى هو الآخر قبسا من الالهام ٠٠ فهو يرأس الناس فى عبادتهم ، ويربطهم بالقوة القدسية التى لا تدركها عين ٠٠

لقد كان « لوثر » و « نوكس » من رجـــال الدين المعترف بهم ، ولكنا نؤثر هنا أن نعتبرهما كما صورهما التـــاريخ :



مارتن لوثر

مصلحين ! ٠٠ فان المصلح المكافح ظاهرة لا مناص من حدوثها ، وتمس الحاجة اليها بين آن وآخر ٠٠ اذ أن الحواجز والعقبات لا يمكن أن تتلاشى قط عن طريق الانسان ، بل ان دواعى التقدم نفسها قد تنقلب الى سدود وقيود ، مما يستدعى هزها وزحزحتها لنمضى قدما ونخلفها وراءنا ٠٠ وهى مهمة كثيرا ما تكون بالغة الصعوبة ٠٠

ولنا أن نعتبر لوثر من محطمى الاصنام ، ليردوا البشر الى الحقيقة ، وهذه وظيفة العظماء ومعلمى البشرية ٠٠ فلقد قال لوثر للبابا : « ليس هذا الذى تدعوه غفرانا للخطايا سوى حبر على ورق لن يلبث أن يبلى ٠٠ انه وأمثاله لا يعدو ذلك ٠٠ فليس غير الله غافر للذنوب ، وليست الكنيسة ممثلة لله ، ولا الجنة والنار صورا رمزية ٠٠ وانى اذ أومن بهذا أشعر بأننى ـ أنا الراهب الالمانى الفقير ـ أقوى منكم جميعا ! »

ولعل أهم مراحل الاصلاح هى التطهر ، وهو ما يذهب اليه الطهريون ـ « البيوريتان » ـ وقد أنتج التطهر ثمارا جنية فى الدنيا ٠٠ بل انه وطد أقدامه كدين قومى لدى الاسكتلنديين ، وأتباع الكنيسة « المشيخية » ، التى كان « نوكس » قسها الاكبر ومؤسسها ، والتى غدت مذهب اسكتلندا ، ومذهب أوليفر كرومويل الذى أراد اصلاح نظام الحكم والحياة فى انجلترا ٠٠ وفى وسعنا أن نصف ما فعله « نوكس » لأمته بأنه بعث حقيقى من الموت ! اذ شرع القوم يرتدون بعده الى الحياة ، فازدهر الادب والفكر والصناعة فى اسكتلندا ،

وظهر أقطاب خلدهم التاريخ مثل جيمس وات ، ودافيد هيوم ، وولتر سكوت ، وروبرت بيرنز ٠٠ وانى لأرى « الاصلاح » وأرى « نوكس » فى قرارة نفس كل واحد من هؤلاء العظماء الخالدين ، وفى أعمالهم ٠٠ واعتقد أنهم ما كانوا ليبلغوا ما بلغوا لولا روح الاصلاح التى نفثها هو فى أبناء عصره ٠٠

ان « نوكس » مثال يبين لنا كيف يستطيع المرء بصدق الاخلاص أن يغدو بطلا ٠٠ كان رجلا طيبا ، أمينا ، موهوبا ، ذكيا ٠٠ لم يكن خارقا للعادة ، بل انه كان ضيق العقل ، متواضعا اذا قيس بلوثر ، ولكنه من حيث الايمان ، والتشبث الغريزى بالحق ، والاخلاص الصادق الحقيقى ، كان فذا ، لا يفوقه أحد !٠٠ وما أروع ما قاله عنه ايرل مورتون اذ وقف بقبره : « هنا يرقد الشخص الذى لم يرهب يوما انسانا ! »

٥ ـ البطل فى صورة أديب

◆ **ثم** هناك البطولة فى مجال الادب ، وهى ظاهرة فذة ، جديدة ٠٠ فالاديب الذى يقضى عمره فى جحر قذر ، وثوب رث ، ثم يقدر له اذا ما مات أن يسيطر من قبره على أمم وأجيال بأسرها ٠٠ هذا الاديب يجب أن يعتبر أهم شخص فى حياتنا الحديثة ٠٠ فهو بهذا الوضع روح الجميع ، اذ أنه فى حد ذاته يؤدى عين المهمة التى كانت الاجيال الغابرة تسمى صاحبها نبيا ، أو كاهنا ، أو صاحب قداسة ٠٠

ولقد كان الانبياء الثلاثة الكبار فى القرن الثامن عشر ـ الذى انطبع بالزندقة والالحاد ـ هم : جونسون ، وروسو ، وبيرنز ٠٠ وما كانت بطولتهم فى أنهم حملوا النور الى البشر ، وانما كانت فى أنهم راحوا يبحثون عنه وينشدونه ، مجاهدين تحت أعباء من العوائق والعقبات المتراكمة كالجبال ٠٠

أما « جونسون » فقد اعتدت أن أعتبره دائما من عظمـاء الانجليز ٠٠ كان نبيا بفضل ما أوتى من اخلاص ، وبفضل ما كان له من مقدرة على أن يؤدى رسالته بأسلوب مستمد من أعماق الطبيعة ، وان صاغه فى الاسلوب الذى كان يسـود عصره ، والذى كان يعتمد على التجـديف فى كل المقومات الخلقية والروحية !

وكانت أسمى دعوة نادى بها هى مراعاة الدقة والحذر فى معالجة المسائل العقلية والادبية ٠٠ وأردف بهـذه دعوة رفيعة أخرى ، هى : « طهر عقلك من الزيغ والزندقة ! » ٠٠ وهاتان الدعوتان تؤلفان أعظم رسالة كانت ممكنة فى ذلك الزمن ٠٠

أنانية روسو !

أما « روسو » فلست بحاجة الى الاسهاب فى الحديث عنه وعن بطولته ٠٠ انه لم يكن قويا ، بل كان معلولا ، سريـع الانفعال والتأثر ، كثير التشنج ٠٠ أجل لم يكن قويا ، وانما كان شديدا ، وكان مخلصا فى حماسه وايمـانه بالآراء التى يراها ، حتى لقد كانت تستولى على لبه وجنانه ٠٠

ولكن ، كانت غلطة روسو ومبعث شقوته ، انه كان أنانيا ٠٠ فالانانية منبع كل الاخطاء والتعاسات على اختلافهـا ٠٠ ولم يقدر له أن يصل الى الغلبة الكاملة على الشهوة المجردة ، فظل الجوع الجنسى حافزه الرئيسى !٠٠ وكان شديد الغرور، متعطشا أبدا الى أهازيج الاطراء ٠٠ وكانت نفسه بأسرهـا مسممة ملوثة ، لا يعمرها سوى الشك ، والاعتزال ، والمسلك الذى يمتاز بحدة الانفعال ، وتقلب الطباع ٠٠

ومع ذلك ، فقد استطاع روسو ـ وهذه حاله ـ أن يلمس الحقيقة ويكافح من أجل الوصول اليها ، بما أبداه من اهتمام

واحتفاء بالطبيعة ، وبالحياة الفطرية الضارية بين أحضان الطبيعة ٠٠ وكان من الغريب حقا أن نجد فى قرارة فؤاد روسو المسكين جذوة من النار القدسية الحقيقية ، رغم مثالبه ونقائصه وانحرافاته ٠٠ فلقد انبعث فى نفسه ـ رغم الفلسفة الساخرة ، والزندقة ، والمجون ، التى شاعت فى أيامه ـ شعور ومعرفة لا يكاد العقل يصدقهما ، بأن هذه الحياة التى نحياها حقيقة صحيحة واقعة ، وليست وهما أو مجرد نظرية ٠٠

ووجدت الثورة الفرنسية فى روسو الرسول الذى يبلغها انجيلها ٠٠ وساعدت حملاته المحمومة على ما فى الحياة المتحضرة من تعاسات ونقائص ، على بث وقدة الحمى والثورة فى فرنسا عامة ٠٠ ومن العسير أن نحدس ما قد يفعله حكام العالم برجل كهذا ، ولكن فى وسعنا أن نعرف ما قد يفعله رجل مثله بهم ٠٠ انه كفيل بأن يسوق الكثيرين منهم الى٠٠ المقصلة !

أما بيرنز ، فان مأساة حياته معروفة للجميع ٠٠ فان هذا الرجل الذى تقمصته أعظم نفس فى الاراضى البريطانية طرا ، كان يبدو منحوسا ٠٠ فلقد ولد فقيرا ، لم يجد من يعلمه ، فكأنما خلق للكدح والعناء ٠٠ ولما قدر له أن يمارس الكتابة ، راح يؤلف فى اسلوب ريفى ، ولهجة خاصة لا يألفها سوى أهل الاقليم الريفى الصغير الذى كان يعيش فيه ٠٠

اننا لنجد فى بيرنز نبوغا ساميا ، ومع أنه نبوغ «غفل» غير مصقول ، الا أنه امتاز بالبساطة الصادقة التى تنطوى على القوة ٠٠ كان فيه معنى كامنا ، عميقا ، من ضياء الشمس والبهجة ٠٠ على أن الخلة الاولى فى شعره وفى حياته هى الصدق فى الاخلاص ، مما جعله يعيش فى صراع حامى الوطيس لاستجلاء حقائق الاشياء ٠٠

٦ ـ البطل فى صورة الحاكم

◆ من حق ولى الامر على الناس ، أن يكون أهم العظماء ، اذ اننا نكل اراداتنا الى ارادته ، وندين له بالولاء ، ايمانا منا بأن فى هذا خير الجميع ٠٠ وهو يسمى بالـ « عاهل » ، أو « المنظم » ، أو « الملك » ، أو « الحاكم » ٠٠

ومن الثوار من نصب نفسه ملكا فى عهود الثورات ، بعد أن ماتت الملكية وألغيت ، كما فعل كروموبل ونابليون ٠٠

ولقد كانت حرب « البيوريتان » ـ فى تاريخ انجلترا ـ جزءا من الحرب الشاملة التى تصنع التاريخ الحقيقى الصحيح للدنيا ٠٠ حرب العقيدة والايمان ضد الجحود والكفر ٠٠ أو بالاحرى ، صراع أولئك المجاهدين من أجل حقائق الامور ، ضد أولئك المتشبثين بمظاهر الامور وأشكالها ٠٠


كروموبل

ويقف كروموبل عاليا ، رفيع المكانة بين « البيوريتان » ، يمد يديه جبارا نحو الحقيقة التى تجلت له عارية ، وجها لوجه وقلبا لقلب ٠٠ ومع ذلك ، فانه الوحيد بين المكافحين الذى قيل عنه انه لم يكن له عذر ولا حجة ٠٠ وانه كان أنانيا ، طامعا فى طموحه ، غير أمين ، بل كان منافقا ، مرائيا ، جشعا ٠٠ فحول الصراع النبيل من أجل الحريه النيابية الى مهزلة تدعو للرثاء ، مثلت من أجل مصلحته الخاصة !

هذه هى الصورة التى رسموها له ٠٠ ولقد كانت تبدو لى دائما أبعد من أن تصدق ، فان كل ما نعرفه عنه لا ينم الا عن صدق وصراحة واخلاص ، ولا نملك الا أن نلاحظ فى كل أعماله نظرته الحاسمة ، العملية ، واتجاهه نحو كل ما هو عملى ممكن التحقق من الامور ، وبصيرته الصادقة التى تتغلغل به الى أعماق الواقع ٠٠

ومثل هذه الخلال لايمكن أن يؤتاها رجل دعى ، زائف٠٠ فان من كان زائفا لا يرى من الامور سوى المظاهر الزائفة ، وسوى الرياء والنفاق ، فى حين أن الرجل الصادق لا يميز سوى الحقيقة العملية ٠٠

موهبة نابليون الرئيسية

◆ **ونابليون** لا يقل عظمـــة فى نظرى عن كرومويل ٠٠ صحيح ان فتوحاته الهائلة شملت أوربا بأسرها ـ فى حين أن كرومويل حصر جهوده فى انجلترا على صغر مساحتها ـ ولكن فتوحات نابليون لا تميزه على كرومويل ، اذ أنها لم تعد أن تكون نصبا خشبية يرتفع عليها ليزداد ظهورا ، ولكنها لا تزيد من عظمته ولا تغير منها ٠٠

ولقد شاع فى أيام نابليون مثل معنـاه : « زائف كنشرة رسمية » ، لما عرف عن النشرات التى كان يصدرها نابليون أثناء غزواته من احتشادها بالزيف !٠٠ ومع ذلك فقـد أوتى نابليون شيئا من صدق الاخلاص ٠٠ أوتى شعوراً غريزيا ، عجيبا ، لتعرف الحقيقة ٠ وقد قام على أسس من الواقع طيلة السنين التى كان يحفل فيها بالاسس ٠٠ وكانت له غريزة فطرية تفوق ثقافته !

ومما يروى عنه أن رفاقه شغلوا ذات مساء بالجدل حول وجود الله وعدم وجوده ، وأخذوا يؤكدون بكل الحجج المنطقية

أن لا وجود لله ٠٠ فما كان من نابليون الا أن تطلع الى النجوم ثم قال : « يا له من ذكاء يا سادة ، ولكن ٠٠ من الذى خلق كل هذه ؟ » ٠٠ وهكذا تسرب من ذهنه منطقهم المنطوى على التجديف والزيغ ، اذ طالعته الحقيقة العظمى ماثلة أمام عينيه ٠٠ وكذلك كان نابليون في الامور العملية : يرى ، ككل من كتب له المجد ، لب الناحية العملية فى كل أمر ، فيتجه اليه مباشرة !

ومن ثم فقد كان فى أعماقه ايمان ظل حقيقيا صادقا طيلة وجوده ٠٠ وكان من صدق بصيرته أن رأى أن الحكم لصالح الشعب حقيقة لا قبل للعالم كله بمقاومتها أو كبتها ، فاتجه اليها بوعيه وحماسه ٠٠ ثم ، ألم يكن موفقا فى اجلاء غموضها، حين قال : « ليس أجدر بالسلطات من الايدى التى تحسن مسك زمامها » ٠٠ هذه فى الواقع هى الحقيقة كلها ، فهى تتضمن كل ما للثورة الفرنسية أو أية ثورة أخرى من معان٠٠ انها رسالة صادقة ، عظيمة ، من آخر العظماء الذين أوردنا ذكرهم هنا ٠٠

مكر « مكيافيللى » !

◆ من أطرف نوادر « التشنيع » التى أوردها كاتب أمريكى فى كتاب حديث له ، هذه النادرة عن موسولينى : فقد ذكر أنه سمع فى روما قوما يتندرون بأن الدوتشى حين مات ذهب الى الجنة ، فاستقبله نابليون فيها استقبالا حارا ، ثم نبهه الى أن « الله » سوف يدخل عليهم بعد لحظات ، وان من واجبهم جميعا فى هذه المناسبة أن ينهضوا واقفين اجلالا لله .. فقال موسولينى مستغربا :

ـ ماذا ؟ أنا أقف ؟ لا تنس اننى الدوتشى !

فأجابه صوت أحد الحاضرين : « أنا يوليوس قيصر ، ومع ذلك تفرض على اللياقة أن أقف .. »

واحتدمت المناقشة ، فتدخل فيها « مكيافيللى » قائلا انه سوف يدبر حلا للموقف فى الوقت المناسب . وبعد حين سمعت ثلاث طرقات صارمة على الباب ، معلنة قدوم الله .. فصاح مكيافيللى : « انتباه !.. ها هو « المصور » قادم ! »

فانتفض موسولينى واقفا ورفع يده بالتحية !

وساد السلام والسكينة أنحاء الجنة ..

الحياة قصة



روائع القصص العالمى

عزيزى القارىء ...

قرأت معى فى الاعداد الماضية قصص :

- اموك : لستيفان زفايج
- مرتفعات وذرنج : اميلى برونتى
- قلب عذراء : جون جالزوورثى
- التلميذ : بول بورجيه
- احدب نوتردام : فيكتور هوجو
- جريمة حب : بول بورجيه
- جين اير : شارلوت برونتى
- ايام بومباى الاخيرة : ليتون
- مانون ليسكو : الاب بريفو
- حديقة الله : روبرت هتشنز
- عندما تحقد المراة : اونيه
- آسيا : ايفان تورجنيف
- كاس تمبرلين : سنكلير لويس
- الشيطان على الارض : رسل
- رسالة من مجهولة : زفايج
- تاييس : اناتول فرانس
- بلاد العميان : ه.ج. ويلز
- نادى الانتحار : ستيفنسون
- كوخ العم توم : ستو
- البوهيمية : هنرى موجيه
- فتاة لها ماض : بورجيه
- شيرى : كوليت
- الجريمة والعقاب : دستويفسكى
- لحن كرويتزر : تولستوى
- أميرة مصر : جورج ايبرز
- الامطار : سومرست موم

واليوم اقدم لك هذه القصة الرائعة التى تجرى وقائعها فى الاسـكندرية القديمة .. أيام مجدها التليد !


APHRODITE
Par
PIERRE LOUYS
بيير لويس
افروديت
غانية الاسكندرية القديمة

قصة الحب ((الوثنى)) !

أفروديت !

القصة الحديثة ـ نسبيا ـ التى فاقت فى تصويرها للحب الوثنى والجمال الحسى كل ما كتب القدماء في هذا البـاب من قصص ، ومآس ، وملاحم .. والتى يعتبرها الفرنسيون اعظم قصة حب فى الادب الفرنسى على الاطلاق ! .. كما يعتبرها الامريكيون اجرأ قصة تصور مقاييس الاخلاق فى العصر السابق للحكم الرومانى ، وهو العصر الذى كان طابعه المرح و ((الحرية)) المغالى فيها !



ومؤلف القصة هو الاديب والشاعـر الفرنسى ((بيير لويس)) (١٨٧٠ ـ ١٩٢٥) ، وقد نشرها عام ١٨٩٦ فكانت السبب فى تألق نجمـه ، ثم اعقبها بعد عامين بقصته الاخرى التى لا تقل عنها روعة : ((المرأة والدمية)) أو ((المرأة لعبتها الرجل))

الجزء الاول

◆ **ظلت** منذ استيقظت فى الساعة الثانية من بعد الظهر، منكفئة على الفراش الوثير غير المنسق ، وقد باعدت ما بين ساقيها ، وأسندت احدى وجنتيها الى يد ، بينما كانت اليد الاخرى تخز وسادة حريرية خضراء بدبوس ذهبى طويل ..

وكان فيض غزير من الشـعر الذهبى الداكن ، اللامع ، الناعم كالفراء ، ينسدل مغطيا نصف ظهرها ، وينساب منتشرا تحت جسدها ، ويتناثر فى حلقات عند ركبتيها .. وهـذه الغلالة من الشعر الذهبى المشـوب بشىء من لون البن ، هى التى أوحت الى نساء الاسكندرية بأن يدعوها « كرايزيس » .. ولقد أحبت الاسم ، وكان الشبان الذين يترددون عليهـا يدعونها « كرايزى » فى الاشعار التى كانوا يتركونها مـع باقات الورد عند بابها كل صباح ، تشبيها لها ب «افروديت»، الهة الحب والجمال عند الاغريق !

وما كانت « كرايزيس » من المؤمنات بأفروديت ، ولكن كان يسرها أن يقارنوها بهذه الالهة، ومن ثم كانت تسعى الى هيكلها فى بعض الاوقات ، فتهدى اليها صناديق العطر والاقنعة الزرقاء ، وكأنها تجامل احدى الصديقات !

ولدت على ضفاف بحيرة « الناصرة » ، فى بلاد جمعت بين الظلال والشمس المشرقة ، وكستها الزهور ٠٠ وكانت أمها تسعى فى كل مساء الى الطريق المفضية الى بيت المقدس ، ترتقب المسافرين والتجار فى غمرة الصمت والسكينة ٠٠ وكانت امرأة موفورة الاحترام ، لا يتجنب الكهنة بابها لجودها وتقواها ٠٠ ولكن حالها ، حين بدت عليها امارات الحمل ، غدت مادة للهمسات ، اذ كانت تعيش وحيدة ٠٠ وقال رجل عرف بمهارته فى كشف الغيب انها ستضع ابنة تحمل يوما حول نحرها « ثروة أمة وايمانها » !٠٠ ولم تدر فى الواقع كيف تتحقق نبوءة كهذه ، بيد أنها أسمت الطفلة « سارة » ـ أى « أميرة » باللغة العبرية ـ فأخرصت بذلك أحاديث السوء !

وما عرفت « كرايزيس » قط شيئا عن هذه النبوءة ، اذ بين العراف لامها مدى الخطر الذى يحيق بالشخص اذا كشفت له نبوءات تتعلق به !٠٠ لا ولا عرفت شيئا عن مستقبلها الذى طالما فكرت فيه ٠٠ ولا كانت تذكر عن طفولتها سوى القليل الذى لم تكن لتحب أن تتحدث عنه ٠٠ كان الشعور الوحيد الذى بقى فى نفسها واضحا ، هو الخوف والضيق من جراء الرعاية المفرطة التى كانت تفرضها عليها أمها ٠٠ كانت اذا حانت ساعة انطلاقها الى الطريق لمقابلة الرجال ، تحبسها فى حجرتها ساعات لا حصر لها٠٠حتى تعود!

وكانت تذكر أيضا النافذة المستديرة التى كانت ترى خلالها مياه البحيرة ، والحقول المترامية خلال الزرقة الباهتة ، والسماء الصافية ، ونسيم منطقة « الجليل » ٠٠ وكان البيت

محوطا بزهور الكتان والاثل الوردية ٠٠ والنباتات الشوكية ترفع رؤوسها الخضراء المتناثرة فوق الاعشاب التى كانت خضرتها تميل الى الزرقة ٠٠ والفتيات الصغيرات يغتسلن فى جدول رقراق ، ويلتقطن الاصداف الحمراء المتشبثة بزهور الغار ٠٠ وكانت ثمة زهور على الماء ، وفى المروج ٠٠ وزنابق كبيرة على الجبال ٠٠

وكانت فى الثانية عشرة من عمرها حين هربت لتتبع ثلة من الشبان التقت بهم مصادفة بجوار بئر ، وهم فى طريقهم على الجياد الى « صور » ليتجروا فى العاج ٠٠ وانها لتذكر تماما كيف حملوها على جيادهم وقد شحب وجهها لفرط الفرح ، وكيف انهم توقفوا عن السير فى المساء ٠٠ وكان مساء مشرقا ٠٠

كذلك لم تنس دخولهم الى « صور » ، وهى فى المقدمة جالسة على سلال فوق ظهر جواد ، وقد أمسكت بقبضتيها عفرته ، وراحت تهز ساقيها لنسوة المدينة وقد ازدهاها أن غدت هى الاخرى امرأة !٠٠ وفى الليلة عينها ، سافر بائعو العاج الى مصر ، فتبعتهم الى سوق الاسكندرية ٠٠

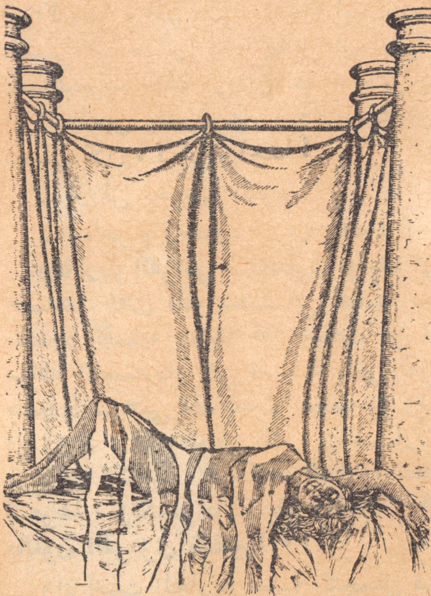
وهناك خلفوها بعد شهرين فى بيت أبيض صغير ، ذى شرفة وأعمدة ٠٠ ضمها ومرآتها البرونزية ، وثيابها الغالية ، وحشياتها الوثيرة ، وجارية هندية بارعة فى تنسيق الشعر، تخدمها وترعاها ٠٠

✣

واذ كانت تقيم فى أقصى الحى الشرقى من الاسكندرية ــ الذى كان شباب اليونان يعافون زيارته ــ فانها ظلت أمدا طويلا لا تلتقى بغير المسافرين والتجار ، كما كانت تفعل أمها ٠٠ وكانت لا تصاحب أحدا فترة طويلة ، حتى لا يعلق به قلبها ! ومع ذلك فانها كانت تثير فى نفوسهم عواطف لا يخمد لها أوار ، حتى لقد كان أصحاب القوافل يبيعون بضائعهم بأثمان بخسة ، ويفلسون ، فى سبيل أن يبقوا الى جوارها

أياما قلائل !٠٠ ومن منحهم ابتاعت لنفسها جواهر، وحشيات، وعطورا نادرة ، وثياباً موشاة ، وأربعا من الجوارى ٠٠!

وتمكنت من الالمام بكثير من اللغات الاجنبية ، وأحـــاطت بقصص كل البلدان ٠٠ اذ حدثها الاشوريون عن غرام «دوزى» و « عشتار » ٠٠ والفينيقيون عن « عشتروت » و « ادونيس » ٠٠ وحكت لها اليونانيات اسطورة « ايفيس » ٠٠ كما عرفت قصة هوى « اتلانتا » ٠٠ وأخيرا لقنتها الجارية الهندوكيـــة – خلال سبع ســـنوات – أدق غوامض فنـــون كاهنات « باليبوترا » ٠٠ اذ أن الحب فن كالموسيقى ، يبعث فى النفس ما تبعثه الانغام من مشاعر رقيقة ، جياشة ٠٠



هكذا عاشت سبع ســنوات ، لا تحلم بحياة اسعد ولا اكثر تلونا من حياتهـا ٠ ٠ بيـد ان الطمـوح استيقظ فى نفسهـا – قبيـــل بلوغهـا العشرين – مع يقظة النضوج ٠٠

وفى ذلك الصباح ، استيقظت كسلى – بعد نـوم عميـق – فى الساعة الثانية بعد الظهـــر ، فالصقت صدرها بالفراش ، وباعدت بين ساقيها ، وراحت تثقب الوسادة بدبوسـها الذهبى

الطويل ٠٠ وهى مستغرقة فى التفكير ٠٠ وفجأة صــاحت : « جالا ٠٠ جالا ! »

وأقبلت جاريتها الهندية ، تحمل اليها علبة المجوهـرات ، فلم تعن بالنظر اليها ، بل هتفت وهى ترفع ذراعيها متمطية :

ـ أواه يا جالا !٠٠ لكم أتوق الى مغـامرات غير عادية ٠٠ لقد كان الآلهة يهبطون الى الارض فى غابر الازمان فيعشقون نساء البشر ٠٠ أواه !٠٠ بأية حال ينبغى أن نرتقبهم ، وفى أى الغابات نبحث عنهم ؟٠٠ أية صلوات يجب أن تؤدى ليأتنى اولئك الذين قد يعلموننى شيئا او يمكنوننى من ان انسى كل شيء !؟٠٠ واذا كان الآلهة قد كفوا عن الهبوط ، أو ماتوا ، أو اكتهلوا ، أفترينني يا جالا أموت دون أن أرى رجلا يشيع الضنى فى حياتى ؟٠٠ يخيل الى اننى لو وجدت من يهوانى ، لاستشعرت اللذة فى أن أعذبه حتى يموت من الوجد ٠٠ أما هؤلاء الذين يفدون علي ، فلا يستحقون البكاء من أجلهم ٠٠ دعينى الآن ، لا اريد احدا !

ـ أو لن تخرجى اليوم ؟

ـ سأخرج وحدى ٠٠ ولن أعود ٠٠ اخرجى ٠٠ اذهبى !

وغادرت الفراش ، فخطرت وئيدا الى حمامها ٠٠ كان مرأى جسدها خلال الماء يبعث فى نفسها سرورا عظيما ، اذ كانت تتصور نفسها صدفة قد تفتحت عن لؤلؤة كبيرة ٠٠ وكانت ساعة الاستحمام هى الساعة التى تملى عينيها فيها من مفاتن جسمها ـ حتى لقد غدت تعجب به وتعبده ـ فاذا جنح النهار الى زوال ، خرجت من الماء ، وســارت الى الباب مترنحة كمن برح بها التعب ، فتتلقاها الجارية تجفف جسدها ، وتنســق شعرها ، وتكسو بالاصباغ والعجائن قسمات وجهها ، وتصبغ باللون القرمزى شفتيها ٠٠

واذ أتمت الجارية عملية التجميل فى تلك الليلة ، اضطجعت

« كرايزيس » فى مقعدها الرخامى مبتسمة ٠٠ وسألتها أن تغنى لها .. فمضت الجارية تنشد :

« شعرك يا كرايزيس كسرب من النحل حط على شجرة ٠٠ تتخلله رياح الجنوب الحارة محملة بالحب ، وشذى زهور الليل ٠٠ »

فردت عليها الفتاة فى صوت رخم وئيد : **« بل ان شعرى كنهر لا نهاية له ، فى سهل يفيض منه الليل المتأجج اللهب ٠٠ »**

وعادت الجارية تغنى : **« عيناك كبنفسج الماء ، يقبع على البحيرة دون سيقان »** ٠٠ فردت الغانية منشدة : **عيناى فى ظلال أهدابى كبحيرتين عميقتين تحت أغصان وارفة ٠٠ »**

وهكذا مضت الجارية تتغنى بوصف كل عضو فى جسد مولاتها ، والشابة تجاوبها ٠٠ والليل يزحف رويدا ، والقمر يفيض من ضيائه اللازوردى على الحجرة ، فتتأمل كرايزيس انعكاس وميضه على بشرتها ٠٠ ثم هبت فجأة قائلة :

ـ لقد هبط الليل ولما أخرج بعد ٠٠ ألا ترينني الليلة يا جالا اجمل منى فى اية ليلة اخرى ؟ .. لا بد اننى اجمل امرأة فى الاسكندرية !.. منذا الذى لا يتبعنى كالكلب اذا ما رشقته بنظرة من عينى الدعجاوين !؟

على رصيف الميناء

◆ **على** اللسان الصخرى الممتد فى البحر ـ من أحد أطراف ساحل الاسكندرية ـ كانت غانيات الاسكندرية يخطرن فى ساعة الغروب فى غدو ورواح ، يلاحقهن الشبان والبحارة بعبارات الغزل ٠٠ وكن ثلة متباينة ، ففيهن المعروفات لكل الرجال ، وفيهن المجهولات ٠٠ وبينهن الرافلات فى الحرير ، والمسكينات شبه العاريات ٠٠

وكانت تلك الليلة عشية عيد الالهة « افروديت » ، فكان يباح لكل غانية أن ترتدى من الثياب ما يبدى مفاتنها ٠٠ ومنهن من آثرت ان تظهر شبه عارية !

وكانت الغانيـــات يتبادلن الحديث والمجـــاملات وهن يتضاحكن . وسألت احداهن ـ وكانت تدعى « ياسيسو » ـ زميلة لها تدعى « ترايفيرا » :

ـ أمدعوة أنت فى مأدبة « باكيس » ؟.. انها تقيم وليمة كبرى ، احتفـــالا باعتزامها عتق أجمل جارياتهـــا : « افروديسيا » !

ـ هل تبينت أخيرا أن أحدا لا يزورها الا من أجل الجارية؟

ـ ما أظن ذلك .. وانما كانت كل بغيتها أن تكون لهـــا جارية معتوقة .. ثم أن تشيريس العجوز ـ ربان ســـفينة المرفأ ـ أصيب بلوثة ، وسيعرض خمسة وثلاثين « مينـــا » لقاء تحريرها !

ـ خمسة وثلاثين « مينا » ؟.. ثلاثة آلاف وخمســـمائة دراخما ثمنا لجارية سوداء ؟

ـ ان أباها أبيض .. وتشيريس هائم بها حبا .. انه غير مدعو الى المأدبـة التى سترقص افروديسيا فيهـا رقصتها الاخيرة ..

وأقبلت عليهما اذ ذاك غانية ثالثة تدعى « موساريون » ، فما أن أدركت انهما تتحدثان عن مأدبة باكيس حتى هتفت :

ـ أتذكرين يا ترايفيرا مأدبتها السابقة ، وما قيل فيها عن كرايزيس ؟

ـ ما ينبغى أن ترددى ما قيل ، فان سيسو صديقة لها !

فقالت سيسو : « **لا عليكما .. للناس أن يتحدثوا كما يحلو لهم ، ولكن أحدا لا ينكر انها اذا هجرت الحى الذى تقيـــم فيه ، فلن يتردد عشاقنا فى أن يهجرونا ليتبعوها !.. ولست أغالى اذ أقول ان ليس بيننا من تضاهيها جمالا ..** »

وسرت بـين القوم اذ ذاك همهمـة تـردد خلالهـا اســم « ديمتريوس » ، ناحت التماثيل الجميل الذى عشقته الملكة وعرضت عليه نفسها نموذجا لتمثال ينحته لافروديت ، كي

يقام فى معبدها ، وأغمضت عينيها عن مغامراته الغرامية حتى لا يغضب فيرحل الى رودس !

وكان ديمتريوس يخطر ساعتئذ فى صمت ، غير حافل بنظرات الغوانى اللائى كن يرين فيه فارس الاحلام .. واذ أمعنت جيوش الظلام فى زحفها ، انفض المتنزهون .. فأسعده أن تسيطر السكينة على رصيف الميناء ..

معشوق النساء !

◆ بقى ديمتريوس وحيداً ، وقد اعتمد على سياج الرصيف ، ينصت الى هدير البحر ، وحفيف النسيم .. ويرقب المدينة الملتفة فى غلالة من الاضواء المنسابة من نوافذ بناياتها ..

كان برما بحياته ، حتى لقد اعتاد أن يبرح داره مع طلائع الليل ، فلا يرتد اليها الا مع طلائع الفجر .. فقد ضاق بالملكة التى أسقمته بتهالكها واسرافها فى الكلف به ، وفى ارهاقه ارضاء لنزواتها المشبوبة .. وأوشك فى ضيقه أن ينكر على نفسه ما تولاها من فرح يوم دعته الملكة ـ منذ ثلاث سنين ـ الى جناحها الخاص ، وقد تناهى اليها حديث جماله وعبقريته .. وكانت وحيدة ، مستلقية على أريكة ، غارقة فى أفواف من الحرير الاخضر الذى انعكس لونه على جدائل شعرها الفاحمة المسترسلة ..

وركع ديمتريوس فى احترام ، فتناول قدمها وقبلها ، وكأنها تحفة جميلة غالية .. فانتصبت الملكة واقفة ، وفى بساطة الجارية التى تعمل نموذجا لفنان ، نضت عنها ثيابها وتجردت من حليها ، ووقفت باسطة كفيها بمحاذاة كتفيها ، وقد رفعت رأسها .. وكان ديمتريوس يعرف أنها ابنة أحد ملوك البطالسة واحدى أميرات سوريا المنحدرات من نسل الالهة «عشتروت» ـ التى كان الاغريق يسمونها « افروديت» ـ

لذلك لم يزعجه أن قالت وهي واقفة دون حراك : « أنا عشتروت ٠٠ اليك الرخام ، فتناول « ازميلك » واكشف لشعب مصر عن روعتي ، فاني أريد أن يعبدوا صورتي ! »

٠٠ فتأملها ديمتريوس ، ثم قال وقد أيقن مما كان يخالجها من شعور : « أنا أول من يعبدها ٠٠ »

ولم يغضبها اجتراؤه ، بل تساءلت متراجعة : « أو تراك كأدونيس ، أهلا لأن تمس الالهة ؟ »

وأصبح ديمتريوس واسع النفوذ ، فانفض أصدقاؤه عنه ، ولكن أفئدة النساء جميعا كانت تحوم حوله ٠٠ وكانت جوارى الملكة يسمرن فى أماكنهن خافقات القلوب اذا جاس فى ردهات القصر ، ويسترقن السمع لدى الباب اذا ولج مضجع الملكة ٠٠

حتى جارياته همن به وجدا ، مما كان يضطره الى أن يأمر بهن فيجلدن بالسياط ويبعن !٠٠ حتى العبيد من الرجال أغوتهم هدايا المجهولات ففتحوا لهن أبواب داره ٠٠ وسرعان ما أخذت أدوات زينته تختفى ، اذ كن يسرقنها كتمائم وتذكارات ٠٠ بل انهن كن يلتقطن بذور الفاكهة اذا لفظها ! ٠٠ ولو وقعت منه زهرة أثناء سيره فتلفت وراءه ، ما وجدها ٠٠ بل لقد كن يجمعن التراب الذى يطأه !

وفضلا عن أن هذه المطاردة قد أوشكت أن تقتل أحاسيسه المرهفة ، فانه كان قد بلغ تلك المرحلة من الشباب التى يرى عندها كل رجل عاقل أن لا بد له من أن يقسم حياته الى قسمين ، فلا يعود يخلط بين شئون الروح ، وضرورات الجسد ٠٠ وكان تمثال افروديت ـ عشتروت ـ هو منفثه فى التسامى ، اذ نقل الى الرخام كل ما كان للملكة من جمال، وكل ما كان فى وسعه أن يبتكره من ابداع ٠٠ ومنذ ذلك اليوم لم يعد يتصور أن على الارض امرأة تستطيع أن ترقى الى مستوى أحلامه ٠٠ وأصبح التمثال قبلة رغبته وعواطفه ، فلم يعد يعبد سواه ٠٠ وتبدت له الملكة بعد ذلك مجردة من كل

ما كان يضفى عليها الفتنة ·· واسـتطاع أن يتبين مواطن النقص فيها بالنسبة الى تمثاله ·· فزهدها !

وعرفت المتيمات به انه لم يعد يعشق الملكة ، فتضاعف تهالكهن عليه ·· ولكنه لم يفطن الى ذلك ، اذ كان التغير الذى ينشده ذا كنه آخر ··

وفى الفترة التى تفصل بين عشيقتين ، قلما يقوى الرجل على مقاومة غوايات الرذيلة ·· ومن ثم اعتاد ديمتريوس اذا أكربه اضطراره الى التردد على القصر ، أن يسعى فى الليل الى الغانيات المقيمات فى الحدائق المحيطة بمعبد افروديت ·· **وبين أحضانهن ، وفى هدأة الليل ونسماته الشذية ، كانت الطمأنينة تعاود نفسه ، فيقصد اذا ما غادرهن الى هيكل افروديت ، ويركع عند قدمى التمثال يناجيه فى وجد حنون ، ولوعة ساجية ··**

وفى تلك الليلة ، كانت قداستها تفيض فى قلبه ، فحزم أمره على أن يتطهر ويكف عن التردد على الغانيات · وخيل اليه فى هدأة الليل انه يرتفع عن العالم الذى أبغضه ·· وأسعده أن استطاع أن ينزه أفكاره عن الجسد ، ليسمو الى عبادة الروح ·· فأحس بالحرية !

والتفت نحو الرصيف ، فلمح بريق قناع أصفر على وجه امرأة تخطر على مسافة منه ··

عابرة الطريق !

◆ **وأخذت** تقترب متئدة ، وقد أسندت رأسها الى احدى كتفيها فى دلال ، وغمرها ضوء القمر ، ملقيا أمامها ظلا يتأرجح مع خطواتها ··

وأدرك ديمتريوس انها غانية ، فحاول أن يتحاشى النظر اليها ·· ولكنه لم يملك ·· ولاحظ انها لم تقف ، ولا حفلت به ، بل مضت تخطر فى طمأنينة ، متنزهة ، لا تنشد سوى

النسيم ، والخلوة ، والحرية ، والسكينة ‥ وألفى نفسه يتبعها بنظراته ـ مذهولا ، مأخوذا ـ وهى تواصل سيرها ‥ حتى بلغت جزيرة « فاروس » فراحت تتسلق صخور الشاطىء‥

وفجأة ، اندفع وراءها وقد أحس كأنه أحب هذه المجهولة فى زمن سحيق !‥ ثم أمسك عن الجرى ، وارتد غاضبا مستنكرا من نفسه هذا الضعف ‥ وهم بأن ينصرف عن الرصيف ، ولكنه ألفى قدميه مسمرتين بالارض ‥

وتدفق سيل من الاسئلة فى رأسه حول ذات الوشاح الاصفر : **ماذا تفعل فى الجزيرة فى مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟‥ لماذا ، ولمن أقبلت ؟‥ لم لم تدن منه أو تبادره بالكلام ؟‥ أو تراها رأته ؟‥ انها لا بد رأته ، فلم مضت فى طريقها دون تحية ؟‥ لقد كان يقال ان بعض النسوة يخترن السويعات الباردة قبيل الفجر ليغتسلن فى البحر ، ولكن أحدا لم يكن ليقوى على ذلك عند جزيرة « فاروس » ، حيث البحر عميق الغور ‥ ثم ، كيف يعقل أن تتزين بكل هذه المجوهرات لمجرد الذهاب للاغتسال ؟‥ أو تكون اذن على موعد مع عاشق ؟‥ مع شاب يعانقها ويبثها الهوى فوق الصخور الكبيرة التى يغسلها الموج ؟**

وود أن يتأكد من أمرها ‥ ولكنها كانت قد أقبلت عائدة ، فى نفس الخطوة الرشيقة ، البطيئة ، وقد غمر شعاع القمر وجهها ، وطرف مروحتها يدفع الغبار عن سياج الرصيف ‥ كانت ذات جمال فريد ‥ يبدو شعرها كسبيكتين من الذهب ‥ وكان غزيرا جدا ، ترامت على جبينها ظلال تجعداته التى امتدت الى أذنيها ، وعقص سبع مرات عند قفاها ‥ وكان أنفها دقيقا ، رشيقا ، يعلو فما قرمزيا ‥ وكان جسمها المشوق يتثنى مع كل خطوة ، اذ يدب فيه النشاط كى يتوازن الردفان الجميلان تحت الصدر الناهد الرجراج ‥

ولما لم يعد بينها وبين الشاب أكثر من عشر خطوات ، رمته بنظرة ، فارتجف ٠٠ كانت لها عينان غير عاديتين ، زرقاوان، عميقتا الغور ، براقتان ، ولكنهما فى الوقت ذاته مغرورقتان، كليلتان ٠٠ تختلط فيهما نار ودموع ، ويكاد جفناهما أن ينطبقا عليهما وكأن أهدابهما تثقلهما ٠٠ كانت عيناها كالقيثارة ، أو كمصباحين لا مفر لمن يتعرض لضوئهما من أن يهوى أسيرا لهما ٠٠ وكانت الغانية تعرف سحر عينيها ، وتتقن استغلاله !

وحياها ، فردت تحيته ٠٠ قال : « فيم هذه العجلة ؟٠٠ الى أين ؟ » ٠٠ فقالت انها عائدة من نزهتها ٠٠

وعاد يسألها : « أوحيدة هكذا ؟ » ٠٠ قالت : « وحيدة هكذا ٠٠ »

وخيل لديمتريوس أنه خدع اذ ظنها غانية ٠٠ فلعلها من المحصنات المعروفات ، ومن ثم قال فى غير تهكم :

ـ أعائدة الى زوجك ؟

فاتكأت على سياج الشاطىء ، وأخذت فى الضحك ٠٠ وعض هو على شفته وقد خال انها جاءت تنشد صديقا ، فتأخرت عن موعده ، ومن ثم دعاها الى أن تجرى للحاق به ٠٠ ولكنها قالت انها لا تسعى الى أحد ٠٠ فقال محيرا :

ـ ما أراك تزينت لنفسك بكل هذه الحلى ، وهذا الوشاح الحريرى ؟

ـ أو كنت تريدنى أن أخرج عارية ، أو مرتدية ثوبا من الصوف كالجارية ؟٠٠ انما أرتدى لأمتع نفسى ٠٠ فانى أحب أن أشعر بأننى جميلة ، وانى لأتأمل أصابعى وأنا أتمشى لأرى خواتمى ٠٠

ومد يده الى ذراعها ، فقالت ساخرة : « آه ٠٠ لا ، لا ٠٠ ان الوقت متأخر بالنسبة لهذه المداعبات ٠٠ دعنى أمضى الى البيت سريعا فانى متعبة ٠٠ »

وأمسكت قدمها بيدها وهى متكئة ·· فمر ديمتريوس بيده على جبينه ، وقال فى لهجة الحائر المتردد : « تقدمينى ·· »

فصـــاحت مذهولة : « لن يكون ذلك منى ، فأنت لم تعن بسؤالى عما اذا كان هذا يطيب لى ·· « تقدمينى ! » ·· كأنك تحسبنى جارية ·· أما عرفت اننى حرة ؟·· أما تبعتنى فى الطرقات يوما ورأيت الابواب التى ترحب بى ؟·· أما أحصيت الرجال الذين يحسبون أنفسهم أثيرين بحب « كرايزيس » ؟ ·· « تقدمينى ! » ·· لا ، بل ابق هنا أو اذهب حيث شئت ، ولكن ·· ليس معى ! »

ـ انك لا تعرفين من أكون ··

ـ أنت ؟·· على رسلك !·· أنت ديمتريوس ، ناحت تمثال الهتى ، وعشيق مليكتى ، وسيد مدينتى ·· **أما فى نظرى ، فأنت لست سوى عبد جميل ، لانك رأيتنى ، ولانك أحببتنى ·· أجل ·· أنت تحبنى !·· لا تقل انك لا تحب أحدا ، وانك المحبوب ، المدلل ، المعبود ·· لطالما نبذت الحسـان وعصفت بقلوبهن ·· انك لم تحب أحدا ·· ولكنك تحبنى أنا ·· انك لا تسمع ما أقول لك الآن ، لانك تقدح فكرك متسائلا كيـف صنعت أجفانى ، وما أعذب فمى ، وأنعم شعرى !·· آه ما أكثر من عرفوا ذلك ، فالكل ـ رجالا ونساء ، شبانا وشيبا ، أطفالا وصبايا ـ قد اشتهوا جمالى ·· كل النساء رأيننى أغتسل ·· وكذلك كل الرجال ، الا أنت ·· اننى أنبذك !·· أنبذك !·· انك ثقيل الظل ، مغرور ، قاس ، عديم الذوق ، جبان ·· لست أدرى لم لم تبلغ الكراهية باحدانا الى الدرجة التى تجعلها تقتلكما معا ، أنت أولا ، والملكة بعدك !**

وشملهما الصمت لحظة ، ثم قال : « دعينى أتبعك ·· »

ـ لقد ألفت حب الاخريات ، فلست تدرى ما يتكبده الرجل من أجل امرأة لا تحبه ؟

ـ سأهبك ذهب الدنيا ··

ـ اننى أملكه فى شعرى ٠٠ لقد زهدت الذهب ٠٠ ولست أبغى سوى ثلاثة أشياء ، فهل تعطينيها ؟٠٠ أريد مرآة فضية لتعكس لناظرى صورة عينى ٠٠

ـ ستكون لك ، فماذا تريدين غيرها ؟٠٠ اسرعى بالكلام !

ـ أريد مشطا من العاج المنقوش ، أغيبه فى شعرى كما تلقى الشبكة فى ماء يتألق تحت ضوء الشمس ٠٠ وأريد قلادة من لؤلؤ تتناثر أطرافها على صدرى اذا ما رقصت لك !

ـ سيكون لك ما تشائين ٠٠

فرق صوتها وهى تقول : « ما أشاء ؟٠٠ آه ، هذا ما وددت أن تقوله لى ٠٠ أتقسم أن تدعنى أختار هداياى ؟

ـ أقسم ٠٠ بأى يمين شئت ٠٠

ـ اقسم بأفروديت التى صورتها ٠٠

وأقسم ٠٠ واذ ذاك اطمأنت ، فحددت ما تبغى : كانت تريد مرآة فضية معينة ٠، « مرآة صديقتى « باكيس » التى خدعتنى فى الاسبوع الماضى ، وذمتنى بالسوء فى حفلة ضمتها وترايفيرا وموساريون وبعض الحمقـاوات اللاتى نقلن لى كل ما دار .. انها مرآة تعتز بها ، لانها كانت يوما لرودوبيس ، الجارية التى ابتاعها وأعتقها شقيق سافو ٠٠ ويقال ان سافو تطلعت فيها ، ولذا تتشبث بها باكيس ٠٠ وقد أخبرتنى ذات ليلة وهى ثملة ، انها تخبئها تحت الحجر الثالث من المذبح الذى تقدم فيه القرابين فى دارها ٠٠ فاذهب الى هناك غدا بعد خروجها ـ عند الغروب ـ ولا تخش شيئا ، فان جواريها يخرجن معها »

فصاح : « هذا جنون !٠٠ أو تريديننى أن أسرق ؟ »

ـ ظننتك تحبنى ٠٠ حسبتك أقسمت ٠٠ فاذا كنت أخطأت فلا داع للمضى فى الكلام !

وأدرك انها تقوده الى الهلاك ، ولكنه استسلم دون كفاح ، بل فى انصياع تقريبا ٠٠ وكانت الامنية الثانية التىطلبتها :

« مشطا من العاج المنقوش يستقر فى شعر زوجة الكاهن الاكبر ! » ٠٠ وكانت كرايزيس تنقم عليهـــا منذ قدمت لافروديت فى الشهر السابق وشاحا أزرق ، فرأته فى اليوم التالى على رأس زوجة الكاهن ! ٠٠ وكان لا بد لديمتريوس من أن يقتل المرأة ليحصل على المشط ٠٠ أما المطلب الثالث فلم يكن ســوى « القلادة ذات الفروع السبعة التى تحيط بعنق أفروديت ! »

وكان ديمتريوس ينصت مطرقا ، فأجفل وهتف : « آه ٠٠ لقد تجاوزت الحد ، ولن أدعك تعبثين بى ٠٠ »

قالت فى غواية : « انك لموقن من أنك ستهبنى هذه أيضا ٠٠ انى واثقة من ذلك ٠٠ سأظفر بالهدايا الثلاث ، ولسوف تهرع الى فى مساء غد ، ومساء بعد غد ان شئت ، بل وفى كل مساء ٠٠ وسأنتظرك فى الموعد الذى تحدده ، فى الرداء الذى تفضله ، **وفى الزينة التى تروق لذوقك ، متأهبة لارضاء أهـــوائك ونزواتك ٠٠ فاذا كنت لا تنشد غير الحنان ، دللتك كالطفل ٠٠ وان رغبت فى الصمت فسوف أصمت ٠٠ وان أردت أن أغنى لك ، فسوف تسمع منى عجبا يا أحب النـــاس ، فانى أعرف أغانى جميع البلدان ٠٠ أعرف الاغانى النـاعمة كخرير الجداول ، والصاخبة كالرعد ، والساذجة كتلك التى تغنيهـا الصبية الصغيرة لامها ٠٠ وأعرف من الاغانى الماجنة ما تتضرج له وجنات أكثر الفاسقات خلاعة !٠٠ وفى الليالى التى تود أن أرقص لك فيها ، سأرقص حتى الصباح ٠٠ كاسية ، أو عارية ٠٠ فانى أعرف جميع رقصات أفروديت ٠٠ بل أعرف رقصات تستحى أية مخلوقة من أن ترقصها ٠٠ سأرقص لك كل رقصات الهوى** ٠٠ قد تكون الملكة أغنى منى ، ولكن قصرها بأسره لا يضم مخدعا فاتنا كمخدعى ٠٠ لن أروى لك ما سوف تجده فيه ، فهناك من الروائع ما لا قبل لى بأن أعطيـك فكرة عنه ٠٠ ثم ٠٠ أتعرف ما يفوق كل هذا ؟ ٠٠ هناك « كرايزيس » التى تحبها ، والتى لم تعرفها بعد ٠٠ آه ، ثم آه ٠٠ ستحظى



بمفاجآت كثيرة .. آه ، لكم ستعبدنى، ولكم سترتجف بين ذراعى ، ولكم ستنتشى بحبى .. وما اعذب رضاب شفتى .. أواه ، ما اشهى قبلاتى ! »

ورمقها فى عجز عن المقاومة . . وهم بان يمد يده اليها ، ولكنها صدته . . « الى غد ! » .. فقال بصوت خفيض : « سيكون لك ما شئت ! »

واشرأب بعنقه ، فأسكرته نظرتها ·· ومالت عليه تعيره شفتيها الشهيتين ·· وعندما فتح عينيه ، كانت قد مضت !

الجزء الثانى

قارئة الغيب

كان معبد « افروديت ـ عشتروت » يقع خارج أبواب المدينة ، فى حدائق مترامية الاطراف ، وارفة الاشجار ، موفورة الازهار ·· بلغ من مساحتها انها كانت تؤلف عالما بأسره ، تسوده الربة المعبودة ، روح الكون وقلبه ·· ويحيط به سياج مؤلف من ألف وأربعمائة بيت ، يعمرها عدد مقابل من الغانيات من شتى الاجناس والاقطار ، هن كاهنات افروديت

ـ الهة الحب والجمال والمتعة ـ كل تعبدها وفقا لعـادات قومها ، وبالاسم الذى يطلق عليها فى بلادها : لاكمى ، أو عشتروت ، أو فينوس ، أو عشتار ، أو فريا ، أو مايلتا ، أو كيبريس ٠٠

وكانت كل غانية تقدم للمعبد نصف كسبها وتنفق النصف الآخر على زينتها وقوتها ، فاذا قدر لاحداهن أن تحمل من أحد رواد الحدائق ، وهبت الابن لخدمة الالهة ، أو كرست حياة الابنة لافروديت ، فتدرس فى «الديداسكاليون» ـ مدرسة الغواني ـ سبع سنوات ، ثم تمنح دارا تمارس فيها عبادتها العملية للبدن ٠٠

والى هذه الغابة سعى ديمتريوس يوم التقى بكرايزيس ٠٠ وكان مشغول البال ، لا يحير جوابا للاسئلة التى عبثت بفكره: ترى ماذا ابتغت « كرايزيس » من الهدايا الثلاث ؟٠٠ كان من المستحيل أن تحملها أو تحتفظ بها ، والا عرضت نفسهـا لخطر الافتضاح يوما ٠٠ فلماذا طالبته بها ؟٠٠ ثم ، لقد كان له من السلطان ما يبيح له أن يأمر فتحمل « كرايزيس » اليه، ليتخذ منها خليلة ، أو حليلة ، أو جارية ٠٠ أو يقضى عليها ٠٠ ولا ريب انها كانت تعرف هذا ، ولكنها تجاسرت وأملت رغباتها عليه !٠٠ كم من حسناء مشتهاة قدمت نفسها اليـه متهالكة ، ولكن هذه لم تطلب عاطفة ، ولا ذهبا ، وانما طلبت ثلاث جرائم منكرة ، فاستثارت بذلك شغفه !

وصادفته فتاة صغيرة استهوته ، فتبعها الى حجرتها ٠٠ وفيما كان يجاذبها أطراف الحديث ، تبين أن لها بكرايزيس معرفة ، فمضى يرهقها بالاسئلة عنها ٠٠ فما لبثت أن قادته الى عجوز من بلدة « كرايزيس » تدعى « شميريس » ، سألها أن تحدثه عنها ٠٠ وقالت لها الفتاة :

ـ حدثيه عنها ٠٠ اطمئنى فهو يحبها ويرجو لها الخير ٠٠

ـ أرى جليا انه يحبها ٠٠ ومن ثم فهو يريد بها شرا ٠٠ هات يدك ، عسى أن أكون قد أخطأت

وتأملت يسراه على ضوء القمر ، وقالت : « **أأخبرك بما أرى ؟٠٠ أو لا يسوؤك هذا ؟٠٠ بل ، هل تصدقنى ؟٠٠ أرى فى البداية سعادة شاملة ، ولكنها كانت فى الماضى ٠٠ وأرى حبا شاملا أيضا ٠٠ ولكنه غارق فى الدماء ٠٠ دماء امرأة ٠٠ ثم دماء امرأة أخرى ٠٠ وأخيرا ـ فى النهاية ـ دماؤك أنت ، بعد حين !** »

موعد مع الحب ٠٠ أم الموت ؟

◆ « **دماء** امرأة .. ثم دماء امرأة اخرى .. واخيرا ـ فى النهاية ـ دماؤك أنت ٠٠ بعد حين »

وراح ديمتريوس يردد هذه الكلمات وهو يسير ، وفى نفسه شعور خفى يوحى اليه بأن يصدق النبوءة ، وان لم يكن من عادته أن يؤمن بالعرافين ٠٠ وكان قد استولى على المرآة فور انصرافه بعد لقاء « كرايزيس » ٠٠ فسعى على الاثر الى امرأة الكاهن ، فى المجلس الذى كان يعرف انها تلوذ به كل مساء ٠٠ على مقعد من الرخام ، مولية ظهرها الى الغابة ، مطلة على البحر ٠٠ وكانت ككثير من بنات جنسها ، تهيم به ٠٠ وحملقت فيه مذهولة لا تكاد تصدق عينيها ، ثم هتفت وهى تلقى بنفسها على صدره : « ديمتريوس !٠٠ أواه هل جئت أخيرا !؟ »

وكان قد جاء حقا ٠٠ لا ليذيقها الحب الذى تهفو اليه ٠٠ وانما ليوردها موارد الموت ، وهى مستسلمة له ٠٠ اذ سحب أحد « الدبابيس » الذهبية التى كانت تزين شعرها ، وأغمده تحت ثديها الايسر .. فى قلبها !

ثم جز ديمتريوس خصلة من شعر زوجة الكاهن ، فلف فيها المشط العاجى ، ودسه فى ثنايا ردائه ، وانطلق الى معبد أفروديت ٠٠ وآثر أن ينفذ اليه من مدخل خفي في مقبرة كبار كهنة مصر ٠٠

وأحس برعدة تهز كيانه اذ دخل الهيكل المقدس وأغلق الباب خلفه فى حذر ٠٠ ولم يجسر على أن يرفع عينيه ٠٠ وداخله ذعر طاغ ، وقد صور له أن الفراغ المظلم يزخر بأشباح غريبة ، خفية ٠٠

وأخيرا ، تطلع ٠٠ فاذا تمثال الربة يبدو تحت ضوء القمر ٠٠ عاريا ، يحيط به جو من الانوثة الرقيقة ٠٠ وتملكه خشوع يفوق الوصف ، ويقين بأن التى كانت أمامه هى أفروديت نفسها ، لا التمثال الذى صنعه لها ٠٠ وألفى نفسه يصلى فى خشوع ٠٠ وتراءى له التمثال وكأنه يتحرك عاريا ، فاتنا ، يطفر بالانوثة ، والرقة ٠٠ حتى لقد خشى أن تذيب حرارة نظراته هذا الطيف الحبيب !

وفجأة ، أفاق من حلمه ، وتذكر ما جاء من أجله ، فداخلته قوة خفية ٠٠ وارتقى الى جوار التمثال فطوق منكبيه بذراعيه، وراح يتأمل عينيه ، وهو يرتجف منتشيا ، ويضحك مغتبطا٠٠ وراح ينثر قبلاته على يد التمثال ، ونحره ، وفمه ذى الشفتين المنفرجتين ٠٠ وأخذت معالم صورة « كرايزيس » تتلاشى من ذهنه ٠٠ وكرجل استيقظ مع الفجر ، راح يعجب لاستسلامه فى الليلة السابقة لغواية طائشة ٠٠ وأحس انه كان ضحية مس من خبل طارىء ، أو فريسة مرض نفسى ، شفى منه ، وان ظل مضعضع الحواس ٠٠

وكانت الشمس قد بزغت حين فطن الى وقع أقدام ناعمة ٠٠ كانت غانيات المعبد مقبلات محملات بالهدايا لمعبودتهن فى عيدها السنوى ٠٠ فأسرع يكمن فى مخبأ فى أحد أركان الهيكل ٠٠

وعندما تأكد من أن الهيكل خلا ثانية من سادناته ، برز من مكمنه فى حال نفسية أليمة ٠٠ كان قد خال انه شفى من غواية « كرايزيس » ، ولكن منظرا غريبا رده الى الضنى ٠٠ اذ رآها تتقدم فى مؤخرة الغانيات ، فتركع أمام التمثال فى خشوع ،

وزلفى ، وترفع اليها قربانا . . **وفعل المنظر فى نفس ديمتريوس فعله ، فاذا هو أشد تدلها مما كان ٠٠ وقد غدا كالعبد الاسير الذى شد الى عجلة فى موكب قائد مظفر ٠٠ كان عبد شهواته ، اذ عصفت بنفسه رغبة جامحة ، تصرخ بالجـوع والحنين ٠٠ وغلبه الصراع القائم فى نفسه ، فتقدم فى الهيكل ـ اذ خلا ـ وانتزع القلادة عن نحر الربة ، فغيبهـــا فى أطواء ثوبه ٠٠ وانصرف !**

زائر ٠٠ فى منتصف الليل !

◆ **قبيل** منتصف تلك الليلة ، استيقظت « كرايزيس » على ثلاث طرقات دوت على بابها ، فقفزت من فراشهـــا ، وفتحت باب مخدعها ٠٠

وكان القادم « نوكريتس » ، وهو فيلسوف تدله فى هوى « باكيس » عشرين عاما ٠٠ قال : « جئت أدعوك الى عشاء تقيمه باكيس غدا ، تتلوه حفلة راقصة ٠٠ »

ورأى فى فراشها فتاتين ، عذراوين احترفتا الغناء ، وأحبت كل منهما الاخرى ، فى تفان لم يقو أجمل الرجال على أن يحولها عنه! ٠٠ وقفزت الفتاتان اذ انتبهتا الى وجوده، فغادرتا الحجرة، واذ ذاك قال : « مسلك طيب يا كرايزيس ٠٠ لو طال أمده لغدا مورد فكاهة لنا ٠٠ »

ـ ان المرأة ، فيما يتعلق بالحب ، أداة مثلى لم تصب فى قالبها الجميل الا لاجله ٠٠ هى وحدها التى تعرف كيف تحب ٠٠ لذلك ، فان الحب بين امرأتين هو العاطفة الكاملة التى تسمو على كل نقيصة ٠٠

ـ لا أرى رأيك ، ولا أستطيب صداقة بين امرأتين تحرصان على أنوثتيهما ، وهما فى الوقت ذاته تحسدان الجنس الخشن وتقلدانه ٠٠ ثم ان الرابطة بينهما غريبة ، لان جسديهما لم يخلقا ليتزاوجا ، ويكمل أحدهما الآخر ، وعواطفهما أرق من أن تحقق لذة الحب ٠٠ انهما لا تدريان شيئا عن وحشـــية

الحب فى عنفه ٠٠ ان حب البشر يمتاز عن شهوة الحيوان بشيئين قدسيين : التدليل ، والقبلة ٠٠ وهما كل ما تحذقه النساء اللاتى يعشق بعضهن بعضا !

وما أن خرج نوكريتس ، حتى ألفت كرايزيس نفسها نهبة للهواجس ٠٠ كيف تدعوها باكيس ؟٠٠ ألم تعلم بعد بسرقة مرآتها ؟٠٠ أو يكون ديمتريوس قد نسى ، أو تناسى وعده بسرقتها ؟

الجزء الثالث

حديث ٠٠ عن الحب !

◆ **كانت** « باكيس » تقترب من الاربعين ، وقد قضت نيفا وخمسا وعشرين سنة من عمرها تبيع بدنها لطلاب المتعة ٠٠ وكانت « افروديسيا » أحب جواريها اليها ، وأرشقهن قامة ، واكثرهن فتنة ، لكن باكيس لم تقو على اغراء المال حين عرض « شيريس » خمسة وثلاثين « مينا » فى مقابل تحريرها ٠٠ واحتفاء بهذه المناسبة ، أولمت تلك الوليمة ٠٠

وكانت « كرايزيس » أول من وصل الى الدار ، فتلقتها « باكيس » فى عناق ٠٠ وتمنت « كرايزيس » أن تسألها عن مرآتها ، أو أن تقرأ ما ينعكس فى عينيها ، ولكن « باكيس » كانت تنأى بنظرها عنها ٠٠ فآثرت أن تكبح فضولها ، وتترك للمصادفات أمر الكشف عما تبغى معرفته ٠٠

واكتمل المدعوون حول المائدة : اربع غانيات ، وثلاثة رجال شرعوا يتحدثون فى الادب ، حتى ضربت « سيسو » المائدة بطرف مروحتها وهتفت : « ما هذا الحديث الممل ؟ .. ان حول المائدة أربع غانيات ، فجدير بالرجال أن يعهدوا اليهن بدفة الحديث ٠٠ ومن حق « فاوستينا » الحسناء التى وصلت من روما اخيرا ، ان تكون البادئة ..»

وأمالت الحسناء الرومانية رأسها، وقد صبغت حمرة الخجل وجنتيها ، ثم تنهدت قائلة : «ليكن حديثنا عن .. الحب !»

فقال كاتب نابه الذكر والصيت ، يدعى «فراسيلاس» :

ـ الحب كلمة بلا معنى .. أو كلمة تتضمن كل المعانى معا .. ففيها الغواية وفيها الصبابة ، فأيهما تقصد فاوستينا ؟ »

فهتفت كرايزيس : « أتمنى الغواية من ناحيتى ، والصبابة من عشيقى .. فلنتكلم عن الناحيتين .. »

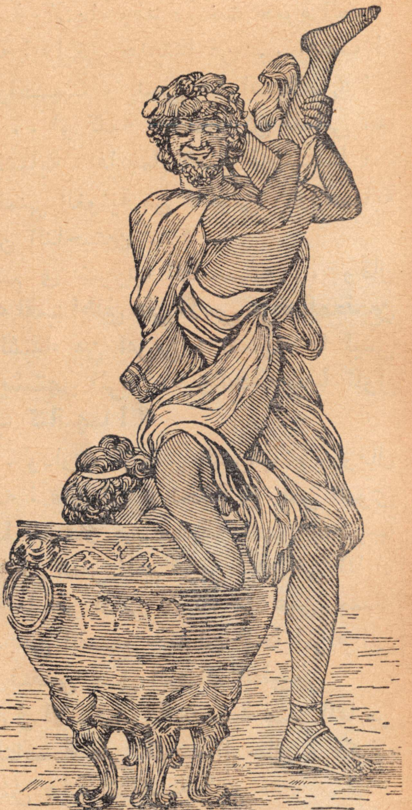
ولكن الجدال أوغل بهم فى ضروب الفلسفة .. وقال «نوكريتس» : **« الحب ؟ انه لقب اطلق على الاسى عزاء للمعذبين .. فليس أدعى للاسى والشقاء من أمرين : اشتهاء ما ليس ملكا للمرء .. وامتلاك ما يشتهى المرء !.. والحب يبدأ كأول الامرين ، وينتهى فى الغالب كثانيهما ! »**

وكان العشاء قد رفع ، ودارت كؤوس الشراب .. وقال «نوكريتس» اذ افرغ كأسه : «ان اروع لحظة فى عمر الهوى لهى تلك التى ينقشع فيها الستار عن حقيقة نفس الحبيب .. أهناك ما هو أبعث للألم من شعر ناعم غزير تبدو فى ثناياه آثار المكواة ؟.. وهل ثمة ما هو أدعى للرثاء من عين جميلة يلطخها سواد الكحل ؟ .. من القبيح حقا ان تلجأ المرأة الى وسائل التجمل والاغراء ، فتقضى على الجمال الطبيعى .. »

فصاحت كرايزيس : «ان فى الاسكندرية خمسة عشر الفا من النسوة ، تحتدم بينهن المنافسة على قلوب الرجال ، فكيف يفوز الجمال الطبيعى فى مثل هذه المنافسة ؟ »

واقبلت اثنتا عشرة راقصة ، تتقدمهن عازفتان على الناى ، وتحتل المؤخرة منهن غانية تدق الطبل .. فمضين يرقصن فى ابداع ، يمتزجن تارة كأمواج البحر، ويتناثرن طورا كرمال الشاطىء .. ووفد اصدقاء جدد .. وحمى وطيس الرقص

.. وفجأة ، امسك احد السكارى بقدمى غانية ، ورفعها ثم دلاها فى وعاء كبير ملىء بالنبيذ ، حتى غمر وجهها .. وانفجر الحضور فى ضحك صاخب .. واستوت الفتاة على قدميها وقد احتقنت الدماء فى وجهها .. وصاحت «باكيس» وهى تضحك : « هاتى يا سلاميس مرآة رودوبيس الفضية ، فان الفتاة اهل لان ترى صورتها فيها»



واجفلت كرايزيس والدماء تتدافع الى وجهها ، ثم تنحسر عنه فتخلفه شاحبا .. واخذت ترتقب عودة الجارية مرتجفة ، خافقة القلب ، كأنما كانت آمالها تعتمد على ما تجىء به .. واوشكت ان تفقد رباطة جأشها اذ طالت غيبة الجارية .. وشرد عقلها .. وفجأة ، دوت صرخة مجلجلة من «باكيس» فوجم الحضور ، بينما ركعت الجارية عند قدميها ترتجف فرقا ..

واخذت «باكيس» تهز الجارية فى عنف ، وهى تصرخ : «سرقت !؟ .. لابد انك السارقة .. اعترفى .. سأجلدك بالسياط حتى تحل عقدة لسانك ! »

وفى غمرة الفزع ، زعمت الجارية ان «افروديسيا» هى التى سرقتها .. وأيدتها الجوارى الاخريات ، اذ كن يحقدن على «افروديسيا» انها كانت الاثيرة دونهن ، كما كن ينفسن عليها انها ستتحرر .. وسرعان ما سحبت «افروديسيا» الى صليب فى اقصى الدار ، والضيوف يتبعنها .. وكرايزيس بينهم ، وقد أخذت ترقب عذاب البريئة وهى حائرة .. لم تكن ترى من وسيلة لانقاذها سوى الكشف عن جرم ديمتريوس ، الذى لم يكن القانون ليصل اليه .. ولكن كان فى طوقه ان ينتقم منها اشنع انتقام !

وسمرت اطراف الفتاة فى الصليب فى وحشية .. ولكن هذا لم يشف غلة «باكيس» ، فاخذت تنتزع الدبابيس الطويلة من شعرها وتغرسها فى جسد الضحية .. ثم استبدت بها الوحشية فتحولت تمزق لحمها بأظافرها كاللبؤة الضارية ..

اذن فقد حقق ديمتريوس امنيات كرايزيس ؟.. اذن ، فقد انصاع لها ، واستكان لقيود غوايتها ، وارتضى أن يغدو عبدا لها .. لسارة ، ابنة «الناصرة» !

وتسللت كرايزيس من دار باكيس ، ومضت على غير هدى .. حتى خلفت المدينة ، فاختارت بقعة منعزلة ، واستلقت على الارض تفكر .. لقد فعل ديمتريوس من اجلها مالم يفعله اى عاشق فى سبيل معشوقته ! .. عرض نفسه للخطر والعار لارضائها ، وهو محبوب ملكة البلاد ، ومشتهى الكثيرات من النساء ..

وأحست كرايزيس أن من حقه عليها الآن أن تحبه وتعبده .. ومضت تتخيل الحب المتأجج الذى سيستعر لهيبه فى

قلبيهما ‥ ووخزها الحنين الطاغى فلم تعد تقوى على البقاء ، ومن ثم أسرعت الى دارها ، والشمس تتسلل خلال فلول الظلام المدبر ‥

وتحررت من لباسها ، وفكت قيود شعرها فانساب يلفها بغلالة ذهبية ناعمة ‥ ولم تلق فى نفسها استعدادا للنوم ، فصعدت الى سطح دارها ، ترقب المدينة وهى تتململ فى رقادها قبل ان تصحو ، وتفكر ‥ تفكر فى الحبيب الذى انتزعته من اقوى امرأة فى المدينة ‥ وراودتها فكرة جريئة : لم لا يقدم ديمتريوس على قتل الملكة ، أيضا ‥ فتغدو المدينة ـ حلم كل عاهل ـ والعالم الممتد خلفها ، ملكا لكرايزيس الغانية ؟

الجزء الرابع

ليلة غرام ‥ فى الحلم !

◆ **عاد** ديمتريوس الى داره حاملا المرآة ، والمشط ، والقلادة ‥ فلما أخلد الى النوم ، رأى حلما عجيبا ‥ صور له فيه أنه يسعى الى الرصيف بين رواده فى ليلة معتمة ‥ وألفى نفسه يغذ السير دون مبرر ، ليصل الى الرصيف بأسرع ما يستطيع ، ولكن الريح كانت تعوقه بشدة عجيبة ، كما كانت قدماه تتثاقلان على الرغم منه ‥ وسرت فى جسده رجفة ، وخال أنه لن يصل أبدا ‥ وقر فى روعه أنه لن يدرك قط الى من كان مسوقا فى هذه الظلمة المدلهمة ‥ وكانت الجموع تختفى عن بصره حينا ، ثم تعود تسابقه وتدفعه بالمناكب ‥ وفجأة ، ألفى نفسه عند الرصيف ، وحيدا ، وقد عرج القوم الى طريق آخر وهم يلوحون له ‥

وتاق الى أن يذهب الى جزيرة فاروس ، فاذا التثاقل يزول عن قدميه ، فتحملانه فى أسراع ‥ حتى اذا اقترب من غايته ، وجد الرصيف يمتد امامه ويتطاول ‥ وقرص الشمس ينحدر متواريا خلف الافق ‥

وظل ديمتريوس سادرا فى سيره ٠٠ وخيل اليه أن أياما وليالى قد انقضت مذ خلف المرفأ ، فخشى ان التفت وراءه أن لا يرى شيئا سوى الطريق التى قطعها ٠٠ مجرد خط أبيض يمتد فى البحر ٠٠ الى ما لا نهاية !٠٠ ولكنه ما لبث أن التفت ، فاذا خلفه جزيرة تكسوها أشجار خضراء تتدلى منها زهـور ضخمة ٠٠ **وأمام باب الدار الوحيدة فى الجزيرة ، وقفت امرأة ناعسة الطرف ، وقد أحنت وجهها على زهرة هائلة ٠٠ وكان شعرها فى لون الذهب القاتم ، وقد عقصته لفرط طوله فى لفة ضخمة على قفاها ٠٠ وكانت ترتدى ثوبا أسود ، يعلوه وشاح أكثر منه اسودادا ٠٠ والزهرة التى انحنت تشمها سوداء فى حلوكة الليل ٠٠ وتبين أن تلك المرأة هى كرايزيس ، فارتدت الى ذهنه ذكرى باهتة للمرآة والمشط والقلادة ٠٠ ولكنه لم يصدق ما فعل فى سبيل الحصول عليها ، اذ تبدت له الحقيقة فى الحلم حلما ٠٠ وقالت له كرايزيس : « اتبعنى الى الداخل ! »**

وتبعها الى الداخل .. ففتحت له أول باب ، فاذا حجرة ضيقة طويلة ، ليس بها سوى نافذة واحدة تطل على البحر ، والى كل من الجانبين منضدة مثقلة بالكتب ٠٠ وقالت كرايزيس : « ها هنا الكتب التى تحبها » ٠٠ وتبين وسط الكتب جارية صغيرة رشيقة ، تضطجع بين الحشيات والوسائد ٠٠

وفتحت بابا ثانيا ، فاذا حجرة مربعة ، تتوسطها مائدة تحمل كتلة من الطمى الاحمر ٠٠ وفى أحد الاركان ، جلست حسناء صغيرة ٠٠ وقالت كرايزيس : « هنا تصنع تماثيلك ٠٠ وكما تصنعها ستحطمها قبل موتك ! »

وفتحت بابا ثالثا ، فاذا حجرة رحبة مستديرة ، علقت على جدرانها آلات الموسيقى ٠٠ وفى أقصاها ، جلست على عرش من مرمر أخضر ، فتاة صامتة ٠٠

وفتحت بابا رابعا .. فاذا حجرة منخفضة السقف ، مثلثة الشكل ، تغلب الظلمة فيها النور ، وقد فرشت أرضها بالابسطة السميكة والفراء الناعم .. وكانت الستائر المخملية لا تدع ثغرة عارية من الجدران .. كانت دنيا صغيـــرة ، عزلت عن دنيا الناس .. وفي جنباتها علقت أوان تقطر منها نقاط العطور



كدموع الغوانى ٠٠ ومن سبعة مصابيح أرضية متباينة الالوان انبعث ضوء حنون ٠٠

وقالت كرايزيس فى صوت زاخر بالمشاعر : « فى كل ركن من الاركان الثلاثة سرير ٠٠ هذه حجرتنا !٠٠ والآن أيها الحبيب .. هأنذى ٠٠ الا املأ ناظريك منى ٠٠ أنا الآن لك ٠٠ فلأغن أولا »

وكانت أغنيتها مشجية ٠٠ أغنية العرس فى بلاده ٠٠ ثم **أخذت ترقص رقصا ما رأى له من مثيل، وجسدها يتلوى كالحية، ويتثنى كغصن البان ، والنار تلهب وجنتيها ، والعرق يتفصد وينساب على الجسد الصارخ بالفتنة والغواية ٠٠**

وتعانقا ٠٠ عناقا شهيا ، هصرت فيه ذراعا ديمتريوس كرايزيس حتى كادتا تسحقان ضلوعها ٠٠ وتلاقت شفاههما فى قبلة ذاب فيها كل ما فى الشهوة المستبدة من وجد ٠٠ فلم تكن شهدا ، كما وصفها الفلاسفة والادباء ، بل كانت حياة وسحرا ٠٠

وراح ديمتريوس يتأمل ــ فى خشوع المتبتل ــ هذه القوة الخارقة التى اودعتها الآلهة فى طبيعة الانثى ٠ وتجمعت فى عينيه كل قوى الحياة ، وكأنه يستوحى النشوانة الغائبة فى اغماءة اللذة تمثالا يودعه كل فنه وابتكاره ٠٠ بل يبث فيه الحياة ما استطاع !

اكتشاف الجريمة !

◆ **ظلت** جثة زوجة كبير الكهنة ملقاة عند أطراف الغابة تحت ضوء القمر ، وحيدة ، مهجورة ٠٠ ثم ولت السكينة التى كانت ترين عليها ، أمام أصوات قادمة ٠٠ كانت كاهنات أفروديت من الغانيات مقبلات يستجلين الخبر ، بعد أن عثرت احداهن بالقتيلة ٠٠ وكما تنحسر الموجة عن الشاطىء لتخلفها غيرها ، تراجعت القادمات فى الطليعة ليدعن غيرهن يتقدمن ٠٠

وكأن كل منهن كانت تتحاشى أن تكون أول من يرى الجثة ٠٠ وانطلقت من الالف حنجرة صيحة واحدة ٠٠ صرخة مرتاعة ٠٠ وارتفعت فى الهواء ألفا ذراع ٠٠ وانبعث ألف صوت مختنق بالبكاء : « حوالينا لا علينا يا ربتنا ! » ٠٠ وتراجع السيل البشرى الى المعبد ، ورحن يقرعن أبوابه بقبضاتهن الواهنة ٠٠

وألم بالاسكندرية غداة مأدبة باكيس حادث غريب ، فقد انهمر المطر ، فاذا القوم يتدافعون الى الابواب والطرق يحيونه ٠٠ لم يكن غيثا ، ولا طوفانا ، وانما قطرات مكتنزة ، دافئة ٠٠ ثم تلاشت السحب ، وصفت السماء ، ولم يمض منتصف النهار حتى كان الوحل قد استحال غبارا تحت أشعة الشمس ٠٠

وكان هذا المطر القصير العابر كافيا ليشيع فى المدينة هزة فرح واستبشار - وكان اليوم ثالث أيام عيد أفروديت - وفجأة ، سرى نبأ سرقة مرآة باكيس ٠٠ بيد أنه لم يشغل الناس طويلا ، اذ سرعان ما شاع خبر مقتل زوجة كبير الكهنة! ٠٠ وتملك الناس نوع من الجزع ، وكأنما كانت نذر شر تحوم حول المدينة ٠٠ وخشوا أن تغضب الربة على المدينة فتنزل بها نقمتها !

وفجأة ، رأوا غانيات أفروديت يجرين مرتاعات وكأن الموت يطاردهن ٠٠ وهتفن : « سرقت قلادة الالهة ! »

وترنحت المدينة يائسة ، قانطة ٠٠ وخلا رصيف الميناء ، الا من رجل وامرأة ٠٠ الوحيدين اللذين عرفا السر الذى روع المدينة : كرايزيس ، وديمتريوس !

وهرعت كرايزيس الى ديمتريوس نشوانة بخمر الزهر ، وحرارة الشهوة ، فألقت بنفسها على ركبتيه ، وقبلته وهى تعانقه فى وجد : « أحبك !٠٠ أحبك !٠٠ ما شعرت من قبل بمثل ما يلهب جوانحى الآن من لهب ٠٠ وحق الآلهة ٠٠ لقد

عرفت الآن حقيقة الحب ٠٠ أنا التى ما اشتهيت أبدا مخلوقا ٠٠ أهبك كل ما أملك من خير ، وبراءة ، وولاء ، وعاطفة ٠٠ أهبك روحى العذراء ٠٠ تعال نهجر المدينة الى مكان لا يعمره سوانا ٠٠ اننى أبكى ٠٠ أبكى لفرط السعادة ٠٠ ولكن ٠٠ مالك لا تتكلم ؟ ٠٠ ألا قبلنى ؟ »

وأنهضها ، ثم نهض وقال فى ابتسامة هادئة : « لا ٠٠ بل وداعا ! »

وابتعد فى خطوات مطمئنة ، وكرايزيس تنظر اليه مشدوهة ٠٠ باسطة يديها ٠٠ ثم هتفت : « لست أفهمك ! »

ـ لا يعنينى فهمت أو لم تفهمى ٠٠ وداعا ٠٠

ـ ديمتريوس ٠٠ أو أنت حقا الذى يكلمنى ؟ ٠٠ افصح !

ـ أو ينبغى أن أكرر مائة مرة ما قلت ؟٠٠ لقد سرقت المرآة ٠٠ وقتلت زوجة كبير الكهنة لأظفر بالمشط ٠٠ وانتزعت القلادة ذات الشعب السبع عن عنق الربة .. لقاء تضحية واحدة أسألك اياها : « افعلى ما أفعل الآن ودعينا نفترق ! »

ـ اذن ، استبق هداياك ٠٠ فما كنت أبغى سواك !

ـ لم تعد لدى رغبة ..

ـ لا بد أن الواشيات سعين بالوقيعة لديك ٠٠ صدقنى أنا يا حبيبى ٠٠ ما كنت أرجو سواك ٠٠

فحدق فى عينيها وقال : « فات الاوان ٠٠ لقد حظيت بك، بالرغم منك .. وهبتنى كل ما كنت اصبو اليه من مفاتنك ، دون أن تدرى ٠٠ لقد قدتنى فى الليلة الماضية الى حيث تريدين أن أصحبك الآن ٠ ٠وكنت أجمل مما أنت ٠٠ أواه ، ما كان أحلاك يا كرايزيس ٠٠ أما وقد عدت من تلك الدنيا ، فلن تردنى اليها قوة بشرية ٠٠ فالمرء لا يحظى بالسعادة مرتين فى يوم واحد ٠٠ اننى لم أحب غير طيفك ٠٠ كنت أحلم بك ، وقد ذقت السعادة في الحلم ٠٠ أم ترين السعادة هي

كل ذلك الاحساس الجسدى الذى تجيدين اثارته ؟٠٠ لا ٠٠ سواء كان ما نعمت به حلما تجلى فى النوم ، أو خيالا واتانى فى اليقظة ، فحذار أن تفسديه ٠٠ »

ـ وما نصيبى فى كل هذا ؟٠٠ هل شاطرتك السعـادة التى تتغنى بها ؟

ـ وهل كنت مكترثة بى حين استغللت عاطفتى المباغتة لتحمليننى على ثلاثة أمور تكفى لان تحطم كيانى ، وستخلفنى الى الابد فريسة للخجل والعار ؟ لقد نلت منى كفايتك .. نعم ، لم يطل عهد سيطرتك على ، ولـكنك مع ذلك دفعت بى فى اسار الرق ٠٠ فدعينى اليوم أحرر نفسى ٠٠

ـ ما الرقيق المستعبد سواى !

ـ اينا يحب الآخر عبد ٠٠ أجل ، العبودية !٠٠ هذا خير اسم للعاطفة ٠٠ ليس لكن جميعا سـوى حلم واحد : أن تسـتغللن ضعفكن لتحطمن قوة الرجل ٠٠ وان تسيطرن بتفاهتكن على ذكائه ٠٠ كل ما تبغين ، بمجرد أن تشببن عن الطوق ، أن تربطن زمام الرجل الى سيقانكن وأن تجعلن رأسه موطئا لنعالكن ، فان عجزت الواحدة منكن ، فانهـا تعبد اليد التى تصفعها ، والفم الذى يسبها !

ـ آه ٠٠ اضربنى ان شئت ، ولكن ٠٠ أحببنى !

ثم احتضنته وقبلته قبل أن يتحاشاها ٠٠ ولـكنه تملص من ذراعيها وهتف : « اننى أزدريك ٠٠ وداعا ! »

وتشبثت به ضارعة : « لا تكذب ٠٠ بل أنت تعبـدنى ، ولكنك خجل لانصياعك ٠٠ ان شئت عزاء لكبريائك الجريحة ، فانى أعطيك أكثر مما سألتك ٠٠ دعنى أضحى من أجلك ٠٠ اقسم ٠٠ بحق أفروديت ٠٠ »

ـ ولكنك لاتؤمنين بأفروديت٠٠بل اقسمى بنبى اليهود٠٠

فشحب وجهها وترددت ٠٠ ثم قالت : « ولـكنه قسم خطير »

- لا أريد سواه ٠٠

وأقسمت ٠٠ ثم هتفت : « ماذا تطلب ٠٠ عجل يا حبيبى فانى خائفة »

- انما أطلب أمرا بسيطا : أن تتقبلى الهدايا الثلاث !٠٠ ان المرء لا يستطيع ان يتزين بمرآة مسروقة ، ومشط قتيلة ، وقلادة ربة ٠٠ لذلك كان من القسوة أن تطلبى ثمنا لحبك ثلاث جرائم اهتزت لها المدينة ٠٠ ستجدين الهدايا فى الحديقة المغلقة التى يقوم فيها تمثال الاله هيرمانوبيس ٠٠ **فاحملى مرآة باكيس فى يدك ،وغيبى مشط نيتوكريس فى شعرك ، وطوقى بقلادة الربة أفروديت - ذات الشعب السبع - عنقك ٠٠ وفى هذه الزينة اذهبى يا كرايزيس الجميلة الى المدينة ٠٠ لسوف يسوقك الناس الى جنود الملكة ، ولكن ٠٠ بعد أن تكونى قد نلت ما اشتهيت ٠ وسأزورك قبل مشرق الشمس فى سجنك !**

شد ٠٠ وجذب !

◆ **كان** أول ما فعلته كرايزيس أن هزت كتفيها ، وقد أضمرت ألا تكترث لليمين التى أقسمتها ٠٠ ولكن الفضول المطرد راح يدفعها نحو المكان الذى أخفى فيه ديمتريوس الاسلاب ٠٠ ورغبت فى أن تمسك بها وتتحسسها ٠٠ أما ديمتريوس ، فلسوف تعرف كيف تستعيد سلطانها عليه ٠٠ أية نهاية أرادها لها ؟٠٠ أن تحمل المرآة الاثرية التى تطلعت فيها « سافو » يوما ، والمشط الذى ضم شعر نيتوكريس الملكى ، والقلادة اللؤلؤية الالهية ، أمام عيون من لا عدد لهم من الناس ٠٠ ثم تحظى بديمتريوس من المساء حتى الصباح ، فتعرف أخيرا ما يثيره أعمق الحب فى نفس المرأة ٠٠ ثم تموت حوالى الظهر دون عناء !

لا .. لن تنصاع للاغراء !.. ومع ذلك ، فقـد فطنت الى نفسها بعد فترة .. فاذا هى عند الحديقة ، والصمت الرهيب يهفو بأعصابها .. وأحاطت عنقها بالقلادة ، وأغمضت عينيها تستعذب برودة اللآلىء .. وتحسست المشط فى شغف ، ثم غيبته فى شعرها .. وتطلعت فى المرآة تتبين معالم الفوز فى ملامحها ..

وانطلقت ، دون أن تعيد الاسلاب الى المخبأ كما كانت قد اعتزمت !

تفتن الشعب بجمالها .. ثم تسلم نفسها !

◆ **وكان** القوم ـ حين عادت من حديقة هيرمانوبيس ـ قد أخذوا يحتشدون على رصيف الميناء ، تجاه فاروس ، والقلـق والذعر يستبدان بهم .. خشية ان تغضب الجرائم الثلاث الآلهة فتهجرهم وتتخلى عنهم ..

ومضت كرايزيس غير حافلة بهـم .. حتى بلغت ملتقى جزيرة « فاروس » برصيف الميناء .. ثم اتجهت صوب نصب هائل من المرمر ذى لون كأنه اللهب ، ودرجات سداسية الشكل .. ودفعت الباب البرونزى لسور النصب ، ثم أوصـدته خلفها بالمزاليج ..

وفجأة ، انبعثت شهقات من آلاف الحناجر : « افروديت ! » .. وارتفعت الشهقات الى صرخات ملؤها الابتهاج ، وأقبـل القوم كالسيل العرم على الجزيرة ، وراحوا يتسلقون الدور ، والاعمدة والبروج .. وضاقت الجزيرة بمن تدفقوا عليهـا ، فأخذ الناس يهوون الى الماء .. ومع ذلك ظل القوم يتدافعون الى الجزيرة ، لا تكاد العين تتبين لهم أولا من آخر ..

وفوق هذا الخضم ، بدت حركة كأنها اقبال الموج وادباره .. كانت أذرع العبيد تشق طريقا ، وهى تحمل محفة الملكة « بيرنيس » ..

كانت « كرايزيس » قد برزت من الباب الشرقي ، ووقفت

فى شرفة الطابق الاول من النصب المرمرى الاحمر ٠٠ وكانت عارية ، كالربة افروديت ، وقد أمسكت كل من يديها بطرف من وشاحها القرمزى الذى كان يتطاير مع نسمات الغروب ٠٠ وفى يدها اليمنى ، كانت المرآة تعكس الشمس الغاربة ٠٠

وفى جلال وروعة لا حد لهما ، تحركت فى بطء وقد أطرقت برأسها ٠٠ وأخذت تصعد السفح الخارجى للبرج القرمزى ٠٠ ووشاحها يتطاير كألسنة اللهب ٠٠ والشفق القانى ينعكس على لآلىء القلادة فتبدو كنهر من الياقوت ٠٠ ومضت فى الصعود ٠٠ وجسدها الفاتن يتألق بأروع مفاتن اللحم ، والدم ، والنار ، والطلاء العقيقى ، والحمرة المخملية ، والورد القانى ٠٠

وظلت تصعد ٠٠ وكأنها تنشد السماء !

نظرة ازدراء !

◆ **وفى** السجن ، خلت الى نفسها بعد ساعات ، وقد أجبرت على ارتداء غلالة من الصوف الابيض ٠٠ وأطلقت شعرها ، ثم عادت تفتن فى تنسيقه ٠٠ واتكأت بذراعها على حافة نافذة السجن ، وسرحت بصرها الى الخارج ، فاذا القمر فى أبهى اشراقه ، والسماء صاحية ، صافية ، مضيئة ٠٠ تماما كما كانت ليلة فرت من « الناصرة » ، قبل سبع سنوات !

وعاودتها الذكريات ٠٠ كانت اذ ذاك تستقبل الحياة ، فاذا هى الآن تودعها ٠٠ ومضت أصداء الماضى تتردد فى ذاكرتها ٠٠ واعتمدت رأسها بين راحتيها ، تضغطها بشدة ٠٠ كأنما كانت تبغى أن توقف الذكريات !

وفجأة ، سرت فى جسدها قشعريرة هزته ، اذ صور لها أن الرأس الجميل الفاتن الذى كان بين يديها ليس سوى جمجمة نخرة !٠٠ اذن ، فهذا مصيره !؟٠٠ وهذا الجسد اللدن ، الرطيب الناعم ، الصارخ بالغواية ٠٠ أيلقى فى ظلمة الرمس ؟

وتملكتها رغبة جامحة فى أن تعيش ٠٠ وأن تبدأ الحياة من جديد

وفتح الباب فى هدوء ٠٠ وولج « ديمتريوس » !

وقفزت نحوه ، بيد أن الشاب لم يتحرك !٠٠ وبدد انفعالها هدوء وقور فى نظراته ٠٠ ومرت لحظة طويلة ، ثقيلة على نفسها ٠٠ ثم تحرك ، فسار الى النافذة ٠٠ وتهالكت على حافة الفراش تحملق فيه ٠٠ وأخيرا تكلم ٠٠ وكان يحدث نفسه بصوت خافت :

ـ عجبا ٠٠ كيف تتلقانى بعد ذلك بكل هذه العاطفة ؟٠٠ لو لم يكن ثمة بد من تقديم ضحية للجمهور الثائر بعد الجرائم الثلاث ، لسرنى أن أطفىء لحظة نار الرغبة التى تكويها ، ثم اتركها تسعد بمباهج الحياة !

وقطع عليه تيار أفكاره ، قدوم حارس السجن العجوز يتبعه جنديان ٠٠ لقد حان للغانية أن تشرب كأس السم !

وتطلعت الى ديمتريوس ٠٠ واحتست نصف ما فى الكأس ، وعيناها لا تفارقان طلعته ٠٠ ثم ، عرضت عليه النصف الآخر بحركة رشيقة ، فرفع يده رافضا ٠٠ واذ ذاك ، جرعت ما تبقى ، وعلى شفتيها ابتسامة متجلدة ٠٠ لم تخل من ازدراء !

وسارت الى النافذة ، فاستندت الى النافذة باحدى يديها ، واعتمدت رأسها باليد الاخرى ، ومضت ترقب الفجر اللازوردى ، بنظرات الشباب الذى قضى عليه بالذبول ولما يستكمل ازدهاره ٠٠ وطال بها الوقوف حتى ولدت شمس اليوم الجديد ٠٠ ووهنت ساقاها ، فحملها الجنديان الى الفراش ٠٠ وسوى الحارس العجوز أطراف ثوبها الابيض ، ثم مس قدمها متسائلا: « أتحسين ؟ »

ولكن الاحساس كان ينحسر سريعا من جسدها ٠٠ وفجأة ، رفعت كتفيها ورأسها ـ وهى كل ما تبقى حيا منها ـ بحركة نمت عن قوة خارقة واتتها فى لحظاتها الاخيرة ٠٠ وتطلعت الى

ديمتريوس ٠ وقبل أن تراه يلبى النداء ، انهارت فاقدة الحياة، وقد غاض نور الحياة من عينيها الجميلتين ٠٠ الى الابد !

وسحب الحارس أطراف ردائها ، فغطى وجهها ٠٠ وحدس أحد الجنديين أن ثمة رابطة عاطفية بين الميتة والشاب الواقف فى سجنها ، فجرد حسامه ، واقتطع خصـــلة من شعرها ٠٠ الشىء الوحيد الذى تبقى منها على حقيقتـــه ٠٠ الذهب الذى اشتق منه اسمها !

وتناول ديمتريوس الخصلة الدافئة بين أصـــابعه ، فمضى يفرق شعيراتها ، ثم راح يسحقها فى التراب ، تحت نعله ٠٠ فى تؤدة ، وارتياح !



الخالدون



عظماء .. فى غير السياسة

عزيزى القارىء ...

فى الاعداد السابقة قدمت لك فى هذا الباب على التوالى قصص حياة : ((ديفاليرا)) .. و ((غاريبالدى)) .. و ((لويس باستير)) .. و((اميل زولا)) .. و((ماركونى)) .. و((تشايكوفسكى)) .. ((فمصطفى كمال)) .. ثم ((شوبان)) .. و((جى دى موباسان)) و((مختار)) و ((تشارلس ديكنز)) و ((بيتهوفن)) و « موسولينى » و « شيللى » و«بلزاك» و بودلير)) و ((دستويفسكى)) واخيرا ((موليير)) .. وهم اولئك العظماء فى السياسة ، والطب ، والادب ، والاختراع ، والموسيقى .. والفنون .. الخ

واليوم أقدم لك فيما يلى حياة حكيم الصين الأشهر وفيلسوف العالم القديم : ((كونفوشيوس))

وفى الاعداد التالية اعرفك باذن الله بهؤلاء الذين تشتاق الى معرفتهم منذ بعيد : لورد بيرون ، براونتج ، شوبرت .. فولتير ، شوبنهاور ، نيتشة ، أرسطو .. بوذا .. داروين ، اينشتين .. شكسبير ، جوته ، أديسون ، فورد .. والتر سكوت، ديماس .. كولمبوس ، الاسكندر المقدونى ، بطرس الاكبر ، فردريك بسمارك .. مايكل انجلو ، رفاييل ، ليوناردو دى فنشى ، وغيرهم



١

اعلام الفلسفة - ١

كونفوشيوس

حكيم الصين الخالد

ذو الاذنين الكبيرتين !

◆ **عاش** « شوليانج هه » عمره فى أسى واكتئـــاب ٠٠ لا لانه ظل جنديا صغير الشأن ، نكرة ، لم يستطع أن يرقى بنفسه الى ما يليق بمستوى نسبه ، وعراقة سلالته ٠٠ انما كان أساه لانه لم ينجب ابنا يصلى من أجله بعد موته ، فقد كان أهل الصين يؤمنون بأن المرء لا ينعم براحة فى الحياة الاخرى ما لم يخلف وراءه ابنا شرعيا يصلى من أجله !

وتحول أسى « شـــو ليانج » الى حزن عميق عندما بلغ السبعين ، اذ أحس بأنه غدا على حافة القبر ، ولم تخلف له زوجه سوى بنات !٠٠ واذا كان قد أنجب فى الواقع ابنا ، الا أن هذا الابن من محظيته ، ومن ثم فهو غير شرعى ٠٠ فضلا عن انه ولد كسيحا ٠٠

وهكذا ، وفى هذه السن المتأخرة ـ السبعين ـ لم يجـد شو ليانج بدا من أن يتخذ زوجة أخرى ٠٠ فتاة فى السابعة عشرة !٠٠ وسرعان ما تحركت فى أحشائها مضـــغة نمت وتطورت وهبطت الى الحياة ٠٠ ولدا ٠٠ محققا لامنية الجندى العجوز ، الذى ازدهاه الاعجاب اذ ألفى أذنى الوليد كبيرتين ٠٠ فقـد كانت الآذان الكبيرة فى عرف أهل الصين بشيرا بالحكمة ٠٠ ومن ثم أطلق الرجل على وليده اسم « مستركونج الحكيم » ـ « كونج ـ فو ـ تســيه » ـ أو بالاحـرى : « كونفوشيوس » !

وفعلا لم يكن « كونفوشيوس » ـ منذ حداثته ـ بالانسان العادى ، ولا كان حظه من أعباء الحياة بالحظ العادى ٠٠ فما أن بلغ الثالثة حتى منى بفقد أبيه ، فالتزم بأن يعول أمه منذ شب عن الطوق ٠٠ وعندما بلغ السابعة عشرة ، تقدم ينشد

منصبا حكوميا ، فعين حارسا على مؤونة الامة من الغـلال ، واستطاع أن يدخر من مرتبه ما مكنه من الزواج حين بلـغ التاسعة عشرة !

ومن طريف ما يذكر ، أن الحاكم أرسل له يوم زواجه زوجا من السمك « البلطى » الكبير ، اظهارا لتقديره للموظف الشاب ٠٠ فأعرب « كونفوشيوس » عن اعتزازه بهذا التقدير ، بأن أطلق على الابن الذى رزقه بعد عام ، اسـم « بويو » أو ٠٠ « السمكة الجميلة » !

وكان « مستر كونج الحكيم » موفقا فى عمله الحكومى ، بيد أنه لم يكن قانعا به ، اذ كان بفطرته رجل فكر لا رجـل « روتين » ، وكان يصبو الى أن يعمل فى التدريس ٠٠ وواتته الفرصـة مقرونة بالحزن ، اذ ماتت أمه ، فخف عنه عبء اعالتها ، ولاذ بكوخ الى جوار قبرها ، عكف فيه على التـأمل والتفكير ثلاث سنوات ـ وفقا لتقاليد الصين ـ ثم خرج من عزلته ، فأخذ بيد زوجه وابنه ، وانطلق ينشد تلاميذ يلقنهم آراءه ورسالته ٠٠

وكان لا يفتأ يقول : «اننى أعيش الآن فى الشمال والجنوب والشرق والغرب » ٠٠ ولكن مقامه الحقيقى كان فى رأسه ٠٠ فى ذهنه وفكره !

ميراث ٠٠ من الحكمة

◆ **كانت** الصين فى القرن السادس قبل الميلاد ، موزعـة بين عديد من أمراء الاقطاع ، الذين اعتادوا أن ينحنوا فى رياء للامبراطور ، وأن يطعن كل منهم الآخر فى الظهر !٠٠ وكان دهاة الاشرار من أصحاب المطامع يسيطرون على مقاليد أمور الامة ٠ بيد أن الصين كانت قد مرت بفترة من التاريخ ـ دامت آلاف السنين ـ حظى فيها العقلاء والحكماء ، لا أهل الفوضى والهمجية ، بالمناصب العليـا فى الدولة ٠٠ حتى اذا انطلق

المتعطشون للحكم واستغلال النفـوذ ، انطوى الحكماء على أنفسهم ، وراحوا ينشدون السلوى فى درس ما سـجل عن « الاخلاق والفضائل » فى الماضى ..

وكان « كونفوشيوس » من هؤلاء الذين راحوا ينبشون فى سجل الماضى ، لا سيما وان أجداده كانوا قد خلفوا فى ألف عام ميراثا كبيرا من الحكمة .. وفيما كان يسعى وراء المزيد ، قادته قدماه يوما الى بلاط امارة « تشو » ، حيث التمس مقابلة الفيلسوف الذائع الصيت « لاوتزيه » الذى كان يعنى بالمكتبة الملكية ..

ودار بينه وبين « لاوتزيه » حوار ، ومناقشـات ، أظهر فيها « كونفوشيوس » معرفة جعلت الفيلسوف العجوز ينصت اليه فى ابتسام وعجب ، ثم قال له فى النهاية : «ان الموضوعات التى تتحدث فيها قديمة ، والناس الذين تتكلم عنهم من الاموات .. ولقد سمعت ان التـاجر الذى يكتنز أثمن التحف تحت الارض ليس أفضل حالا من المعوز ! »

وعاد الشاب حائرا يفكر فيما سمع ، وبينما هو يجمـع التلاميذ حوله ، ويسعى للوصول بأفكاره الى طور النضوج ، بدأ يستبين معانى كلمات « لاوتزيه » بجلاء مطرد .. اذ كانت المقاطعة التى ولد ونشأ فيها ـ وهى مقاطعـة « لو » ـ قد اشتبكت فى سلسلة من الحروب الاهلية ، واضطر دوق «كاو» ـ صـديقه الحميم ، صديق العمر ! ـ الى أن يفـر مجتازا الحدود ، الى مملكة « تشى » المجاورة .. وأدرك «كونفوشيوس» المصير الذى يرتقب أنصار الدوق اذا ما وقعوا فى أيدى العدو ، فاختار من تلاميذه أكثرهم ذكاء واستعدادا ، وهاجر بهم فى اثر الدوق .. وفيما كان يجتاز جبلا فى احـدى الفيافى ، رأى امرأة جاثية تبكى الى جوار قبر حديث البناء ، فسألها عن سر أساها ..

وأجابته الثكلى : « لقد فتك نمر بوالد زوجى فى هـذه البقعة ، وبزوجى أيضا .. ولقى ابنى نفس المصير كذلك ! »

فسألها المعلم : « ولماذا لم تنزحى الى بقعة مأهولة ؟ »
فأجابته المرأة : « لانه لا توجد هنا حكومة جائرة ٠٠ »

وما أن وصل « كونفوشيوس » الى امارة « تشى » حتى مثل بين يدى الامير ، وقدم خدماته، بأمل السعى الى محو «الحكومة الجائرة ! » ٠ ٠فلقد استطاع أخيرا أن يفهـم المعنى الكامل الدقيق لكلمات « لاوتزيه » ٠٠ أن يدرك أن المعرفة كالمال ، يجب أن تستخرج من المخابىء التى تكتنز فيها ، وأن تتداول بين الناس ، لتصل الى النفس الانسانية ٠٠ ومن ثم يجب على العالم المتفرغ للدرس ، أن يتحول فى أوقات الاضـطرابات الاجتماعية الكبرى الى رجل سياسة وحكم ٠٠

مؤهلات الحاكم الصالح

◆ ولقد سر حاكم « تشى » فى البداية بأن يضم الىحاشيته أحد الفلاسفة ، وشغف ببحث مشكلات الحكم مع كونفوشيوس ومناقشتها ، فكانت مشوراته تدهشه وتملأ نفسه غبطة ٠٠ سأله ذات يوم أن يحدد له ماهية الحكومة الصالحة ، فأجاب : « تكون الحكومة صالحة حينما يكون الحاكم حاكما ، والوزير وزيرا ، والاب أبا ، والآبن ابنا » ٠٠ فهز الامير رأسه فى قبول وهو يقول : « كلام يبدو طيبا ، وان لم أفهمه » !

ولكن « كونفوشيوس » لم يلبث أن أوضح رأيه فى الحكومة الصالحة ، وكان مما قاله : « من الضرورى لرجل الحكم أن يشرع فى تنسيق مسلكه الشخصى وخلقه ٠٠ ولتنسيق مسلكه الشخصى وخلقه ، يتحتم عليه أن يؤدى واجباته نحو أولئـك الذين يمتون اليه بصلة ٠٠ ولكى يعمل على أداء واجباته نحو أولئك الذين يمتون اليه بصلة ، يلزمه أن يدرك طبيعة ونظام المجتمع البشرى ٠٠ ولكى يدرك طبيعة ونظام المجتمع البشرى، من الضرورى له أن يفقه شرائع الله ٠٠ »

ثم يمضى قائلا : « والواجبات المترتبة على الالتزامات العامة خمسة ، والخلال الخلقية التى يتسنى بها تنفيذ هذه الواجبات ثلاث • أما الواجبات فهى تلك التى بين الحاكم والرعية ، وبين الاب والابن ، وبين الزوج والزوجة ، وبين الاخ الاكبر والاخ الاصغر ، والواجبات التى تقتضيها العلاقة بين الاصدقاء •• هذه هي الواجبات الخمسة التى يلتزم بها الجميع عامة •• والحكمة ، والرحمة ، والشجاعة ، هى الخصال الخلقية الثلاث التى يجب أن تتوفر لدى الناس عامة ••

« وليست « طريقة » ممارسة الناس لهذه الخصال الخلقية مهمة ، اذ العبرة بالنتيجة •• ذلك ان بعض الناس يولدون ولديهم المعرفة بهذه الخصال الخلقية •• وبعضهم يكتسبها نتيجة التربية ، ومنهم من يكتسبها نتيجة التجربة الشاقة •• ولكنها تصبح سواء اذا ما توفرت المعرفة بها •• اذ أن البعض يمارس الخصال الخلقية بالفطرة وبسهولة ، وبعضهم يجد أن من المفيد أن يمارسها ، والبعض الثالث يمارسها بجهد ومشقة •• ولكن النتيجة اذا ما تحققت •• واحدة »

ويستطرد « كونفوشيوس » قائلا : « **ان حب المعرفة صنو للحكمة •• والانتباه الشديد الدقيق للسلوك صنو للرحمة •• والحساسية ازاء العار والخجل صنو للشجاعة •• فاذا فهم امرؤ طبيعة ونفع هذه الخصال الخلقية الثلاث ، فهم كيف ينسق مسلكه الشخصى وخلقه •• واذا ما أدرك امرؤ كيف ينسق مسلكه الشخصى وخلقه ، استطاع أن يدرك كيف يحكم الناس •• واذا عرف امرؤ كيف يحكم الناس ، أدرك كيف يحكم الامم والامبراطوريات !**

« وعلى أى شخص يدعى لحكم الامم والامبراطوريات ، أن يراعى تسعة اتجاهات رئيسية :

١ ـ أن ينمى مسلكه الشخصى

٢ ـ أن يكرم من هم أهل للتكريم

٣ ـ أن يبذل العاطفة ، ويؤدى واجبه لذوى الرحم
٤ ـ أن يبدى الاحترام لكبار وزراء دولته
٥ ـ أن يتعرف على مصالح وخير ذوى المكانة الرسمية فى الدولة كهيئة واحدة ..
٦ ـ أن يظهر بمظهر الاب لعامة الشعب
٧ ـ أن يشجع ادخال جميع الفنون المفيدة ، بما فيها الحرف
٨ ـ أن يبدى العطف للاغراب الوافدين من دول بعيدة
٩ ـ أن يبدى الاهتمام بخير أمراء ـ أى حكام ـ الامبراطورية .. »

شرح النصائح التسع

◆ **ويبين** «كونفوشيوس» كيف أن الحاكم بتنميته مسلكه الشخصى يقر احترام القانون الخلقى .. وعندما يكرم من هم أهل للتكريم يتجنب خداع ذوى الدهاء من رجال الحكومة .. وعندما يعطف على ذوى قرباه ، يأمن عدم انتقاض أفراد أسرته عليه .. وعندما يبدى الاحترام لكبار وزرائه يتجنب الزلل .. وعندما يتعرف مصالح وخير ذوى المكانة الرسمية فى الدولة يقوى روح الولاء بين علية القوم .. وعندما يغدو أبا لعامة الشعب ، يحفز الشعب للعمل على خير الدولة .. وعندما يشجع الفنون والصناعات المفيدة ، تتوفر الثروة فى البلاد .. وعندما يعطف على الاغراب ، يتوافد الناس من كافة أطراف الدنيا على البلاد .. وعندما يبدى الاهتمام بخير أمراء الامبراطورية ، يبث الاحترام لسلطانه فى العالم بأسره .. الخ

وكان طبيعيا أن يتأثر حاكم « لو » بفلسفة «كونفوشيوس»، حتى دفعه الاعجاب الى التفكير فى أن يقيمه على حكم احدى المناطق ، فقال لرجال السياسة من حاشيته بأنه سيعينه وزيرا لاقليم « لين ـ تشيو » .. فصعق السياسيون ، وعجبوا كيف

يعهد بحكم اقليم لهذا الفيلسوف .. ان هذا لن يلبث أن يقود الصين الى الدمار !

وبعد أن انحنوا مرارا وتكرارا ، واعتصروا راحاتهم ، التمس كبير الوزراء من الامير أن يعدل عن هذه الفكرة « الخطرة » ، وقال : « ان هؤلاء العلماء يا مولاى غير عمليين ، ولا يستطيعون أن يفهموا الشعب . فهم متكبرون مغرورون بآرائهم .. انهم شديدو الخطر ! »

فهز الامير كتفيه ، ووافق على أن « ادخال الفلسفة فى مجالس الحكم قد يكون أسوأ مفعولا من الفتنة » .. واطلع « كونفوشيوس » على أن وجوده فى البلاط مما لا يتفق والطباع الفلسفية ، فكان « كونفوشيوس » من الحكمة بحيث أدرك ما وراء هذه الاشارة ، فغادر مملكة « تشى » وعاد الى مسقط رأسه، حيث كان الموقف السياسى قد عاد ملائما له – اذ ولى أصدقاؤه الامر – وما أن علموا بما لقى فى بلاط « تشى » حتى عرضوا عليه – بدافع من الغيرة والمنافسة ، ان لم يكن من الكرم – أن يتولى حكم مدينة « تشونجتو » ..

وكانت هذه نوبة من نوبات السمو النادرة التى اعتورت قلب الانسانية فى التاريخ .. ففى الغرب ، منح « سولون » شعب اليونان المستعبد « دستور الحرية المبارك » .. وفى الهند ، فتح الامير « بوذا » الرشيد عيون بنى وطنه على جمال دين جديد..وفى بابل ، نهض النبى « حزقيال » ليهدم وثنية (عبادة) الطبقات الحاكمة .. وفى الصين ، حظى « المستر كونج الحكيم » بمدينة يقوم فيها بتجربة الحكومة الامينة ..

وبدا ان الاسرة الانسانية أفاقت – أخيرا ، والى حين – من تخبطها الهمجى فى الجهالة ، لتسعى قدما ..

يرشد الشعب الى الطعام واللباس وقوانين المرور !

◆ **ولقد** يبدو الشطر الاكبر من الواجبات التى اضطلع بها حاكم « تشونجتو » الجديد باعثا لعجب أهل العصر الحديث

٠٠ فلقد كان من المهام التى قام بها « تنظيم وتنسيق أخلاق الناس وآداب سلوكهم وعاداتهم » ٠٠ فوصف الانواع المختلفة من التغذية للناس ، حسب تباين أعمارهم ، وأنواع الثياب التى يجب أن يرتدوها فى المناسبات الخاصة والمناسبات العامة ، وعدد الانحناءات التى يقوم بها كل منهم حين يحيى الآخر ٠٠ وكان من هذه التعليمات أن « على الرجال أن يعنوا بالسير فى يمين الطريق ، بينما تسير النساء فى الجانب الايسر » ٠٠ وحدد سمك خشب توابيت الموتى ، وطول القبر وعرضه ٠٠ ووضع قانون « النبذ والاعراض » وجاء فيه : « لا ينبغى التقاط أى شىء يقع على الارض ! »

ووفق فى اقرار هذه القوانين فى نفوس القوم ، حتى ان الامير عينه وزيرا للجريمة ، فاذا الجريمة تنقطع وكأنما محاها سحر ساحر ٠٠ وأخفت الخيانة وعدم الامانة والانحلال رؤوسها ٠٠ وأصبح الولاء وصدق الايمان الطابعين اللذين يطبعان نفوس الرجال ٠٠ والعفة واللطف زينة النساء ٠٠ فأكبر الشعب « كونفوشيوس » وأحبه ، وجعل اسمه انشودة على ألسن أبنائه ٠٠

وانتهى هذا بالامير الى أن جعله رئيسا للوزراء ، ولكن هذه كانت بداية غروب نجمه ، اذ كان الحسد قد بدأ يأكل أمراء المقاطعات المجاورة من نجاحه كمصلح ، وخشوا أن تستفحل قوة « كونفوشيوس » كحاكم ملك قلوب الشعب ، ومن ثم تصبح مملكة « لو » أرقى من جميع ما حولها ، فينزح أهالى هذه اليها ٠٠

سحر الحكمة ٠٠ أم سحر الراقصات ؟

◆ **وجمع** الخوف بين أولئك الامراء ، فراحوا يتآمرون ليفرقوا بين حاكم «لو» ورئيس وزرائه ٠٠ وخطر لهم أن الامير قد فتن بسحر من فيلسوفه ووزيره الاول ، ولا يفل السحر سوى

سحر أقوى فتنة ، ومن ثم أوفدوا الى أخيهم « المعظم » أمير « لو » ثمانين من أجمل الراقصات !

وابتلع الامير الطعم ، فما أن استقبل الجمال فى بلاطه ، حتى ألقى بالحكمة الى عرض الطريق .. وتعطلت شئون الحكم .. وانقضى عام و « كونفوشيوس » يأمل أن يفيق مولاه من غيه ويثوب الى رشده .. فلما لم يتحقق أمله ، غادر البلاد مرة أخرى ، فى جلد الفلاسفة وعزمهم ..

جحود .. ورجم بالاحجار !

◆ **وقضى** « كونفوشيوس » ثلاث عشرة سنة يهيم من بلد الى آخر ، يلازمه بعض الأوفياء من تلاميذه . وكان الحزن يثقل فى كثير من الأحيان على هؤلاء التلاميذ ، اشفاقا على استاذهم .. وحدث يوما ان تأثر لحالهم رجل عجوز صادفهم ، فقال لهم مواسيا : « لماذا يحزنكم يا اصدقائى ما ألم بمعلمكم من نكد ؟ .. لقد عاشت الدنيا طويلا بدون مبادىء الصدق والحق !! .. فاذا جاء معلمكم اليوم يدعو اليها ، فمعنى هذا ان السماء اختارته ليكون كالناقوس ، يبلغ برنينه رسالة الله .. »

لكن الناس كانوا يصمون آذانهم عن السماع ، بينما يطلقون ألسنتهم بالزجر والنهر .. فلم يكن الفيلسوف الهائم ليحظى بالطمأنينة والسكينة الا فى معاقل الجبال ، واحضان الغابات .. كان كلما تحدث الى الناس سخروا منه ورجموه بالحجارة .. حتى اذا بلغ مقاطعة ((ويى)) ، شاء اميرها امعانا فى السخرية ان يخرج للنزهة مع الاثيرة من محظياته فى عربة ، وان يقسر ((كونفوشيوس)) على ان يتبعهما فى عربة اخرى .. والناس تصيح : ((ألا انظروا .. ها هى ذى الفضيلة تسعى وراء الشهوة !))

وفى ولاية اخرى ، امر الحاكم بأن تجتث الشجرة التى كان «كونفوشيوس» يلقى دروسه تحتها ، وأردف أمره قائلا : « ولتسقط الشجرة فوق هذا الفضولى المتدخل فيما لا يعنيه حتى تهشمه وتقضى على حياته ! »

وحين بلغ الفيلسوف ولاية « تشيانج » ، أبى حارس باب الولاية ان يسمح له بدخولها ، فسأله احد تلاميذه : « ألا تعرف من يكون ؟ »

فأجاب الحارس : « كل ما اعرفه هو انه يبدو كالكلب الضال الهائم ! »

والواقع ان « كونفوشيوس » كان يبدو فى تلك الايام اشعث الهيئة ، قذر المظهر .. ولكنه كان راضى النفس ، هانئا .. وقد كتب عن نفسه : « ان كونفوشيوس رجل ينسى - فى سعيه وراء المعرفة - غذاءه ، وينسى فى غبطة العلم أحزانه ، ولا يكاد يفطن الى أن الشيخوخة مقبلة عليه »

كان لا يجد فى غمرة دأبه على مساعدة الغير ، وقتا ليعنى بنفسه .. وحدث فى احدى المرات أن أنحى عليه أحد النساك باللائمة لانه يهيم خلال الطرق يلتمس ان ينصت اليه الناس ويسمعوا مواعظه ..

وقال الناسك : « آلا يجمل بك ان تسير فى طريق اولئك الذين فروا من الدنيا اطلاقا ، دون ان يتعرضوا لما فيها من اهانات وصفعات ؟ » .. فأفحمه « كونفوشيوس » بقوله : « ليس بوسعى أن أختلط بالطيور أو أن أعاشر الوحوش .. فمن أخالط اذا لم أختلط بالمعذبين من البشر ؟ »

هل نقابل الشر بالخير .. أم بالعدل ؟

◆ **وهكذا** راح « كونفوشيوس » يختلط ببنى آدم ، ويمسح بحكمته آلامهم .. وكان الكثيرون ممن تحدث اليهم قد ضاقوا ذرعا بمظاهر الدنيا ، وراحوا يبحثون فى لهفة عن اعمق معانيها .. فكانوا اذا سألوه عن الموت ، قال فى تأنيب رقيق : « أنى لى ان افهم الموت ، وانا لم أفقه الحياة بعد ؟ » .. ثم استطرد فى لهجة الاب الذى يتبسط مع طفله فى رفق : « لا داعى لأن نشغل بأمور وأشياء فوق الطبيعة فى الوقت الذى ما زلنا نجهل فيه كيف ننفع الناس .. »

ذلك ان كونفوشيوس كان واقعيا فى مسلكه نحو الحياة ، فلم يكن من الفلاسفة الذين يتعلقون بالنظريات والاحلام . سأله تلميذ محدث من تلاميذه عن الشر ، وهل يقابل بالخير ، فأجاب : « وبماذا اذن يقابل الخير ؟ .. لا تقابل الشر بالخير ولا بالشر ، وانما .. بالعدل ! »

ولقد لخص « السيد كونج الحكيم » فلسفته الخلقية فى عبارة سلبية واحدة ، قدر لها ان تترجم الى فلسفة ايجابية بعد خمسة قرون ، وتعرف بـ « القاعدة الذهبية » .. تلك هى : « مذهبى الوحيد فى السلوك الانسانى هو : التبادل .. لا تعامل الغير بما لا تحب أن يعاملوك به ! »

ولم يكن له اسلوب فكرى مستطرد ، متسلسل .. بل كان يؤثر ان يلقى بذور الحكمة تبعا للظروف والصدف ، قائلا : « لو تغلغلت جذور هذه البذور فى قلب الانسان ، فقد تنمو وتترعرع ويتفتح زهرها عن حياة يسودها الانسجام »

ولكنه لم يكن يبث فى قلوب الملوك بذورا ، بل كان يوسعها وخزا بالشوك ! .. كان يعرف كيف يخز اولئك الذين لا ينصتون له الا ليسخروا منه .. سأله احد الامراء يوما ، فى لهجة استخفاف وقحة : « وما هى العناصر الثلاثة التى تراها ضرورية للحكومة الكاملة ؟ »

فأجابه : ((**كفاية من الغذاء وكفاية من الجنود ، و .. شعب واثق**))

قال الامير : ((وهب أن هـــذه العوامل لم تتسن معا ، فأيها يمكن الاستغناء عنه ؟))

ـ الجنود اولا .. ثم الطعام .. ولكننى لا انصح قط بالاستغناء عن ثقة الشعب .. فبدون هذه الثقة لا تستطيع حكومة ان تقوم !

وسأله حاكم آخر : ((الا يجدر برجل الحكم ان يؤثر الشــــجاعة على ما عداها ؟))

فأجاب الحكيم : ((**بل يقدم الاستقامة على ما عداها .. فصاحب المنصب السامى الذى يؤتى الشجاعة بدون الاستقامة ، خطر على الدولة .. والرجل العادى الذى توفرت له الشجاعة بلا استقامة ، لا يعدو ان يكون قاطع طريق !**))

المبادىء الاربعة للانسان المثالى

◆ **ولم يكن** ((كونفوشيوس)) يؤمن بالجنة ولا بالجحيم ، وانما كان عظيم الايمان بامكانيات بنى البشر ، فكان يقول : ((ليس من السهل العثور على رجل درس الحكمة ثلاث سنوات دون أن يصبح طيبا صالحا)) .. ومن ثم كان يحلم بيوم تتولى حكم بلاده فيه ، سلالة من ذوى الاخلاق المثالية .. وكان يقول : ((لو صلح حكم الجنس البشرى قرنا واحدا ، لتلاشى العنف من الدنيا)) .. وكان يعمر قلبه امل طاغ فى الحكومة العادلة والانسان المثالى الذى ينشىء هذه الحكومة لتكون مثالا للاجيال القادمة . ومن ثم كان يقول : ((ان الانسان المثالى يعمل بحيث تكون أعماله نهجا عاما لكل الاجيال ، ويتصرف بحيث يكون مسلكه قانونا عاما لكل الاجيـــال ، ويتكلم بحيث تكون كلماته نبراسا عاما لكل الاجيال))

ويسعى هذا الانسان السامى المتفوق الى أربعة مبادىء يقدمها عـــلى ما عداها : التفقه فى العلم ، وحسن السلوك ، والامانة ، والاخلاص .. وهو اذ يصب حكمته والفضائل التى يدعو اليها فى قالب من الاعمال التى يأتيها الانسان السامى يقول : ((**انه فيما يتعلق باستعمال عينيه يصبو الى أن يرى بجلاء .. وفيما يتعلق بأساريره يحرص على أن تبدو رحيمة .. وفيما يتعلق بسيره يعمل على أن يكون محترما .. وفيما يتعلق بحديثه يجهد فى أن يكون صادقا صريحا .. وفيما يتعلق بمسلكه فى عمله يحرص على أن يكون أمينا .. وفيما يتعلق بهواجسه وشكوكه يسعى الى سؤال سواه .. وفيما يتعلق بطبعه يفكر فى الآلام التى قد يحدثها غضبه .. وفيما يتعلق بطموحه يفكر فى الاستقامة**)) .. **وهو يحب الناس لفضائلهم ويحاول أن يفهم سقطاتهـم ،**



قلب الرجل المثالى وعقله !

فان « الحب والحكمة هما قلب الرجل المثالى وعقله »

وفى أحلك ساعات هيـــامه فى تأملاته ، يهتف «كونفوشيوس» : « لا يعنينى كثيرا أن لا يفهمنى النـاس ، فان اهتمامى الاكبر ينصرف الى عـدم فهمى لهم .. »

وكانت حكمته الناضجة فوق مستوى عقـــول الطغاة والغاشمين .. ولـكن تلاميذه الذين عاشـــوا معه وشاطروه الآلام ، أدركوا قيمته ـ وان لم يفهموا مدى قيمة عباراته ـ « فليست المبادىء هى التى توسع آفاق الانسان ، وانما الانسان هو الذى يوسع مجـال المبادىء .. »

أخلاق الفرد .. هى أساس المجتمع !

◆ **ولم** يكن تلاميـــذ « كونفوشيوس » يرون فيـــه معلما ، بل كانوا يعتبرونه نبيا .. فما حاول قط ان يبهرهم بمعرفته الواسعة ، وانما كان يحاول ان يرشدهم بعطفه السابغ .. وكان لا يفتأ يقول : « من الرجال من ينقبون عن المعانى الغامضة المبهمة فى الدين والفلسفة ، ويتعمدون نهجا خاصا فى حياتهم ، ليبقى اسمهم من بعدهم محوطا بمظاهر الشهرة .. وهذا ما لن افعله ابدا »

كان مجرد « رجل دولة » يبحث عن « دولة » .. كان رجلا تبين ان خلق الفرد هو أساس المجتمع ، وان « على كل امرىء ، من الامبراطور الى احقر مواطن ، ان ينظر الى خلق شخصيته وانمائها كنواة يقوم عليها كل شىء ، اذا شاء للبلاد ان تنجو من خراب الحروب الاهلية » ..

وتبين أن لا مخرج للفوضى الا عن طريق الاسرة ، اذ « يجب أن يستمد المجتمع تنظيمه وكيانه من توطد النظام فى الاسرة » .. ويجب أن يفـرض النظام على اساس من الاخلاص والاحترام المتبادل .. وعلى الامبراطور ان يقوم بدور الأب ، وان يكون مرشدا « حانيا » على ابنائه افراد الشعب ..

وعليهم بدورهم ان يبجلوه وان يطيعوه .. ذلك انه « اذا هبت الريح ، وجب على الحشائش ان تنحنى » .. كما يجب على الجميع ان ينفروا من الشقاق بين أعضاء الأسرة نفورهم من أن يقتل المرء أخاه .. واذا وجب توقير الأبناء للأب ، وسلطان الاب على الأبناء - بالنسبة للشعب والحاكم - الا ان هذا لا ينبغى ان يمنع من ان يراعى الابناء سلطان ادراكهم للواجب وشعورهم به ، اذا طلب الأب طلبا جائرا .. فان ادراك الواجب خلق اسمى من ولاء القربى ! .. ومن ثم فحق على الابناء ان يقاوموا ظلم ابيهم .. كذلك يجب على الشعب ان يقاوم اذا اختار الامبراطور وزراءه فى غير حكمة ، او أساء استغلال امتيازاته وسلطانه كرأس للأسرة .. ويعقب « كونفوشيوس » على ذلك قائلا : « حق التمرد والعصيان ينبعث من أصل مقدس .. »

هذه هى الدولة التى كان يحلم بها « كونفوشيوس » .. فمتى ينبغى دفعها فى طريق الرخاء والقوة ؟ .. انه يجيب على ذلك بقوله : « عندما يشرع أعضاؤها فى السعى الى تفاهم مشترك فى انسجام ووئام شاملين » ..

دستور الدولة السعيدة !

◆ **ويمضى** « كونفوشيوس » قائلا ان الدولة السعيدة تعمل على أن توطد اقدامها كوحدة مستقلة ، وان تتجنب ، ما امكن ، الاشتباكات الاجنبية .. وعلى ان تحد من الترف فى بلاط وحاشية ملكها ، وان تحاول ان توزع الثروة بالعدل بين الشعب .. وعلى ان تسعى للاقلال من العقوبة والاكثار من التعليم .. وتعلم الجميع آداب السلوك والموسيقى .. « لأن الموسيقى صنو للخير .. والموسيقى الحسنة تهدى الى الاستقامة » .. وقد كان « كونفوشيوس » نفسه يجيد العزف على المزمار ..

كذلك يقول الفيلسوف **ان الدولة السعيدة تظل تتأهب لليوم الذى يتحقق فيه المبدأ العظيم ، فيسود الوئام والانسجام الناس جميعا فى الارض .. « ومن ثم تصبح الدنيا بأسرها جمهورية واحدة .. فيتصل الناس بعضهم ببعض فى اخلاص صادق ، ويبثون السلام الشامل .. ومن ثم لن يعودوا يقصرون شعورهم بالقربى على أقاربهم ، ولن يعودوا يقصرون معاملتهم لأولادهم على أولادهم .. وسيكون لكل رجل حقوقه ، ولكل امرأة شخصيتها الفردية .. وستكبح الأنانية ولا تعود تجد سبيلا للقيام ثانية .. ولن يعود اللصوص ، والمحتالون ، والخائنون يعيثون فى الأرض .. وهذه هى الحال التى أسميها الانسجام الأعظم .. »**

واذ سئل هل من الممكن ان يشرق فجر هذه الجمهورية العالمية الكبرى

يوما ما ، ابتسم فى أسى ورفع مزماره الى شفتيه وهو يذكر السبب الذى اضطره الى الهجرة والضرب فى الارض ، وقال : « سيأتى هذا اليوم ، حين التقى برجل يحب الفضيلة حبه للجمال ! »

الخلود .. بعد الجحود !

◆ وفى العام التاسع والستين من عمره ، عاد « كونفوشيوس » أخيرا الى مسقط رأسه « لو » ، وقد اختتم عهد تشرده عن بلده ، اذ كان الأمير قد مات منذ أمد بعيد من جراء افراطه فى حياة اللهو والترف .. ولم يكن القوم قد نسوا بعد رئيس الوزراء المصلح ، فتوافدوا عليه يسألونه الرأى والنصيحة .. ولكنه كان تواقا لأن يعتزل الدنيا ، اذ أحس بالمنية تدنو ، فعكف على الأعمال الأدبية ، وعلى جمع الشعر الصينى القديم ، وعلى اصلاح الموسيقى التى كانت تعزف فى الحفلات العامة ، كما ألف سجلا لأمجاد تاريخ بلاده .

وكان الأجل يدنو حثيثا .. فلما قضى الفيلسوف اخيرا ، بالغ تلاميذه فى تمجيده ، وراحوا يسجلون اقواله فى مجلدات ، ويبتكرون القصص الخيالية عن اعماله ، ويخلعون عليه اسمى النعوت والأوصاف ..

ولقى بعد موته من ذيوع الصيت ، ما يفوق ما لقيه فى حياته من اهمال .. فاذا الأباطرة والحكام يخلدون صورته فى البلاد ، وينقشون أقواله على الحجر ، ويقيمون المعابد باسمه ، ويأمرون بتقديم القرابين - تكريما لذكراه - أربع مرات فى العام .. وقبل ان تنقضى عدة أجيال ، خلعوا عليه لقب «العظيم القداسة» .. ولكنهم فى تحمسهم لعبادته ، نسوا - أو نسى معظمهم - وصيته التى قال فيها : « كل ما يجوز أن ألقب أو أوصف به ، هو أننى .. تلميذ نهم ، ومعلم لا يكل .. وهذا حسبى .. ولا شىء أكثر ! »



فصول من حكمة « كونفوشيوس »

عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به !

◆ لا يمكن فصل الحقيقة عن الطبيعة الانسانية .. فاذا انفصل ما نعتبره حقا عن الطبيعة الانسانية ، فانه لا يمكن أن يعتبر حقا ..

عندما يطبق انسان مبادىء الوعى والضمير والتبادل ، فانه يقرب من القانون الخلقى .. فلا تفعل لسواك ما لا تحب ان يفعلوه لك ..

هناك اربعة امور فى الحياة الخلقية للمرء ،لم يقدر لى ان افعل شيئا منها فى حياتى : تلك هى ان اعامل أبى كما اتوقع من ابنى ان يعاملنى - وهذا ما لم يقدر لى ان افعل - وان اعامل حاكمى كما اتوقع من اى وزير تحت امرتى ان يعاملنى - وهذا ما لم استطع ان افعله - وان اعامل اخوتى الذين يكبروننى كما اتوقع ان يعاملنى اخى الاصغر ، (وهذا ما لم يتح لى ان افعله) .. وان اكون السباق الى ان اعامل اصدقائى كما احب ان يعاملونى .. وهذا ما لم يتسن لى ان افعله

والحياة الخلقية للمرء شبيهة بالرحلة الطويلة ، يجب أن يبدأها المرء من أقرب محط .. وهى قد تشبه الصعود الى عل ، اذ يجب أن يشرع فيها المرء من أسفل درجة ..

كيف نفسك حسب ظروف حياتك

◆ **ورجل** الاخلاق يقصر نفسه فى نطاق ظروف حياته ، فلا يطمع فى شىء خارج مركزه : فاذا كان فى مركز المال والشرف ،عاش كما ينبغى العيش فى مركز المال والشرف .. وان وجد نفسه فى ظروف الفقر والضعة ، عاش كما ينبغى العيش فى ظروف الفقر والضعة .. وان وجد نفسه فى بلاد غير متحضرة ، عاش كما ينبغى العيش فى البلاد غير المتحضرة .. وان الفى نفسه فى ظروف الخطر والشدة ، تصرف كما يرتجى من رجل فى مثل هذه الظروف .. وبالاختصار ، فان صاحب الخلق لا يجد مركزا فى الحياة الا وفى طوقه أن يسيطر على نفسه فيه .. ففى المنصب الرفيع لا يترفع على مرؤوسيه ، وفى منصب المرؤوس لا يتملق رؤساءه .. وهو ينظم مسلكه الشخصى فلا يسأل احدا شيئا ، ومن ثم لا يعود له ما يشكوه .. وهو لا يشكو من الله ، ولا يلوم الناس ..

ان الله حين يهب الحياة لكل المخلوقات ، يسخو عليها كلا وفق ميزاتها وصفاتها .. فالشجرة المليئة بالحياة ينميها ويدعمها .. أما الموشكة على السقوط ، فانه يجتثها ويعدمها ..

كذلك من الصحيح ان من اوتى خصالا خلقية عظيمة جدا ، يحظى بكل تأكيد بالنعمة القدسية التى ترفعه الى مقعد الحكم

الشريعة الادبية قانون لا مفر منه !

◆ **كل** ما جاء منحة من الله ندعوه طبيعة انسانية .. وتحقيق احكام الطبيعة الانسانية هو ما نسميه القانون الخلقى ، او الشريعة الأدبية .. وتعليم ونشر الشريعة الادبية ، هو ما نطلق عليه اسم الثقافة ..

والشريعة الادبية قانون لا يمكن ان نفلت من مفعوله لحظة واحدة فى وجودنا.. وعلى ذلك فالقانون الذى يمكن أن نفلت منه ليس شريعة أدبية.. ومن ثم فرجل الخلق والأدب – او الرجل الراقى ، او المثالى – يحرص فى يقظة على ما لا تراه عيناه ، ويخشى ويرهب ما لا تسمعه اذناه ..

وليس ثمة ما هو اوضح مما لا يمكن للعينين رؤيته ، ولا ما هو أجلى مما لا تستطيع ان تحيط به الحواس .. ومن ثم فرجل الخلق والادب ، يحرص فى انتباه على افكاره الخفية .. المستترة

ما هو المفتاح الرئيسى لكياننا ؟

◆ **وحياة** رجل الخلق والادب ، مثال للنظام الادبى الشامل .. وعلى العكس من ذلك حياة الرجل الوضيع ، المناقضة للنظام الادبى الشامل ..

والوصول الى المفتاح الرئيسى لكياننا الخلقى – او الادبى – الذى يربط بيننا وبين النظام العام الشامل ، هو أرقى ما يصل اليه انسان من نجاح .. وقل ما تمكن الناس من ذلك ، لأمد طويل ..

اننى اعرف الآن لماذا لا تمارس الحياة الخلقية .. ذلك لأن العاقل الحكيم يرى فى الشريعة الأدبية اكثر مما هى فعلا .. والاحمق الغبى لا يعرف الشريعة الأدبية على حقيقتها الواقعة ..

اننى أعرف الآن لماذا لا تفهم الشريعة الأدبية حق فهمها .. فذوو الفطرة النبيلة يبغون أن يعيشوا فوق طبيعتهم الخلقية العادية بمراحل ومراحل .. واللئام لا يعيشون فى مستوى عال الى الحد الكافى .. اى لا يعيشون فى المستوى الحقيقى لطبيعتهم الخلقية العادية .. فمثلا ليس هناك من لا يأكل ولا يشرب ، ولكن قلة من الناس من يدركون طعم الأكل والشرب !

كل انسان يقول : « أنا عاقل ! »

◆ **كل** انسان يقول : « انا عاقل » .. ولكنه نادرا ما يعرف السبيل الى مخرج او منفذ ، حين يدفع الى شبكة ، او فخ ، او هوة ..

وكل انسان يقول : « أنا عاقل » .. ولكنه حين يهتـدى الى المفتـاح الرئيسى لكيانه الخلقى وتوازنه ـ اى نفسه الحقيقية ، المعتادة ـ لا يقوى على ان يحتفظ به شهرا كاملا ..

ولقد يستطيع المرء ان يقر النظام فى بلد ، وان ينبذ الالقاب والأموال والمناصب ، وأن يسير حافيا على الأسلحة المجـردة ، ومع ذلك فانه يظل عاجزا عن ان يجد المفتاح الرئيسى لكيانه الخلقى ..

ان الشريعة الخلقية توجد فى كل مكان ، ومع ذلك فهى سر خفى !

قد يلم الذكاء الذى اوتيه الرجال والنساء العاديون بطرف من القانون الخلقى .. ومع ذلك ، يبقى ثمة شىء لا يستطيع ان يدركه أحكم الناس واقدسهم ، مهما بلغ ..

العقل قد يلم بما هو أضخم من الكون !

◆ **ان** الانسان لا يقنع دائما بالكون على ضخامته .. ومع انه لا يوجد ما هو اضخم من الكون ، الا ان عقل رجل الخلق والأدب يستطيع ان يلم بما هو اضخم واعظم ..

يقول كتاب الاناشيد : « الصقر يرقى الى السماء محلقا ، والسمك يغوص فى اعمق الاغوار » .. ومعنى هذا ، ان ليس ثمة مكان ليس للشريعة الخلقية فيه وجود ، حتى السماء فى اوجها ، وقاع البحر فى ابعد اغـواره .. فصاحب الخلق يجد ان القانون الخلقى يبدأ فى العلاقة بين الرجل والمرأة ، ولكنه ينتهى فى اقصى اطراف الكون الشاسع ..

ما انشط القوى الروحية فى الكون ، فى كل مكان ! .. انها لا تبدو للعيون ، ولا تنكشف للحواس ، ومع ذلك فانها تندمج فى كل شىء ، ولا منجاة لشىء من مفعولها ! .. والواقع ان هذه القوى هى التى تجعل الناس فى كل البلدان يصومون ويتطهرون ، ويقومون ـ فى ثياب محتشمة مهيبة ـ بتقديم القرابين ، وبالعبادات الدينية .. وانا لنحس بوجود القوى غير المنظورة ، احساسنا بتدفق الماء .. فوقنا احيانا ، وحولنا احيانا اخرى ..

طقوس العبادة واحترام الاجداد !

◆ **والمبدأ** فى نظام الأسبقية فى حفلات العبادة فى معبد الآباء والأجداد ، هو ان يرتب اعضاء الاسرة تبعا لمراكزهم اولا ، ثم يعنى بعدهم بذوى الرتب ،

فيرتبون تبعا لمراكزهم اعترافا بمبدأ التباين الاجتماعى .. ثم تعتبر الطقوس التى تؤدى اعترافا للتباين فى القيم الخلقية .. وفى الوليمة العامة ، يقدم ذوو المراكز الصغيرة على ذوى المراكز العالية اظهارا للاحتفال بالطبقات الدنيا .. وأخيرا ، تقام مأدبة خاصة للمكتهلين ، اعترافا بمبدأ الأسبقية وفقا للسن ..

وتقديم القرابين للسماء والارض عبادة لله .. واداء الشعائر فى معابد الأجداد تبجيل للاجداد .. ولو ان المرء فهم معنى القرابين للسماء والارض، ومعنى الصلوات وتبجيل الأجداد فى الصيف والخريف ، لسهل عليه ان يحكم امة باشارة من بنانه ..

السعى الى هدف هو السبيل الى راحة البال

◆ **ان** مبادىء التربية والتعليم العالى تتمثل فى صون شخصية المرء واخلاقه ، وفى اتاحة حياة جديدة للناس ، وفى استبقاء الكمال .. ولا يكون للمرء غاية محددة فى الحياة حتى يعرف غاية الكمال الذى يجب ان يعيش فيه .. ولا يحظى المرء براحة البال حتى يكون له غاية محددة فى الحياة .. ولا يرتاح المرء فى سلام وطمأنينة حتى يحظى براحة البال .. ولا يستطيع الانسان ان يبدأ فى التفكير الا بعد ان تتاح له الراحة المطمئنة .. ولا يمكن للمرء ان يحصل المعرفة الا بعد ان يتعلم كيف يفكر .. ان فى تكوين الاشياء أساسا يعلوه بنيان ، وفى مجرى الحوادث بداية ونهاية .. ومن ثم فان بداية الحكمة هى فى تعرف الترتيب الصحيح ، والنظام النسبى للاشياء ..

الحب يحجب العيوب .. والكراهية تحجب الحسنات !

◆ **ان** انتظام الحياة المنزلية يتوقف على تدعيم الحياة الشخصية للمرء **.. فالناس عادة يفقدون القدرة على الحكم على اولئك الذين يحبونهم ، وعلى أولئك الذين يزدرونهم أو يكرهونهم ، وعلى أولئك الذين يخافونهم ، وعلى اولئك الذين يرثون لهم ، وعلى اولئك الذين يجلونهم او يفخرون بهم .. ومن ثم فقلة فى الحياة هم أولئك الذين يستطيعون أن يتبينوا العيب فيمن يحبون ، والخير فيمن يكرهون .. ومن هنا كان المثل المأثور : « لا يعرف الناس اخطاء اطفالهم .. تماما كما هم لا يعرفون النمو غير الظاهر للارز فى حقولهم .. »**

والذين يبغون تنظيم حياتهم القومية ، يجب ان يعكفوا على تنظيم حياتهم المنزلية .. فالذى يخفق فى تعليم افراد اسرته لا يمكن ان يوفق فى تعليم

من هم خارج نطاق الاسرة .. والمرء اذا عاش فى وئام مع اهل بيته ، صار اهلا لأن يكون مثالا لبنى امته ..

وحفظ السلام فى العالم يتوقف على تنظيم الحياة القومية .. فاذا تعلم اصحاب السلطان ان يحترموا كبار القوم ، تعلم عامة الشعب ان يكونوا ابناء صالحين .. واذا احترم ذوو السلطان من هم فوقهم ، تعلم عامة الشعب الاحترام والتواضع .. واذا ابدى ذوو السلطان العطف للصغير والعاجز ، لم ينهج عامة الشعب نهجا مضادا لهم .. ومن ثم فلدى كبير القوم — او الأمير — مبدأ يصلح قياسا ينظم وفقا له مسلكه ..

وليتحاش المرء أن يبـــدى فى معاملاته لمن هم أدنى منه ، ما يكرهه ممن هم ارقى منه .. او يبدى فى خدمته لمن هم اعلا منه ما لا يحبه ممن هم اقل منه .. ولا ينبغى ان يبدى لمن هم خلفه ما لا يروقه ممن هم امامه ..

ولكى يكون الحاكم ابا للشعب ، وجب ان يحب ما يحبه عامة الناس ، وأن يكره ما يكرهه عامة الناس ..

« أخلاق » الحاكم هى دعامة محبة الشعب له

◆ **ولا يجب** ان يهمل من هم فى مركز السلطان او يقصروا ، فانهم اذا اخطأوا مرة ، نبذتهم الدنيا بأسرها .. والذين يكسبون الشعب فى صفهم يستطيعون ان يحتفظوا بحكمهم على البلاد ، اما اولئك الذين يخسرون اتباع الشعب لهم ، فانهم يفقدون السيطرة على البلاد ..

وعلى ذلك فخليق بالأمير او الحاكم ان يحرص اولا على خلقه الخـــاص وشخصيته . فان كان ذا خلق وشخصية ، كان الناس معه .. وان كان الناس معه ، صار له السلطان على البلاد ، وان صار له السلطان على البلاد ، واتاه الثراء .. فان واتاه الثراء استطاع أن يقوم بجلائل الاعمال .. وهكذا ، الأخلاق هى الاساس .

وثمة قاعدة لجمع المال .. تلك هى انه اذا وجدت كثرة من منتجى الثروات وقلة من مبدديها ، واذا كان الشعب سريعا فى كسب المال ، مبطئـــا فى انفاقه ، توفرت الثروة دائما .. والرجل الحقيقى ينمى شخصيته بوساطة ثروته ، اما الرجل الذى لا يستحق الرجولة فهو الذى ينمى ثروته على حساب شخصيته .. **ولم يحدث قط ان وجد حاكم يحب الخير وتعجـز رعيته عن حب الاستقامة .. ولا حدث قط ان احب شعب الاستقامة الا ودبرت امور الدولة بنجاح ..**

تفتيش مشروعات رى مصر الوسطى ببنى سويف - اعلان

تقبل العطاءات بمكتب تفتيش مشروعات رى مصر الوسطى ببنى سويف لغاية ظهر يوم الثلاثاء الموافق ١١ يناير سنة ١٩٥٥ عن عملية توريد وتركيب الاجزاء المعدنية للكبارى الملاحية على ترعة الجيزة فى المواقع الآتية : (١) كوبرى اللاهون كيلو ٠٥٠ر٢ (٢) كوبرى ابو الشقوق ك ١٥٠ر٢٢ (٣) كوبرى القطورى كيلو ٥٤٠ر٣٥ (٤) كوبرى زاوية أبوسويلم ك ٤٨٠ر٤٣ (٥) كوبرى كفر عمار ك ٥٢٠ر٤٤ (٦) كوبرى المعرقب كيلو ٩١٠ر٤٦ (٧) كوبرى السعودية ك ٤٣٠ر٥١ (٨) كوبرى بمها ك ٥٣٠ر٥٥ - ويمكن الحصول على المواصفات والاشتراطات من المكتب المذكور نظير دفع مبلغ ٧٥٠ مليما مضافا اليه مائة مليم مصاريف بريد ويجب ان يقدم الطلب على ورقة دمغة فئة الخمسون مليما ويمكن الاطلاع على البوم رسومات العملية المحضر باللغة الانجليزية بمكتب التفتيش ببنى سويف وكل عطاء يقدم غير مصحوب بالتأمين المؤقت الكامل ومقداره ٢ ٪ من قيمة العطاء لا يلتفت اليه علاوة على انه سيصير النظر فى أمر مقدمه .

٩٣٥٨

وزارة الشئون البلدية والقروية

ادارة المبانى والتنظيم والتخطيط
قسم المبانى

تقبل العطاءات بالادارة العامة للمبانى والتخطيط والتنظيم (بوستة قصر الدوبارة) لغاية ظهر يوم ١٩٥٤/١٢/٢٩ عن عملية انشاء كباين على البحر بالعريش وتطلب الشروط والمواصفات من الادارة على ورقة تمغة فئة الخمسين مليما مقابل دفع مبلغ ٢ جنيه خلاف أجرة البريد وطوابع المهن الهندسية ، وكل عطاء غير مصحوب بتأمين ابتدائى قدره ٢ ٪ لا يلتفت اليه .

٩٣٣٤

سلاح الاسلحة والمهمات

تقبل عطاءات بادارة العقود والمشتريات بسلاح الاسلحة والمهمات بالمعادى لغاية الساعة ١٢ من ظهر يوم ١٩٥٤/١٢/١٣ عن توريد مهمات تكميلية للسيارات - كوريكات رفع - طلمبات نفخ - مفاتيح - اقفال - مشمعات ووتربروف مقاسات مختلفة وخلافه ويمكن الحصول على الشروط مقابل مبلغ ٢٥٠ مليما يضاف اليه مبلغ ٦٠ مليما أجرة البريد وتقدم الطلبات على ورقة دمغة من فئة الخمسين مليما .

٩٣٣٩

حوافز الحياة



النفس والجنس.. والمجتمع..

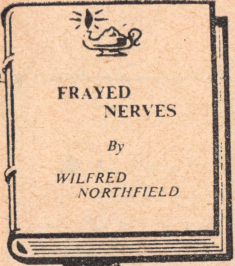
عزيزى القارىء ...

فى هذا الباب قدمت لك فى الاعداد الماضية من كتابى ، الكتب الاتية على التوالى : « كيف تصارح أولادك وبناتك بالحقائق الجنسية » ثم « طريق السعادة الزوجية » و « مركب النقص » و « حواء الجديدة » ثم « كيف تقهر الخجل »و«كيف تقهر القلق وتستمتع بالحياة » ..

ثم قدمت لك بعد ذلك من « فنون الحياة » التى شرحها المفكر العالمى «اندريه موروا » : فن الحب ، فن الزواج ، فن الحياة العائلية ، فن الصداقة ، فن العمل ، فن الزعامة ، فن السعادة ، فن التفكير ، واخيرا فن الاستمتاع بالشيخوخة ..

ثم قرأت معى فى هذا الباب فصول كتاب ((غزو السعادة)) لبرتراند رسل .. فكتاب فرويد المشهور ((التحليل النفسى)) ، يليه ((كيف تضاعف من نجاحك فى الحياة)) ، ثم ((الجنس الاخر)) ، و((عش حياة ايجابية)) ، و((ابواب الحب المغلقة)) ، و((فن الحب))، للشاعر الرومانى أوفيد .. ثم ((الانتصار على الخوف)) ، للاخصائى المعروف ((جميس بندر)) .. و ((عش بحكمة تعش سليما)) للاخصائى الالمانى ((برنارد ديتمار)) ثم : ((كيف تتجنب متاعب الاعصاب المرهقة)) لويلفريد نورثفليد

واليوم أقدم لك الجزء الثانى والأخير من هذا الكتاب النافع



العالم النفسى الانجليزى
" ويليفريد نورثفيلد " يحدثك:

كيف تتجنب متاعب
الأعصاب المرهقة



كتاب يهم كل قارىء

◆ فى العدد الماضى قدمت لك القسم الاول من هذا الكتاب النافع، وفيه حدثنا المؤلف عن أهمية سلامة الاعصاب ، ووسائل العناية العامة بها ، ثم عن عرضين من أعراض اعتلال الاعصاب ، وهما :

١ ـ الشعور بالتعب عند الاستيقاظ

٢ ـ الصداع وآلام الرأس

وفيما يلى أقدم لك القسم الثانى والاخير من الكتاب ، وفيه يحدثنا المؤلف عن الاعراض الاخرى لاعتلال الاعصاب، وهى : **الشعور بالقلق، سورات الغضب ، صعوبة تركيز الافكار ، السهاد والهموم ، المضايقات المنزلية ، ثم الميل للعزلة الاجتماعية .**

٣ ـ الشعور بالقلق

◆ **اننا** نعيش فى أوقات عصيبة ، تدعو الكثيرين الى أن يمضوا فى الحياة فى قلق تكاد تحسه فى كل حركة من حركاتهم أو كل تصرف من تصرفاتهم .. والقلق من الاحاسيس الخفية التى تسبب من الضرر فوق ما يبدو للمرء .. فالشخص القلق لا يستطيع أن يستمتع بالحياة على الوجه الاكمل ، لانه يرهق ذهنه ، ويرهق أعصابه ، فيسبب بالتالى ارتباك دورته الدموية ..

والعلاج الوحيد للقلق هو أن نواجهه ،وأن نسائل أنفسنا: ما الذى نخشى أن نفقده ؟.. وما الذى نتوقع أن يوقع بنا الضرر ؟.. فاذا توصلنا الى معرفة مبعث القلق ، تأملنا ما هنالك من فرص ته ضدنا ، وساءلنا أنفسنا : هل حظنا منه أسوأ من حظوظ الآلاف من البشر ؟

ان الشخص الكثير القلق خليق بأن يروض نفسه على أن يحيا ليومه فقط ، وأن يدع الغد الى حينه ، اذ ما حاجته الى أن يشقى به وهو لم يحن بعد ؟.. ان ربط الظواهر التى

تصادفنا بالخواطر التى فى رؤوسنا ، يلعب دورا خطيرا فى هواجسنا ومخاوفنا ٠٠ فاذا صادفنا شيئا يتصل بأوهامنا ، بادرنا الى ربطه بتجارب الماضى ، وبالخيالات المزعجة التى تتصل به ٠٠ وسرعان ما يملأ الجزع رؤوسنا ، ويعكر رؤى المستقبل فى أبصارنا ٠٠

لذلك يجمل بالشخص القلق أن يتفادى هذا الربط بين الظواهر والخواطر ، وفى وسعه أن يتجنب قرأءة الانباء المثيرة فى الصحف ، وأن يتخير البرامج البهيجة والموسيقى المرحة اذا استمع الى الاذاعات ٠٠

عدم الاطمئنان الى الرزق

◆ **وعدم** الاطمئنان « الاقتصادى » ـ أو عدم الاطمئنان الى الرزق ـ من أهم دواعى القلق والانزعاج ٠٠ وكثيرا ما تستفحل الحالة لاسباب خارجية ، كأن نقرأ أو نسمع عن أنباء التعطل والفقر والضائقة المالية ، فيجتذبنا التشاؤم هنا أكثر من التفاؤل ٠٠ وخير ما تفعله ازاء هذه الحال هو أن توحى الى نفسك بالطمأنينة ، وبأن استعدادك وجهودك كفيلان بأن يبعثا على التفاؤل ٠٠ فان مثل هذه التأكيدات تذكى فى نفسك التحمس ، وترفع من روحك المعنوية ، وتقويك بدنيا وعقليا ، فلا تدع مجالا للوساوس ٠٠

ان حمل النفس على أن لا تعنى الا بساعتها ويومها ، خير علاج للقلق ٠٠ فان الانصراف الى ما فى يدك من عمل يشغلك عن أن تسرح بخواطرك حتى تقع فى شباك الافكار المزعجة٠٠ فاذا كنت تأكل ، أو تعقد رباط حذائك ، أو رباط عنقك ، فاجتهد فى أن تنصرف تماما الى انجاز ما تفعل ، ولا تدع أى شاغل آخر يجتذبك ٠٠

وأنا أسلم بأن على المرء أن يرسم خططه للمستقبل ، ولكن يجب أن « ننظم » ذلك ، فنخلو الى أنفسنا فى وقت محدد ٠٠ وبعد أن نقرر ما ينبغى عمله يجب أن نقدم عليه فى شجاعة

واطمئنان ، دون أن ندع الفرصة لشيء يضعف من سيطرتنا على تفكيرنا ، فاننا اذا فقدنا زمام السيطرة على التفكير اتجهنا فورا الى القلق ‥ **واذا راودتنا الهواجس أثناء انشغالنا بعمل ما ، وجب أن نعاملها كما لو كانت أشخاصا ، فنقول لها : « لا وقت لدى أضيعه معك ، اذ يجب أن أنصرف تماما الى ما فى يدى ‥ تعالى فى وقت آخر ! »**

فاذا عاودتك بعد ذلك فى وقت تستطيع فيه أن تخلو اليها، فواجهها ، وابحث عن دواعيها ، وعالجها ، فتتخلص منها ‥

ان بوسعنا أن نسيطر على زمام أفكارنا بأكثر مما نتصور، ولكن هذه السيطرة لا تبلغ ذروتها الا بالممارسة والتنمية . ومن المؤكد أن المرء يستطيع بالسيطرة الذهنية أن يغالب أفكار السوء ، والشكوك ، والهواجس ، وأن يوطد الطمأنينة الذهنية لنفسه ‥

٤ ـ عندما تكون أعصابك ثائرة ‥

◆ **وقد** يكون ثمة أكثر من سبب لثورة الاعصاب ‥ بيد أن السبب الاول يرجع فى الغالب الى انحطاط الحالة الصحية، والدليل على ذلك أن كثيرا من ذوى النفوس المرحة يصبحون ثائرى الاعصاب فى فترات المرض ‥ بيد أن ثمة أشخاصا آخرين لا تتأثر روحهم المرحة ولا أعصابهم باعتلال صحتهم ، ومن ثم يخلق بنا أن نرى ما اذا كانت ثورة الاعصاب ترجع الى سبب صحى أو سبب عقلى ‥ فاذا كان الاول ، فأسباب العلاج قد سبق ايضاحها : العناية بالتغذية ، وبالرياضة والنزهة فى الهواء الطلق ، وبالنوم والراحة والاستجمام ‥

أما اذا كان السبب عقليا ، فان العلاج يحتاج الى جهد أكبر ‥ يحتاج الى تحليل حياتك وعاداتك : ربما كنت تثقل على نفسك أكثر مما ينبغى بحيث لا تدع لها وقتا للراحة والهدوء، اذ أن الاندفاع المحموم فى تيار الحياة كثيرا ما يتحول الى نوع من الهوس لدى بعض الناس ، فلا يخطر لهم أن المرء قد

يستطيع أن يحرز فى ساعة من التأمل الهادىء ، ما لا يتسنى له أن يحصل عليه من وراء نشاطه فى يوم كامل !

وهؤلاء المندفعون فى نشاطهم قد يمضون على هذه الحال وقتا طويلا قبل أن يحسوا بالارهاق ـ اذ أن اندفاعهم المتحمس يخفى أعراض هذا الارهاق الى حد ما ـ بيد أن لقوة احتمالهم حدا ، فلا يلبثون أن يجدوا أنفسهم متوترى الاعصاب ، ثائريها .. لانهم يبدون من نشاطهم أكثر مما يتاح لاجسامهم أن تنتج ..

لذلك يجب عليك أن تراعى فى حياتك توازن طاقتك العصبية على الدوام ، فاذا كان عملك فوق طاقتك فخليق بك أن تتخلى عن المهام الاضافية التى تقوم بها فى فراغك ، بمجرد النذر الاولى للارهاق .. ذلك ان الحياة جديرة بكل مجهود ، وبكل عمل جليل ، ولكنها لم تخلق لكى تقضيها مرهقا ، ثائر الاعصاب ..

على أن الارهاق ، وثورة الاعصاب ، قد يترتبان على « قلة » ما لدى الانسان من عمل ، اذ لا بد لنشاط الانسان الطبيعى من منفذ ومنفث .. فاذا طال بشخص الخمول ، راح النشاط يلح عليه ويثير أعصابه ، بحثا عن مخرج ينطلق منه .. فاذا لم يجد مخرجا الى عمل نافع ، انشائى ، وجد وسائل أخرى .. لذلك يخلق بك أن تسأل نفسك عما اذا كنت تستغل معظم ما تنتج من نشاط ؟.. فلعلك لا تجد من العمل الانشائى ما يملأ وقت فراغك ، أو قد يكون عملك آليا ، رتيبا ، لا يستنفد من نشاطك المتوثب سوى القليل .. وفى كلتا الحالين يجب أن تبادر الى تعديل الاوضاع !

الانانية من أهم أسباب ثورة الاعصاب !

◆ **وهناك** أسباب أخرى لاثارة الاعصاب : منها أن تكون محوطا بأشياء مملة ، أو أن تمنى خططك بفشل متوال ، أو أن تكون منهمكا فى حياتك الاجتماعية أكثر مما ينبغى ، أو

أن تكون حساسا أكثر مما ينبغى فى تقبل أمور الحياة ، أو أن تكون أنانيا ـ ولعل هذا أكثر الاسباب شيوعا !

ولا سبيل لمعرفة السبب الحقيقى من بين هـذه كلها الا بفحص النفس ، وهنا يجب أن نلتزم الصراحة التامة ، فنعترف بأخطائنا ٠٠ ولا شك أن معظم حدة أعصابنا تنشأ عن اننا نعيش فى حياة شديدة السرعة ، شديدة الوطأة ٠٠ ولهـذا السبب أحب أن أشير الى نقطتين :

الاولى : اننا لا نستطيع أن ننتج نشاطا عن طريق ارهاق أنفسنا فى عمل من الاعمال ٠٠ ومن ثم فلا بد أن يكون لدينا فائض من الطاقة ، نستغله اذا ما صادفنا مهمة شاقة تحتاج الى مزيد من التجهد ٠٠ فاذا ما أتممنا المهمة ، وجب أن نحظى بقدر أكبر من الراحة ٠٠ أما اذا لم يكن لدينا مدخر ، فان الامر كله يغدو مصدرا للارهاق ٠٠ ولكن الارهـاق لا يولد طاقة ، بل انه يستنزف المورد الناضب حتى يتلفه !

والنقطة الثانية هى اننا كلما أسرعنا بكبح نشاطنا الجامح ـ بمجرد شعورنا بنذر التوتر العصبى ـ كان هذا أفضل ٠٠ ومن السهل أن نسيطر على حركاتنا ، وأن نجعلها وئيـدة ، متزنة ، مطمئنة ، فنصون بذلك الطاقة العصبية التى نملكها ٠٠

فلنكن متسامحين مع الآخرين !

◆ **والى جانب** التوازن الصحى والعقلى ، يجب أن نكون أكثر تسامحا مع زملائنا فى البشرية ، وأكثر فهمـا لهم ٠٠ فاننا اذا خلنا أنفسنا فوق كل مستوى ، وطالبنا بقية الناس بأن يراعوا ذلك ويقروه ، سببنا لانفسنا الاستياء والانفعال باستمرار ٠٠ وانما يجب أن ندرك أن تصرفات وعادات سوانا من البشر تقوم الى حد كبير على عوامل خارج طوقهـم ، كالوراثة ، والبيئة ، والنشأة ، والتربية ٠٠ ومن هنا ينبغى أن نكون متسامحين معهم الى الحد المناسب

وفى الوقت ذاته ، من الحكمة أن نتجنب - من الناس والامور - كل من وما يسبب لنا الانفعال والهياج ‥ اذ أن سيطرتنا على أنفسنا قد تمكننا من أن نكبح مشاعرنا فى الفترات القصيرة ، ولكن كبح النفس يوما بعد يوم لفترات طويلة ، يوهن جهازنا العصبى ‥ وفى هذه المناسبات العديدة ، يكون التسامح وروح المرح عاملين ينقذان أعصابنا من التمزق والانهيار ، أما سرعة الانفعال فتستنزف كل موارد طاقتنا العصبية ‥ وان الممارسة والمران لكفيلان بأن يجعلانا لا نتأثر بالاشياء التى تبعث على الانفعال ‥ وأساس هذه العادة هو الحرص على الراحة البدنية التامة ، وعلى الاستجمام الذهنى ‥

فلتبدأ مرانك بالجلوس فى غرفة مزدحمة بالناس الصاخبين ، الثرثارين ‥ ولتجلس فى استرخاء تام ، لا سيما بالنسبة لعضلات العينين والفكين ، ثم تصور منظرا بهيجا ، سارا ‥ وستلاحظ انك تظل تشعر بما حولك فى الحجرة فترة ، ثم تغيب عنها بحسك ، فلا تفطن الى ما يدور فيها ‥ بل ان أصوات المتكلمين قد لا تلبث أن تسلمك الى النعاس‥ وهذا هو الدليل القاطع على أنك لا تشعر بشىء من الانفعال ، أو التوتر ‥

والخلاصة ، ان رصانة أعصابك أمر « فى يدك » أكثر مما تتصور !

٥ - صعوبة تركيز أفكارك

◆ **وأهم** ما ينبغى أن تعرفه عن تركيز الافكار هو انه « فن » ، وانه لا يتيسر الا بالمران الدائب ، المنظم ‥ وكلما كان هدف الانسان فى الحياة عاليا ، كانت قدرته على اتقان هذا الفن أعظم ‥

أما ذاك الذى لم يؤت قدرة كافية على التركيز ، فانه يكون

سهل التأثر بالظروف الخارجية المحيطة به .. ومن ثم فيخلق بنا أن نعرف السبب فى العجز عن التركيز الذهنى :

ان شرودك الذهنى فى عملك قد يكون نذيرا بأنك قليل الاهتمام بعملك ، قليل الاستمتاع به .. وقد يرجع ذلك الى أنك لا تحظى فيه بتقدير كاف ! بيد أن هذا الشرود يجب أن يكبح ، وهذا أمر ميسور .. فبنفس الطريقة التى تطرد بها القلق والانزعاج ، تستطيع أن تطرد الافكار التى تقتحم ذهنك فتشغله عن المهمة التى بين يديك ..

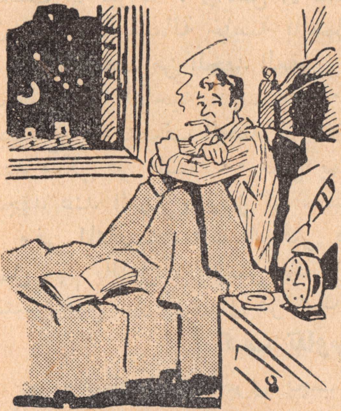
واذا كانت مشروعاتك الخارجة عن نطاق عملك تشغلك عن هذا العمل ، فعليك أن تحدد وقتا معينا للتفكير فيها ، على أن تطردها من ذهنك اذا ألحت عليك فى غير هذا الوقت ! اذ أن أحلام النهار قد تكون ممتعة ، ولكن .. فى فترات «الفراغ» . وفى وسعك أن تفسح فى خلال عملك دقائق تستمتع فيها بهذه الاحلام ، وتنال قسطا من الراحة ، بأن تجلس مسترخيا .. أما حين تعود الى العمل ، فينبغى أن تستغرق فى مهمتك الى أقصى ما فى طوقك !

ومن خير سبل التدريب على التركيز الذهنى ، أن تقرأ المقال الافتتاحى فى صحيفة كبرى ، وأن تبحث عن المعنى الكامن وراء كل عبارة .. وبعد بضع ساعات ، حاول أن تكتب ملخصا للمقال .. وهذا ينمى قوة التركيز الذهنى وقوة الذاكرة فى وقت واحد !

كذلك جرب أن تلاحظ الاشياء التى تحيط بك ، أو الامور التى تجرى حولك ، لا سيما ما كان منها غير عادى أو مألوف .. تأملها فترة محدودة من الزمن ، ثم حاول أن تتذكر دقائقها بعد ساعات ..

ولا شك ان ضعف الصحة يعرقل التركز الذهنى الى حد كبير .. على انك اذا شعرت بالعجز عن تركيز ذهنك عندما تمارس عملا تحبه ، فبادر باستشارة طبيب نفسانى ..

٦ ـ السهاد والهموم



◆ **أعتقد** أن هذين العرضين من أكثر الاعراض العصبية شيوعا فى أيامنا هذه ٠٠ ومعظم المصابين بهما ليسوا فى الواقع من المرضى بداء الارق ، بدليل انهم يحظون بنوم عميق فى عطلاتهم ٠ وكل ماهنالك انهم فى غير العطلات لا يستطيعون أن يتخلصوا من مشكلات أعمالهم فى ساعات النوم ٠٠ ومن ثم فجدير بنا أن نعالج أفكارنا كما نعالج الامور المادية ـ أو الامراض التى تصيب بعض أعضاء الجسد ـ وبهذا فقط يتسنى لنا أن نصل الى السيطرة التامة عليها

ويذكرنى هذا بفكرة « اخترعها » ـ وأوثر أن استعمل هذا التعبير ـ شخص ووجد فيها عونا كبيرا ٠٠

وتتلخص الفكرة فى أن تتصور حين تلجأ الى فراشك فى كل ليلة ، انك قد حزمت مشكلاتك جميعا وألقيت بها خارج غرفة النوم ، فاذا حاولت أى من هذه المشكلات أن تتسلل الى ذهنك ، فاعمل على أن تركز فكرك فى أن هذه المشكلة قد حزمت مع زميلاتها خارج المخدع ، وانها يجب أن تبقى حيث هى الى الصباح التالى !

وخليق بمن يتولون أعمالا هامة أن يتمشوا مع الطبيعة فى توزيع نشاطها : فسويعات الصباح هى أحفل الساعات بالنشاط ، فمن الواجب معالجة أعوص المشكلات خلالها ، وترك المسائل التى لا تحتاج الى جهد لفترة ما بعد الظهر ٠٠ فاذا ما انتهى النهار ، فاترك العمل ومشكلاته خلف أبواب

المكتب اذ تبرحه ، واقض الامسيات فى لهو وراحة ، وارفض أن تدع لاية مسألة خاصة بالعمل أن تعكر عليك صفوك ٠٠

هذا التخفف من الجهد العقلى ، وتوزيعه تبعا لساعات اليوم ، صحيح من الناحية النفسية ٠٠ اعمل بأقصى جهدك فى الصباح ، وبنصف الجهد فى الاصيل وباكورة المساء ، وبأقل جهد ممكن فى المساء ٠٠ فهذا يمهد السبيل للتخلص نهائيا من الجهد عند النوم ، ومن ثم تحظى بنوم عميق ٠٠

وفى المناسبات القليلة التى قد تضطر فيها الى ممارسة عمل مهم بالليل ، يحسن بك أن تسير على قدميك ساعة أو اثنتين قبل أن تأوى الى فراشك ٠٠

كيف تقاوم الأرق ؟

◆ **وهناك** نقطة أخرى يجب مراعاتها : ان الاستلقاء فى الظلام مع اغماض العينين ، هو خير وضع للتركيز الذهنى التام ـ أو بمعنى آخر : للارق ! ـ فاذا سمحت لاتفه مشكلة بأن تتسلل الى تفكيرك فى هذه الحالة ، فانها سرعان ما تعكر عليك صفوك ٠ لذلك يجمل بك حين تريد النوم أن تفتح عينيك قليلا ، اذا تسربت أية مشكلة الى ذهنك ، على أن تظل فى رقدتك المريحة ٠٠ واذا أحسست من ذهنك ميلا الى أن يحملك الى المكتب ومشكلاته ، فلتحتل على ذلك بأن تركز بصرك وتفكيرك على أى شىء فى الحجرة ـ والانف هدف مثالى للتركيز، لانه يتيح للعينين والجفون وضعا مريحا ! ـ ولا بأس فى هذه الحال من أن تسمح لضوء خافت ، غير متألق ، بأن يبدد ظلام الغرفة

ومن المحاولات الطيبة فى هذا أن تضع جهازا للراديو الى جوار السرير ، فاذا عجزت عن أن تكف عن التفكير فى المشكلات ، فأدر زر الجهاز على المحطات الاجنبية ٠٠ وقد خبرت بنفسى كيف أن هذه الطريقة تشغل المرء عن أفكاره ٠٠ وتجتلب النعاس الى عينيه ٠٠

ولست أزعم أن بوسعك أن تتخلص من النشاط الذهنى فى ساعات النوم بسرعة ، ولكنك تستطيع ذلك بالتدريج اذا دأبت على العلاج •• وأول ما ينبغى أن تفعله هو أن تبين لنفسك أن لا داعى اطلاقا للتفكير فى ساعة النوم ، لان المشكلات تستطيع أن تنتظر حتى الصباح ••

ولا تحاول أن تتزمت أو أن تكون صارما فى دفع الافكار عن ذهنك ، بل خذ ذهنك بالحيلة والرفق ، ولا تنفعل اذا أخفقت ، والا ضاعفت العناء !

٧ - المضايقات المنزلية

◆ **تحفل** الصحف بقصص عديدة عن النزاع العائلى منشؤها « الاعصاب » •• فما هى الا بضع كلمات قليلة، حادة، متهورة ، يتبادلها الزوجان ، حتى يشتبكا فى شجار ، ويصبح الاطفال مصدر مضايقة لمن يكفلهم منهما ••

ولا ذنب للحياة المنزلية والجو المنزلى فى معظم هذه الحوادث ، كما يخيل للكثيرين •• انما مرد الامر كله الى أن الزوجين يكونان حين التقاؤهما فى نهاية النهار ، متعبين ، مرهقى الاعصاب ••

والمرء اذا ظل طيلة النهار ينهك نفسه فى العمل ، فلا يتخفف من توتر أعصابه ، ولا يحظى بفترات قصيرة للراحة ، فانه لا يكون فى نهاية يومه فى حال تمكنه من أن يستمتع بوقت فراغه ، اذ تكون أعصابه فى حالة ارهاق حاد •• لذلك يخلق بك اذا شعرت بأن الجو المنزلى يثقل على أعصابك ، أن تبحث عن الراحة خارج المنزل •• فاذا كان عملك عقليا متعبا ، فيحسن أن تتمشى لفترة ساعة قبل أن تعود الى دارك ، فان الرياضة والتنفس العميق يجلوان عن الذهن كلله ، ويخففان من حدة توتر الاعصاب ، فتجنب زوجتك عناء القيام بدور « صمام الامن » في حياتكما المشتركة !

كذلك يحسن بالزوجة التى يجهدها عمل البيت ، أن تحظى بساعة راحة قبل عودة زوجها ٠٠ وقد يخيل اليك ـ أيتهـــا الزوجة ـ أن هذا من المستحيلات ، ولكنك حين ترين الاثـــر المدهش الذى سوف يترتب عليه ، لن تعترفى بأن ثمـــــة مستحيلات ٠٠ كذلك ينبغي عليك أن تنالى فترات راحة قصيرة أثناء النهار ٠٠ فان الاستلقاء أو الاســترخاء لعشر دقائق فى الضحى ، والاستراحة لنصف ساعة بعد الغداء ، يفعـــــلان العجائب للاعصاب المتوترة

ان الضيق الناشىء عن توتر الاعصاب يشيع الاضطراب فى الحياة الزوجية ٠٠ ويكفى أن تكون أعصـــاب أحد الزوجين مرهقة، لتحيل جو البيت قاتما مكفهرا٠٠ ولكنا عادة نميل الى أن نلوم الظروف ، بدلا من أن نبحث عن الخطأ فى نفوسنا !

ان الحياة المنزلية لا ترعى نفسها بنفسها ، بل لا بد من أن تتفرغ أثناء وجودك فيها لان تجعلها موفقة ناجحة ٠٠ ولو انك أنفقت كل أوقية من طاقتك العصبية فى العمل ، لاســـتحال جو البيت الى ضيق وازعاج وثورة ، وبذلك تتلاشى منـــــه السعادة ٠٠ فى حين انك لو ادخرت قسطا بسيطا من طاقتك العصبية كى تستمتع بالحياة المنزلية ، لوجدت أن ما فيهـــا من هناء يفوق ما بذلت من جهد !

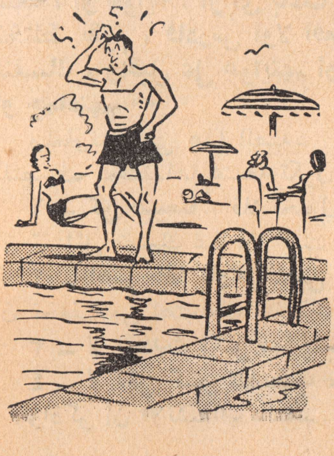
ان التسامح ، والصــــبر ، والعطف ، والرفق ، والجلد ، عوامل هامة ، ولكنها جميعا تتوقف على مشـــكلة التعب ٠٠ فتجنب الافراط فى التعب ما استطعت ان كنت تروم حيـــاة منزلية هانئة ٠٠ اذ لا سبيل الى النجاح بدون طاقة عصبية ، وطريقة ادخار الطاقة تتوقف على ظروف عملك وعلى فرصك ، ولكن كل امرىء يستطيع أن يدخر بعضا منها من آن لآخـــر وبين مهمة وأخرى ٠٠ وبذلك يصبح لديه في النهاية قدر يفوق ما كان يخطر له ٠٠

٨ - العزلة الاجتماعية

◆ **كثير** هم أولئك الذين يحسون انهم « على الهامش » ، لا مجال لهم فى الحياة الاجتماعية ، فهم يحسدون أولئك الذين يستطيعون الاختلاط بالناس بسهولة ، ويودون أن يكونوا مثلهم ·· ولكنهم لا يخرجون عن نطاق التمنى !

فاذا كنت من هؤلاء ، فتأمل نفسك : ماذا لديك تقدمه للمجتمع ؟·· ان الجاذبية الطبيعية عنصر هام · وليس معنى هذا الملاحة والجمال ، وانما أقصد الخفة ، والنشاط ، والابتهاج بالحياة ·· وهذا يتوقف الى درجة كبيرة على الجهاز العصبى ·· فاذا كنت دائما « تسأم كل شيء » ، فلا مكان لك بين الناس، لانهم ينشدون من الحياة الاجتماعية الابتهاج، والتفاؤل، والحيوية ··

ولا مناص من الاقرار بأن للنشأة أثرا كبيرا فى قابلية الانسان للاختلاط بالغير ·· والابن الاوحد لوالديه كثيرا ما يكون ضعيف القابلية فى هذا الميدان، وكذلك كل من نشأ بين أهل يخشون عليه من الاختلاط بالغير ··



بيد أن هذا الضعف ميسور العلاج ، تدريجيا ·· ان الشخص الخجول ، العصبى الطبع ، يكره عادة أن يقدم على الخروج عن انطوائه ، وأن يختلط بسواه ·· تماما كما يفعل الانسان اذ يوشك أن يقفز الى ماء بارد ، فيعوقه التردد والخجل !

والخوف عادة هو السبب الاول للعزلة الاجتماعية : الخوف من امكانيات المرء ، والخوف من النقـد ، والخوف من ارتكاب ما يضحك الناس منه ·· ولا علاج لذلك كله الا بأن يتجـاهل المرء الناس وأن يفعل ما يرغب فيه دون أن يحفل بآرائهم !

ونحن فى هذا المجـــال نصادف دائرة أخرى من دوائرنا المفرغة : فان العزلة تدعو المرء الى البحث عن مواطن النقص فى نفسه وتجسيمها ، وهذا بدوره يدعو الى الخوف ، والى فقدان الثقة بالنفس ·· ومن ثم فكلما اعتزل المرء النـــاس ، صعب عليه أن يخالطهم وهو مطمئن ·· ذلك لان الانسان خلق بطبعه محبا للاختلاط بزملائه من بنى البشر ··

والعمل والرياضة هما أسهل ميدانين للاختلاط ·· والذين يشكون العزلة الاجتماعية محرومون من الاهتمام بالامور العادية فى الحياة اليومية ، لان اهتمامهم الاوحد منصب على أنفسهم·· ومن العوامل التى تيسر الاختلاط بالناس ، أن يكون ثمة شيء مشترك بينك وبينهم : سواء كان هذا الشيء مصـــلحة ، أو متعة ، أو هواية ، أو أى باعث يثير الاهتمام ·· فاذا شئت أن تختلط بقوم ، فادرس أولا أفعالهم وأفكارهم واقتبس منهـا لنفسك ، واقبل على هوايتهم أو رياضتهم ، والتحق بناديهـم أو جماعتهم ··

ولمعاونتك فى هذا الصدد ، أقدم لك القواعد الاربع التالية للتصرف بمقتضاها عندما تكون مع جماعة من الناس :

١ ـ **كن طبيعيا** ، فلا تحاول أن تتظاهر بما ليس فيك ، أو أن تسائل نفسك عما اذا كنت نجحت أو لم تنجح ··

٢ ـ **اهتم حقا بآراء الناس وأفكارهم** ، فهذا يساعدك عـلى أن تخفف من اهتمامك بنفسك

٣ ـ **لا تتحدث أكثر مما ينبغى ، وكن مستمعا واعيا ··**

٤ ـ **لا تكن كثير الصخب ، ولا فضوليا ··**

واذكر أن الانشغال بالنفس كثيراً ما يصد النـــاس عن

الاتصال بسواهم ، وهو ينشأ عن اسرافهم فى التفكير فى مشاعرهم وأحاسيسهم ، اذ يصحب هذا شىء من الانفعال . لذلك أنصحك ، اذا كنت مع قوم ، بأن تحرص على أن تريح أعصابك ..

وان شعرت بانفعال فاذكر أن سواك قد لا يكون أقل منك انفعالا !

واحرص على أن تكون جريئا ، اذ أن هذا يجعلك تثق فى نفسك ..

وتطلع فى وجوه الناس وأنت تحدثهم ، وكن رزينا ، واذا تكلمت فتكلم بتؤدة ويسر ..

وكن سهلا فى حركاتك ، فان التضييق على أعضائك فى حركاتها سرعان ما يؤدى الى الارتباك الذهنى !

وأهم الامور فى علاج العزلة الاجتماعية هو أن تبدأ ، وأن تفعل ما يحلو لك أن تفعله ، فسرعان ما يتلاشى الانفعال والارتباك .. واذا تصورت الحياة الاجتماعية مسرحا ، ونحن فيه الممثلون ، فتذكر انه لم يخلق ممثل لم يرتبك وينفعل أثناء أداء أدواره الاولى ، ثم تلاشى انفعاله بمضى الزمن تدريجيا .. وكذلك أنت ، اذا ما تعودت الظهور فى المجتمعات العامة ، فلن تلبث أن تنسى ارتباكك وتتغلب على انفعالك !

ان كل علاج فى متناول يدك ، ويجب أن تشق طريقك ، وأن تفوز !

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى الاعداد السابقة من كتابى طائفة من القضايا والمحاكمات الهامة ، هى على التوالى : محاكمة ((جورجيت هودو)) ملكة الجمال الباريسية .. فمحاكمة السفاحين ((بيرك)) و ((هير)) .. ثم محاكمة فيلسوف اليونان العظيم ((سقراط)).. ومحاكمة ((آن بولين)) ملكة انجلترا فى عهد هنرى الثامن، فمحاكمة ((دريفوس)) .. ومحاكمة ((ستافسكى)) .. ثم محاكمة ((مرجريت فهمى)) .. ومحاكمة ملك انجلترا ((شارل الاول)) واعدامه .. ومحاكمة قاتل راسبوتين .. ثم محاكمة ملك فرنسا لويس السادس عشر .. ومحاكمة قاتل عشيق زوجته (من محاكمات أثينا القديمة) .. و ((جريمة درب العشاق)).. وأخيرا ((جريمة حارة التونى))

واليوم أقدم لك فيما يلى هذه المحاكمة الفرعونية القديمة التى تكشف الستار عن محاكمة المتآمرين على حياة العاهل المصرى العظيم ((رمسيس الثالث)) .

وفى الاعداد القادمة تقرأ معى باذن الله فى هذا الباب مزيدا من القضايا والمحاكمات الشائقة ، سواء من الغرب أو الشرق

الجريمة.. والعقاب



المحاكمات الكبرى

في الماضي والحاضر



احمد عبدالحميد يوسف
يترجم لك
عن الهيروغليفية :

مؤامرة اغتيال رمسيس الثالث

الجريمة التى اهتزت لهولها مصر الفرعونية

هذه المحاكمة ..

◆ عرف الانسان الغدر والغيلة منذ خلق ، واننا لننظر فى مرآة التاريخ فنطالع صورا للاثم والبغى تتردد أخبارها فى أسماع الزمان وتتجاوب أصداؤها فى ضمير التاريخ . وتمر الازمان وتتتابع الدهور ولكن الانسان لم يرق فى دخيلة نفسه ولم يهذب من غرائزه ، فان كان قد هذب فى شىء أو رقى شيئا فانما هذب ورقى وسيلة قتل أخيه أن تكون سهلة ميسرة سريعة الآثار مضمونة النتائج !

ولقد عرفت مصر الاغتيال السياسى منذ أقدم العصور ، ولم تعدم فى تاريخها القديم والحديث آثما تخلت عنه المروءة فراح يعتدى ذلك الاعتداء المنكر الآثم على حياة أولى الامر منه .. فلقد تعرض بعض الفراعنة من حكام هذا الوادى للغيلة والغدر ، والعجيب أن من تعرض منهم لهذا اللون من خيانة الانسان انما كان من أصلح الفراعين حكما، وأعدلهم سيرة ، وأحرصهم على رفاهية مصر ، وأشدهم غيرة على أمنها ، وأكثرهم استعدادا لبذل نفسه فى سبيلها !

ولقد ادخر لنا التاريخ قصة مؤامرة كبرى وجريمة ضج لهـا الناس فى ذلك الزمان ، ومحاكمة تعتبر من المحاكمات الكبرى فى التاريخ . وشاءت الاقدار أن تدخر لنا محاضر جلساتها كاملة أو كالكاملة فى أوراق البردى التى انتقلت الى متاحف أوربا .

حاكم مثالى

◆ **كان** ذلك حوالى سنة ١١٦٧ قبل مولد المسيح ، يوم كان على عرش مصر فرعونها رع مس سو (رمسيس) الثالث ، وكان ملكا جديرا بعرش الرعامسة العظام ، هيأت له الايام أن يكون بطلا مغوارا ومحاربا فذا .. فقد باتت مصر فى ذلك الاوان والخطر محدق بها من كل مكان ، فهى قد تعرضت لكثير من حملات الغزو وجيوش العدوان من الطامعين ، ولكن ملوكها تنبهوا لما يحيط بها من خطر وما قد يحيق بها من وراء الهزيمـــة اذا ما حلت بالجيش الهزيمة والمكروه .. وهى لم تتعرض لخطر واحد ولكنها تعرضت لطوائف كثيرة من الطامعين ، من كثير من الاجناس : فمنهم من أقبل عليها غازيا من البحر ، ومنهم من جاءها من الغرب ، ومنهم من وفد عليها من

الشرق .. وشاء الله أن يهيىء لمصر من أبنائها ملكا وقف كالطود الراسخ فكبهم على وجوههم وأوقع بهم الخسران ، وأما الذين أقبلوا من البحر فقد تصدى لهم الاسطول المصرى فى معركة هائلة فقتل جنودهم وأغرق سفنهم حتى سد بها مصب النيل !

ولم تكن حروب رمسيس الثالث وشجاعته فى جهاد الاعداء الطامعين موضع فخره فحسب ، بل لقد كان له أن يفخر بما أوتى من نشاط واسع وحرص على رفاهية شعبه ورفع مستواه ، فكان أن بذل عنايته فى سبيل انماء موارد مصر الزراعية والتجارية والمعدنية جميعا ، وذلك فضلا عما أنشأ فيها من معالم العمران ..

ووجد الأجانب فى مصر على عهده الامن والراحة وخفض العيش ، فأقبلوا على خدمتها ودخلوا جيش مصر جنودا مرتزقين ، ومنهم من ارتفع حظه فدخل فى بلاط الملك وصار من خاصته !

أما قصر الفرعون أو قصوره فقد كانت آية فى الروعة والفخامة ، وكان فى حياته يحيا حياة الفرسان : شجاعة وقتالا فى الحرب، ثم شرابا ولهوا وصحبة نساء فى السلم ! .. لذلك فقد كان قصره حافلا بالنساء من أزواجه وحريمه ، وكان كذلك كثير الاولاد والبنين . ولعله كان يؤثر ولده رمسيس (الرابع) بالحب ويحيطه بالرعاية ، فولاه عهده من بعده ، ولكن ذلك كان كفيلا بأن يحفظ سائر نسائه منه ويوغر صدورهن عليه !

الغيرة هى الدافع !

◆ **وكان** للملك ولد آخر يقال له «بنتاؤر» من زوج أخرى تسمى «تى» ، لعلها رأت ما يؤثر به ضرتها وابنها من الحب والرعاية ، وما يغمرها به من العطف والبر ، وما تجده منه من الاعراض والاهمال .. مما أشعل فى صدرها نار الغيرة وأجج فى قلبها سعير الكراهية والحقد على الملك وابنه الاثير !

وكانت «تى» تود لو عهد الى ولدها بالعرش من دون أخيه من ضرتها. وكانت فيما يبدو أحرص نسائه وأشدهن غيرة وطمعا وأعظمهن جرأة — وربما كانت قوانين البلاد لا تسمح بذلك التغيير والتبديل فى وراثة العرش — فلم تجد اذن من سبيل لتولية ابنها العرش الا باحداث انقلاب فى البلاد واغتيال الملك مع اثارة الشعب واضرام الفتنة فى البلاد ! .. فكان أن طفقت تدبر المؤامرة وتحبك أطرافها، فاذا بها تعهد بذلك الى طائفة من رجال القصر من حاشية الملك وبعض النساء من حريمه ! وكان على رأس التدبير رجلان من المقربين الى الملك وهما « باى بك أمون » كبير الامناء و «مسد سو رع» من ندمائه . وطفق « باى بك أمون » يجمع من حوله من يصلح لانفاذ ذلك

التدبير ، فاذا به يستعين بعشرة من موظفى جناح الحريم من مختلف الرتب، وأربعة من ندامى الملك ، وناظر المالية ، وقائد سلاح الرماة فى النوبة - المدعو « بين م واست » - وكانت لذلك القائد أخت فى حريم الملك من المتآمرين كتبت اليه تحضه على الثورة ضد الملك واشعال الفتنة فى الشعب ! .. وانضم اليهم كذلك « بايس » وهو جنرال من قادة الجيش ، وثلاثة من كتاب الديوان الملكى من مختلف الادارات .. وذلك فضلا عن مساعد باى بك أمون وعدد من الموظفين الصغار !

وتولت ايصال الرسائل والمكاتبات ست نساء من أزواج ضباط حرس الحريم ، وذلك فضلا عمن اشترك خارج القصر من أقارب المتآمرين المتغلغلين فى الشعب ..

ومن المحقق أن التدبير كان دقيقا محكما : فان المقربين من الملك فى القصر أخذوا على عاتقهم الاجهاز عليه بالقتل ، مع اعلان بنتاؤر ملكا بطبيعة الحال ، على أن تصاحب ذلك الانقلاب ثورة شعبية يتولاها بعض قادة الجيش فى أنحاء البلاد !

المتآمرون يستخدمون « السحر » !

◆ وتروى لنا وثائق هذه المؤامرة ان «باى بك أمون» استخدم فضلا عن ذلك سلاح «السحر» ، حتى يشل أعضاء الحرس وأنصار الملك فى القصر فيعمى بصيرتهم عن كشف ذلك التدبير .. فكان أن استعان بناظر قطعان الملك ، وكان رجلا يجيد فنون السحر ، فأمده بشمع سحرى وبردية من « آثار » الملك .. فصنع منها مع أعوانه تماثيل للآلهة وللذين يريدون انزال الضرر بهم ونقشوها بأسمائهم ثم بثوها فى أنحاء القصر !



ثم كان أن بدأ تنفيذ مؤامرة الانقلاب، فاعتدى المتآمرون على الملك فأصابوه اصابة كادت تقضى عليه . وكاد يقدر لهم النجاح لولا أن انكشف تدبيرهم فانفضحت المؤامرة فى آخر لحظة ، وانكشفت تفاصيل الانقلاب واتضحت

الادلة الدامغة على خيانتهم ، فقبض عليهم جميعا وعلى من ثبت علمه بالمؤامرة دون ان يبلغ عنها .. ثم عزلوا من وظائفهم تمهيدا للمحاكمة .

وكان أن أصدر الملك وهو على فراش الموت - يحتضر من أثر الاصابة - أمرا بتشكيل محكمة خاصة لمحاكمتهم على جريمة عقوبتها الاعدام . ومنح قضاة هذه المحكمة الخاصة سلطات واسعة فى المحاكمة وتوقيع العقاب . **واكبر الظن ان المتهمين اعترفوا اعترافات كاملة بخيانتهم ، نحس ذلك من كلام الملك نفسه فى نص الامر حين فضل أن يتركوا لانفسهم فيوقعوا بها العقاب بالانتحار ! ولكنه مع ذلك حض القضاة على تحرى الحق والحرص على العدل حتى لا يؤخذ برىء ظلما بعقوبة لا استدراك فيها، فقد كان مقدرا ان أيامه لن تطول وكان يريد فيما يبدو أن يلقى الموت مرتاح الضمير ..**

واليك أمر الملك بتشكيل هذه المحكمة : -

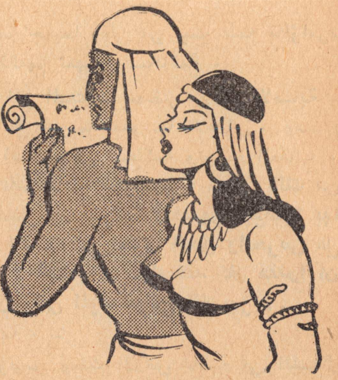
« نحن رمسيس الثالث سيد هليوبوليس وملك الارض قاطبة فى الشمال والجنوب وسيد ما عليها من الناس والحيوان ..

انى أعين :

ناظر البيت الابيض	**منتو م تاوى**
ناظر البيت الابيض	**بايف راوى**
حامل اللواء	**كارا**
النديم	**باى باسا**
النديم	**كدندنا**
النديم	**ماهر بعل**
النديم	**با اير نو**
النديم	**جحوتى رخ نفر**
تشريفاتى الملك	**بن رنوت**
الكاتب	**ماى**
كاتب ادارة المحفوظات	**بارام حب**
حامل لواء سلاح المشاة	**حورى**

« أقول :

« انه نظرا لما يشيع بين الناس من أقوال لا نعرفها فقد كلفناكم بالذهاب لتحقيقها ، وعند ذهابكم لتحقيقها فان عليكم أن تأمروا بأن يعدم نفسه كل من يستحق الاعدام بدون أن يرفع ذلك الى علمى . **وعليكم أن تنزلوا العقاب بسائر المذنبين من غير رفعه الينا كذلك . وعند قيامكم بهذه المهمة عليكم ان تبذلوا الدقة والعناية حتى لا توقعوا العقاب ظلما بمن لا يستحق العقاب**



انني اتحدث اليكم بالحق الاكيد فيما يتعلق بكل الذى حدث وهؤلاء الذين أحدثوه ، فلتقع تبعة كل ما عملوا على رءوسهم ، وذلك حين أكون فى ظل الحماية والامن الى الابد ، حينما أكون بين الصديقين من الملوك فى حضرة أمون رع ملك الآلهة وفى حضرة أوزيريس سيد الابدية »

سلاح المرأة

وطفقت هيئة المحكمة تحقق الجرائم وتستجوب المتهمين .. غير ان بعضهم - بعد الجلسة الاولى - حاول التأثير فى المحكمة وصرفها عن واجبها بشتى وسائل الاغراء الدنىء ،**فقد عمدت طائفة من النساء المتهمات الى اغراء اثنين من الضباط المسئولين عن التحفظ عليهن فى المعتقل ، والى اغراء بعض قضاة المحكمة - وهما النديم « باى بى » والكاتب « ماى » - ومال الرجال الى الاغراء فاذا بهم يستقبلون النساء فى بيوتهم مع الجنرال بايسى ، وينفقون معهن وقتا فى الشراب والمجون !**

وتفتضح هذه الرشوة الدنيئة المنكرة ، ويقبض على الرجال وعلى حامل اللواء « حورى » .. وكان أن قدموا الى المحاكمة - بعد ذلك - حيث أنزل بهم العقاب الرادع « بجدع الانف وقطع الاذن ! » أما حورى فقد طرد دون أن ينزل به عقاب ..

واستمرت المحكمة فى تحقيق المؤامرة ، فحددت أنواع التهم وقبضت على كثيرين ممن علموا بها ولم يبلغوا عنها .. وأصدرت عليهم الاحكام وأنزلت بهم العقاب ، وهو الاعدام ، ولكن منهم من فضل اعدام نفسه بنفسه !

واليك ترجمة محاضر الجلسات ونصوص الاحكام كما وردت فى أوراق البردى :

المحاكمة الاولى

« الاشخاص الذين جىء بهم (أى قبض عليهم) بسبب جرائمهم التى ارتكبوها ، ومثلوا لمحاكمتهم أمام المحكمة المشكلة من هؤلاء النبلاء العظام : ناظر البيت الابيض « منتو م تاوى » ، ناظر البيت الابيض « بايف راوى » ،

حامل اللواء « كارا » ، النديم « باى باسا » ، كاتب ادارة المحفوظات « ماى » ، حامل اللواء « حورى »

وقد حاكموهم ووجدوا أنهم مذنبون فحكموا عليهم بالعقاب فأخذوا بجرائمهم وهم :

١ ـ المجرم الاثيم « باى باك أمون » ناظر القصر السابق : قبض عليه لاشتراكه مع «تى» ونساء الحريم بأن دبر مؤامرة معهن وحرضوا أمهاتهم واخوتهم الذين كانوا ينادون « أشعلوا الثورة فى الناس وحرضوا الاعداء على اثارة الفتنة ضد مليكهم » . وقد جىء به أمام نبلاء المحكمة العظام وقرروا أنه قد ارتكب تلك الجرائم فأخذ بجرمه وأنزل النبلاء الذين حاكموه العقوبة به

٢ ـ المذنب الاثيم « مسد سو رع » النديم السابق : قبض عليه لاشتراكه مع باى بك أمون ناظر القصر السابق ومع الحريم لاثارة الاعداء للقيام بفتنة ضد مليكه . وقد مثل أمام نبلاء المحكمة العظام فحققوا جرائمه وقرروا انه مذنب فأنزلوا به العقاب

٣ ـ المذنب الأثيم باى اينوك ناظر جناح الحريم الملكى ، ومن الحاشية : قبض عليه لتآمره مع « باى بك أمون » و « مسدسورع » لارتكاب أعمال عدائية ضد مليكهما . جىء به أمام نبلاء المحكمة العظام فحققوا جرائمه وقرروا أنه مذنب وأنزلوا به العقاب ..

٤ ـ المذنب الأثيم « بندواو » الذى كان كاتب محفوظات الحريم الملكى ومن الحاشية : قبض عليه لاشتراكه مع باى بك أمون ومسدسورع المجرم الآخر ، ونساء الحريم .. وذلك للقيام بمؤامرة معهم لاتيان أعمال عدائية ضد الملك . جىء به أمام نبلاء المحكمة فحققوا جرائمه ووجدوا أنه مذنب فأنزلوا به العقاب

٥ ـ المذنب الاثيم « باتاو مدى أمون » ، الذى كان مفتشا فى جناح الحريم ، ومن الحاشية : قبض عليه لسماعه بما اتفق عليه نساء الحريم ، مع عدم التبليغ عن ذلك

جىء به أمام نبلاء المحكمة العظام فحققوا جرائمه فوجدوا أنه مذنب وأنزلوا به العقاب

٦ ـ المذنب الاثيم « كارابوسا » الذى كان مفتشا فى « جناح » الحريم ومن الحاشية : قبض عليه بسبب الاحاديث التى سمع بها وأخفاها ..

جىء به أمام نبلاء المحكمة العظام فحققوا جرائمه فوجدوا أنه مذنب وأنزلوا به العقاب

٧ ــ المذنب الاثيم « خع م ايبت » الذى كان مفتشا فى الحريم ومن الحاشية : قبض عليه بسبب الاحاديث التى سمع بها وأخفاها
جىء به أمام نبلاء المحكمة العظام فحققوا جرائمه فوجدوا أنه مذنب وأنزلوا به العقاب

٨ ــ المذنب الاثيم « خع م مآن رع » الذى كان مفتشا فى الحريم :
قبض عليه بسبب الاحاديث التى سمع بها وأخفاها
جىء به أمام نبلاء المحكمة العظام فحققوا جرائمه فوجدوا أنه مذنب وأنزلوا به العقاب

٩ ــ المذنب الاثيم « سيتى م برجحوتى » الذى كان مفتشا فى الحريم ومن الحاشية : قبض عليه بسبب الاحاديث التى سمعها وأخفاها .
جىء به أمام نبلاء المحكمة العظام فحققوا جرائمه فوجدوا أنه مذنب وأنزلوا به العقاب

١٠ ــ المذنب الاثيم « ستى م بر أمون » : قبض عليه بسبب الاحاديث التى سمعها وأخفاها .
جىء به أمام نبلاء المحكمة العظام فحققوا جرائمه فوجدوا أنه مذنب وأنزلوا به العقاب

١١ ــ المذنب الأثيم « ورانا » الذى كان نديما : قبض عليه بسبب الاحاديث التى سمعها من رئيس الجناح الملكى وعند انسحابه من عنده أخفاها ولم يقم بتبليغها .
جىء به أمام نبلاء المحكمة العظام فحققوا جرائمه فوجدوا أنه مذنب وأنزلوا به العقاب

١٢ ــ المذنب الاثيم « عشا حب سد » الذى كان مساعدا لباى بك أمون:
قبض عليه لسماعه كلام باى بك أمون فلما تركه لم يقم بتبليغ ذلك !
جىء به أمام نبلاء المحكمة العظام فحققوا جرائمه فوجدوا أنه مذنب وأنزلوا به العقاب

١٣ ــ المذنب الأثيم « باروكا » الذى كان نديما وكاتبا فى البيت الابيض :
قبض عليه لاشتراكه مع باى بك أمون وذلك باستماعه لكلامه وعدم تبليغه !
جىء به أمام نبلاء المحكمة العظام فحققوا جرائمه فوجدوا أنه مذنب وأنزلوا به العقاب

١٤ ــ المجــرم الاثيم الليبى الجنسية « انينى » ــ نديم ســابق :
قبض عليه لاشتراكه مع « باى بك آمون » باستماعه لكلامه مع عدم تبليغه عنه!
جىء به أمام نبلاء المحكمة العظام فحققوا جرائمه فوجدوا أنه مذنب وأنزلوا به العقاب

١٥ ـ زوجات رجال حرس الحريم اللاتى اشتركن مع هؤلاء الرجال فى تدبير هذه الجرائم واللاتى جىء بهن أمام نبلاء المحكمة فقرروا انهن مذنبات وانزلوا بهن العقاب (ست نساء)

١٦ ـ المذنب الأثيم « باى ايرى بن روما » الذى كان ناظــرا فى البيت الأبيض :

قبض عليه لاشتراكه مع المجرم الأثيم « بين حوى بين » فى التآمر معه على اثارة الاعداء لاحداث فتنة ضد مليكهم .

جىء به أمام نبلاء المحكمة فوجدوا أنه مذنب وانزلوا به العقاب

١٧ ـ المذنب الأثيم « بين م واست » الذى كان قائد سـلاح الرماة فى النوبة : قبض عليه بسبب الرسالة التى كتبتها اليه أخته وهى احدى نساء الحريم تقول فيها « حرض الناس على الفتنة وأقبل لبدء الثورة ضد مليكك »

وقد جىء به أمام « كدنا » و «ماهر بعل» و «با ايرسون» و «جحوتى رخ نفر» فحققوا معه فوجدوا أنه مذنب وانزلوا به العقاب

ويبدو فى هذا الحكم الأخير أن ذلك الضابط وهو قائد سلاح الرماة قد عقدت له محكمة فرعية ذات صبغة عسكرية فى اكبر الظن ـ فان من أعضائها ماهر بعل وكدنا وهما اجنبيان لعلهما من الضباط المرتزقة الذين كثروا فى مصر فى تلك الأيام .

المحاكمة الثانية

وهذا نصها :

الاشخاص الذين قبض عليهم لاشتراكهم مع باى بك أمون وبايس وبنتاؤر، جىء بهم أمام نبلاء المحكمة فوجدوا أنهم مذنبون .. فلما تركوا بمفردهم فى المحكمة انتحروا بأنفسهم قبل ان توقع عليهم عقوبة !

١ ـ المجرم الأثيم بايس الذى كان قائدا فى الجيش

٢ ـ المجرم الأثيم مس‌سوى الذى كان كاتبا فى دار الكتب المقدسة

٣ ـ المجرم الأثيم « بارع كامنف » الذى كان رئيسا

٤ ـ المجرم الأثيم « اى راى » الذى كان ناظر معبد سنحمت

٥ ـ المجرم الأثيم « نب جفاو » نديم سابق

٦ ـ المجرم الأثيم « شد مسجر » كاتب سابق فى دار الكتب المقدسة

المجموع ستة

المحاكمة الثالثة

وهذا نصها :

الاشخاص الذين جئ بهم بسبب جرائمهم الى المحكمة المشكلة من : كدنا وماهر بعل ، وبا ايرسون ، وجحوتى رخ نفر ، و مرتى أوسن أمون .. وقد حققوا معهم فى جرائمهم ووجدوهم مذنبين فتركوهم فى أماكنهم .. فانتحروا بأيديهم ! .. وهم :

١ - « بنتاؤر » الذى يحمل هذا الاسم : قبض عليه لاشتراكه مع أمه « تى » التى تآمرت مع نساء الحريم ضد مليكه .

جئ به أمام الندماء فوجدوا انه مذنب فتركوه فى مكانه فانتحر بنفسه !

٢ - المجرم الأثيم « هان اوتن أمون » النديم السابق : قبض عليه بسبب جرائم نساء الحريم التى سمع بها ولم يبلغ عنها ..

جئ به أمام الندماء للتحقيق معه فقرروا أنه مذنب .. فترك فى مكانه فانتحر !

٣ - المجرم الأثيم « أمون خعو » ، وكيل سابق لجناح الحريم ومن الحاشية : قبض عليه بسبب جرائم نساء الحريم ، وذلك أنه كان بينهن فسمع ذلك منهن ولم يقم بتبليغه !

وجئ به أمام الندماء لمحاكمته ، فوجدوا أنه مذنب .. فترك فى مكانه ، فانتحر بنفسه

٤ - المجرم الأثيم « ييرى » ، كاتب سابق للملك فى الحريم ومن الحاشية : قبض عليه بسبب جرائم نساء الحريم ، وذلك أنه كان بينهن فسمع بها ولم يقم بتبليغها ..

وجئ به أمام الندماء لمحاكمته ، فوجدوا أنه مذنب .. فترك فى مكانه، فانتحر !

المحاكمة الرابعة

◆ **الاشخاص** الذين نفذت فيهم العقوبات بجدع أنوفهم وقطع آذانهم .. وذلك بسبب امتهانهم منصب العدالة الذى أسند اليهم بالسماح للنساء بالدخول الى اماكن سكناهم والسكر معهم ومع بايس .. وهم :

المجرم الاثيم « باى بس » نديم سابق نفذت فيه هذه العقوبة ولكنه لما ترك وحده قتل نفسه !

المجرم الأثيم « ماى » كاتب سابق فى دار المحفوظات
المجرم الأثيم « عاناناى » قائد الشرطة السابق

اعفاء « حورى » من العقاب ، والاكتفاء بطرده

« شخص كان معهم وقاموا باغرائه بالقول الفاحش الأثيم ، فطرد ولم يوقع عليه عقاب : هو المجرم الأثيم « حورى » الذى كان حامل لواء سلاح المشاه

حتى اذا انتهت هذه المحاكمات عمد القضاة الى محاكمة المشتركين فى المؤامرة بمزاولتهم السحر . واستغرقت محاكمة مزاولى السحر ثلاث جلسات كان الحكم بعدها بالاعدام ، غير أن المتهمين كانوا يفضلون الانتحار بأنفسهم .. واليك ترجمة بعض نصوص هذه الاتهامات :

« ... وذلك أنه بدأ فى وضع لفائف سحرية لاحداث العجز والفزع وكذلك صنع بعض تماثيل لآلهة من الشمع وتماثيل بعض الاشخاص لاحداث شلل فى أطراف الناس ، وأعطاها لباى بك أمون .. وقد أجرى التحقيق فى كل جريمة وكل عمل أثيم ، فظهر انه فعل كل ذلك بالاشتراك مع جميع المجرمين الآثمين مما تسببت عنه جرائم قتل هائلة .. وعندما ووجه بما ارتكبه من جرائم القتل الهائلة أخذ حياته بنفسه !

وبعد ، فهذه صورة من مؤامرات التاريخ المصرى القديم وصورة من المحاكمات الكبرى فى عهد الفراعين . ومع ذلك فلم تكن مصر فى تاريخها القديم تعرف المؤامرات الا غرارا ، بل لم تكد تعرف طوال تاريخ الفراعين الا مؤامرة أو مؤامرتين ، ذلك أن المصرى قد جبل منذ أقدم عصوره على السماحة والسلام والمحبة ..

عسى الله أن يهدينا سواء السبيل .

حدث ذات يوم



من قصص التاريخ ومآسيه

عزيزى القارىء ..

في هذا الباب قرات معى فى الاعداد السابقة ، القصص الآتية على التوالى :

لوكريشيا بورجيا
« تيبريوس » قيصر روما
عشيقة نابليون (مارى فالفسكا)
فضيحة «كارولين» ملكة انجلترا
الحب أقوى من الموت !
امرأة وملك (مدام دى مانتنون)
نيرون : الطاغية السفاح
ليدى هاملتون
مارى انطوانيت
مصرع القيصرية فى روسيا
ملكة الغواية: بولين بونابرت
مأساة ملك بافاريا
الحب والجريمة تحت سماء فلورنسا
غرام الاميرة اليزابيث تيودور
ديزيريه : خطيبة نابليون
أوليمبيا : والدة الاسكندر

واليوم أقدم لك فيما يلى قصة ملكة فلسطين القديمة ((بيرينيس)) كما رواها التاريخ وكما أعدها للمسرح الكاتب الفرنسى الخالد ((راسين)) .

وفى الاعداد القادمة تقرأ معى باذن الله المزيد من قصص التاريخ الشائقة ومآسيه الكبرى ..

ملكات ونساء

١- بيرينيس



احدث كتاب للكاتب الفرنسى المعاصر

"هنرى بوردو"



ملكات .. ونساء

◆ ((هنرى بوردو)) عضو الاكاديمية الفرنسية - وأحد ((الخالدين)) كما يطلق على أعضاء ذلك المجمع الادبى العالمى - هو أحد اثنين أو ثلاثة من أدباء فرنسا ((المخضرمين)) الباقين على قيد الحياة من جيل الفحول القدامى الذين تساقطوا واحدا بعد الاخر ، وكان آخرهم ((أندريه جيد)) ..

ورغم شيخوخة ((بوردو)) فانه لا يزال يرفع علم الجهاد الادبى ويوالى انتاجه الفكرى بخصوبة ونشاط نادرين ! .. وقد أصدر أخيرا هذا الكتاب الممتع الذى أطلق عليه ((ملكات .. ونساء)) ، وتناول فيه بالدراسة والتحليل عددا من أشهر شخصيات التاريخ النسائية ، فخص كلا منهن بفصل ممتع وفاها فيه حقها بأسلوبه الشائق وتفكيره المتعمق الرصين ..

ولما كان الكتاب أضخم وأمتع من أن يلخص فى فصل واحد ، فقد رأيت أن أقدم لك فصوله تباعا فى ((كتابى)) ابتداء من هذا العدد ، بادئا بهذا الفصل الذى جمع فيه بوردو بين رواية سيرة ((بيرينيس)) - الملكة ، والمرأة - كما سجلها التاريخ ، وبين تلخيص المأساة المسرحية الشعرية الخالدة التى وضعها عنها شاعر فرنسا القديم (راسين) .. ثم تتبع ببصيرته الادبية النافذة ، شخصية بيرينيس المستترة فى نفسية الكثيرات من بطلات القصص والاعمال الادبية الكبرى - سواء فى الادب الفرنسى أو الاداب الاوربية الاخرى - فعقد المقارنة الشائقة بينها وبين ((شارلوت)) بطلة ((آلام فرتر)) ، و ((مدام كوايان)) ، و ((مدام أرنو)) ، و ((مدام دى نيبفر)) ، فى قصص ((سانت بيف)) و ((فلوبير)) .. بل انه ذهب فى تتبع شخصية بيرينيس - التى ترمز لتغلب الحياة على الحب ! - الى حد اكتشاف شبيهة لها فى شخص بطلة أخيرة ، من بطلات الحياة لا القصص ، هى ((مدام ماتيلد ويزندونك)) احدى ملهمات الموسيقى الالمانى الخالد ((فاجنر)) !

واكمالا لهذا الفصل الممتع ، رأيت أن أضيف اليه - من مصادر أخرى - تفصيلا لسيرة ((بيرينيس)) الواقعية أوفى مما اتسع له نطاق كتاب بوردو .. كى أتيح لك الفرصة الكاملة للمقارنة بين حياتها كما عاشتها بالفعل ، وحياتها الاخرى كما عاشتها على خشبة المسرح فى مأساة ((راسين)) ..

مبارزة أدبيــــة !

◆ **كتب** كل من الشاعرين الفرنسيين الخالدين «كورنى» و « راسين » مسرحية عن الملكة « بيرينيس » ٠٠ وظهـرت المسرحيتان فى عام واحد هو عام ١٦٧٠ ٠٠ وكانت هـذه «المبارزة» الادبية بين شاعري القرن السابع عشر ترجع الى الملكة هنرييت ــ ملكة انجلترا ودوقة أورليان فى ذلك العهد ــ **فقد أرادت هنرييت أن تجد متنفسا لحبها الفاشل للويس الرابع عشر ، فأوعزت الى الشاعرين الفرنسيين الكبيرين بأن يعالجــا موضوعا مماثلا ، ويكتبا قصة كبيرة الشبه بقصة غرامهــا بعاهل فرنسا العظيم ٠٠ هذا الغرام الذى فشـل كما فشـل فى النهاية غرام « تيتوس » ببيرينيس ٠٠ فاستعد « كورنى » لتأليف مسرحيته ــ وانحرص على ابقاء نيته فى طى الكتمان ! ــ وأخذ يجمع الاسانيد ويعد العدة فى صمت لعمـله الأدبى العظيم ٠٠**

ولكن سر « كورنى » تسرب الى « راسين » ٠٠ وكان راسين وصوليا انتهازيا طفيليا ، يتحرش بالعظماء ويرتمى على أعتاب الملوك بغية الشهرة والثراء ٠٠ كما كان طموحا عنيفــا فى طموحه ، أنانيا مفرطا فى أنانيته ٠٠ لا يرعى للزمالة حرمة ، ولا يلقى بالا للمجاملات الأدبية أو الاجتماعية ٠٠ أصدر كتابه عن « الاسكندر » فأهداه الى الملك ٠٠ وأصــدر كتـابه « اندروماك » فأهداه الى هنرييت ملكة انجلترا ودوقة أورليان ٠٠ كما أهدى كتابه « بريتا نيكوس » الى دوق «شفروز» ٠٠

أما « كورنى » فقــد كان معتزا بمجد الأدب ، معتصما بصومعة العلم ٠٠ منطويا على نفســه ٠٠ يعيش بين أولاده السبعة فى دعة وســكون ٠٠ يكره الزلفى والملق ٠٠ ويمقت النفاق !

وكان بين الشاعرين ضغن قديم مرجعه كتاب « بريتانيكوس » الذى أصدره راسين ، فقد تصدى كورنى لهذا المؤلف بنقد لاذع مر تسبب فى سقوطه !٠٠ فكان «راسين» يتحرق شوقا للأخذ بثأره من غريمه ، فما كاد يعلم أنه يزمع الكتابة عن «بيرينيس» حتى شحذ همته لكتابة مأساة مسرحية عنها ينازله بها فى هذا الميدان !

وهنا نرى النقاد يقعون فى خطأ كبير اذ يزعمون أن راسين قد فاز على كورنى فى قصة « بيرينيس » ، وان قصة كورنى قد فشلت ٠٠ وهذا خطأ كبير ٠٠ والصواب أن كلتا القصتين تعتبران من القصص الخالدة فى الأدب ٠ وليس من شك فى أن راسين قد أخرج للعالم معجزة فنية ٠٠ الا أنه ليس من شك أيضا فى أن قصة كورنى تطفح بالجمال الأخاذ وتحتوى على تحليل للمرأة بعيد الغور شديد الجرأة ٠٠

وانما نجاح راسين وفشل كورنى مرجعه الى أن راسين كان من أصحاب الحظوة عند الملك ورجال البلاط ، فساعده تملقه على النجاح ٠٠ بينما كان اعتكاف كورنى وعزلته من الأسباب الرئيسية بل هى السبب الرئيسى فيما قوبلت به قصته من فتور !

« بيرينيس » بين الحقيقة والخيال !

◆ **وبين** الشعراء والمؤرخين خلاف فى سرد حوادث القصة : فالأولون يستلهمون الوقائع من شاعريتهم ، بينما يلجأ الآخرون الى التاريخ يستقصون حقائقه ووقائعه بعيدا عن المؤثرات الشاعرية والانفعالات العاطفية ٠٠ وسنبدأ بتقديم عرض للقصة كما صورها الخيال الشاعرى ، ثم نعقب عليه بموجز لحياة بيرينيس الواقعية كما سجلها التاريخ ٠٠

ولما كانت المسرحيتان ـ مسرحية راسين ومسرحية كورنى ـ موضوعين لقصة واحدة ، ولحنين لقصيدة واحدة ـ وان اختلفتا فى طريقة معالجتهما اياها ـ فسنكتفى بالاولى منهما ، وهى التى كتبها راسين :

ملكة فلسطين !

◆ **غادرت** بيرينيس ملكها فى فلسطين لتعيش الى جانب حبيبهاومعبودها « تيتوس » فى روما .. وكان تيتوس وليا لعهد الامبراطورية الرومانية – بعد أن خلف أبوه الامبراطور « فسباسيان » سلفه الطاغية نيرون على عرش الامبراطورية – وكان الابن بحكم ولايته للعهد حرا مطلق التصرف ، يفعل ما يشتهى دون رقيب أو حسيب من القانون .. **فقد كانت روما لا تفرض رقابة قاسية الا على شخص الامبراطور ، الذى كان « مفروضا » انها تلزمه باحترام القانون وعدم الخروج عليه ! .. وماذا كان قانون روما ؟ واين كانت « قدسيته » يوم عبث به نيرون ومرغه فى الوحل ؟! .. لكأن العبث كان جائزا فى « روح » القانون ، أما نصوصه فواجبة الاحترام والتقديس !**

وعليه فقد ظل تيتوس ينعم ويرتع فى حب بيرينيس ويعب منه ما شاء .. فهو لم يزل وليا للعهد .. هكذا يقول القانون !

وفجأة تغيرت الظروف : فقد مات الامبراطور فسباسيان ، خليفة نيرون ووالد تيتوس .. واذا بولى العهد يصبح أمبراطورا ، فتقيد بذلك حريته ويحد منها ، بل ويعصف بها ! .. فلقد خرجت التقاليد من مكامنها ، وكشر القانون عن انيابه . ان سيد روما لا يستطيع ان يكون سيدا على قلبه ! .. حتى لو تزوج « شرعيا » من محبوبته ! .. لان القانون الرومانى يحرم على الجالس على عرش الرومان ان يتزوج من اجنبية .. وأية أجنبية ؟! أجنبية سيئة السيرة ، جاءت من الشرق ، لتجلس على عرش الرومان !

بل ان روما تطالب بأن ترحل هذه « الاجنبية » وتغادر البلاد فى الحال ! .. فماذا يفعل تيتوس العاشق الولهان ؟! لقد تركت بيرينيس ملك الشرق كله ، وضحت بتاجها لتعيش الى جواره وتنعم بحبه ! .. وهو يحبها حبا جارفا ، رغم فارق السن الكبير بينهما – اذ كانت هى قد جاوزت الاربعين من عمرها ، وهو لم يزل فتى يافعا عارم الفتوة والشباب ..

نعم ، على بيرينيس ان تغادر روما ، وفى الحال !

كيف ينقل الامبراطور الشاب هذا الخبر المشئوم اليها ؟ لقد تذرع بادىء الأمر بذريعة الاعتكاف .. فظل ثمانية ايام منقطعا عنها لا يراها .. قضاها فى حداد مر ومأتم مقيم !

ولكن متى كان انقطاع حبيب عن حبيبته ثمانية أيام ، أو ثمانية شهور ، يعنى فصم عرى الحب بينهما ؟ .. ليت ملكة الشرق تفهم فتوفر عليه

الكثير من الألم الذى سيعانيه عندما يرى نفسه مضطرا لان يكشف لها بنفسه النقاب عن الحقيقة المفجعة ! .. ولكنها لا تفهم .. وليس من الميسور عليها ان تستنتج امرا هو فى تقديرها أبعد الأمور احتمالا .. انها عمياء صماء .. لانها تحب ! .. **والرجل ، حتى لو كان امبراطورا ، يحس بضعفه فى غمرة الآلام وهو يستشعر حاجة ملحة لان يسند فى الشدائد رأسه التى تحمل التاج ، الى كتف امرأة ! - ولعل هذه هى أعلى مراتب الشرف التى ترفع الانسانية المرأة اليها ، عندما تجد القوة المهزومة ، والشجاعة المغلوبة ، ملاذها ومعقلها فى هذه المخلوقة «الضعيفة» التى خلقت لنحميها نحن الرجال الاقوياء ، لا لنلتجىء اليها كى تحمينا هى ! .. والتى خلقت لندفع عنها نحن الرجال الاقوياء عاديات الزمن ، وليس لتدفع هى عنا غوائل الايام !**

وان تيتوس لمكتئب حزين .. فما لهذه المرأة تعمى عن اكتئابه ولا تفطن الى حزنه ؟! .. وهذا الاعتكاف الذى يعتصم به ، ألا يشككها فى الامر ؟! .. ام لعله يخلو بنفسه بعيدا عنها ليبكى أباه ؟ ..ان كل شىء يجوز وكل احتمال ممكن الا أن يكون تيتوس قد فكر فى التفريط فيها ! ان الحب يبعث على الثقة ، وان ثقتها فى « تيتوس » ليس لها حد .. انه فى خلوته لا شك دائم التفكير فيها ، والدليل على ذلك انه - كامبراطور - أمر بتغيير معالم ملكها فى الشرق وتوسيعها .. ولو فكرت المسكينة لأدركت أن توسيع رقعة ملكها فى الشرق كان من جانب الامبراطور بمثابة تعويض لها عما ستفقده قريبا ، وان مثله فى ذلك مثل العاشق الذى يغرق معشوقته بالهدايا الثمينة قبل ان يقطع صلته بها ! ولكن مبدأ « التعويضات » لا وجود له فى دنيا الحب الصاخب العنيف ..

كيف علمت بيرينيس بالقارعة ؟

◆ **ترى** كيف علمت ملكة الشرق بالخبر المفجع ؟! كان الملك « انتيوكوس » يحب بيرينيس حبا شديدا ظل مكبوتا فى صدره خمس سنوات لم يجرؤ اثناءها على البوح لها بكلمة عنه .. وكيف يجرؤ كائن من كان على الدنو من معشوقة « تيتوس » التى تحبه وتعبده دون سواه ؟ غير ان ملكة الشرق لم تكن غافلة عن حب «انتيوكوس» الصامت، فقد كانت امرأة مرهفة الحس ، واسعة الادراك ، كاملة النضوج .. ولكن حبها لتيتوس كان من القوة بحيث لم يدع لها مجالا حتى لمجرد الاصغاء الى صوت آخر غير صوته .. فما الذى جد فجعل « أنتيوكوس » يميط اللثام ويجرؤ على مطارحتها الهوى فى غير خوف ولا تردد ولا حياء ؟

ويحك أيتها التعسة! ألا تفهمين ؟ وكيف السبيل الى ايضاح الامر لك؟ وهل تعمى بصائر المحبين وتصم آذانهم ، فلا يرون الا الحب ، ولا ينصتون

الا الى أنغام الحب ، وما عداه فهو هراء وكذب وخيالات وأوهام ؟! .. أن « انتيوكوس » يعلم بالخبر ، ويعلم صرامة القانون الرومانى الذى يحتم على الامبراطور أمورا ليس عنها محيد .. ومنها بل على رأسها ان يهجر بيرينيس الى غير رجعة ! .. واذن فالفرصة مواتية للعاشق القديم الجديد .. فما عادت هناك عقبات تعترض سبيله .. وعليه فها هو يبوح لها لأول مرة بحبه فى غير خفاء أو التواء !

أما هى فقد أفسحت له من صدرها وتركته يهرف بما يريد أن يقول . ماذا يضيرها أن تسمعه أو تسمع سواه ؟ فاذا كان يسعده أن يقول لها انه يحبها ، فليسعد .. ولكن هيهات أن ينال من شامخ حبها شىء يقوله أو يأتيه هذا المخلوق أو غيره من خلق الله اجمعين ! انها تحب تيتوس ، ولقد همت عدة مرات بأن توقف محدثها عند حده .. ولكنها خشيت ان تؤلمه .. انها امرأة سعيدة فى غرامها ، واثقة مطمئنة فى حبها .. والسعادة اذا وزعت على الآخرين تدفق ينبوعها وفاض ، واذا حبست عن الناس جف معينها وغاض !

ياللمسكينة ! انها ترثى لحال «أنتيوكوس»، وهى لا تعلم أنه هو الذى يرثى لحالها .. لأنه يراها أحق امرأة بالرثاء على وجه الارض !

ولكن صمت « تيتوس » قد طال .. وانزواءه أصبح مبعث قلق فى نفسها ، وفى نفس وصيفتها والامينة على سرها « فينيس » - ولقد ارتفع راسين الى مرتبة الاعجاز فى هذا الفصل الذى يرينا فيه الحب بأوهامه وخيالاته ، فى صورة رائعة ليس لها مثيل .. يرينا بيرينيس فى صورة المرأة التى يعميها الحب عن رؤية أى شىء ، فلا تريد أن تصدق الا الامور التى تؤكد وجود حبها وبقاءه واستمراره .. ومن ورائها الحقيقة البشعة الكالحة تتعقبها وتلاحقها فى كل مكان ، وهى لا تراها بل تفر منها .. وكأنها طريدة تلوذ بغابة تتساقط أوراقها ، بينما يترصدها الصائد ليرديها عما قليل برصاصة فى ظهرها ، فتخر صريعة مضرجة بدمائها ، ثم تلفظ انفاسها وهى ما تزال .. لا تدرى !؟

اللقاء المحتوم !

◆ فاذا كان الفصل الثانى فقد ظهر « تيتوس » على مسرح الحوادث .. ونراه يستوضح صفيه والامين على سره « بولان » رأى روما فى زواجه المستحيل من بيرينيس - كأنه يجهل روما وقانون روما ! - ولكنه كان فى حاجة الى توكيد جديد ، ففى التوكيد راحة تبرر مسلكه المشؤوم أمام قلبه وضميره!

انه ما يزال يجفل من مواجهة ملكة الشرق بالحقيقة المروعة ، مع أنها امرأة لا حول لها ولا طول .. ألا ما أعظم سطوة الحب ، وما أشد بأسه !

.. ونسمع تيتوس يردد مكتئبا :« أننى أجد منها الجمال ، والاباء ، والفضيلة كاملة .. وأنا اراها كل يوم بلا استثناء منذ خمس سنوات كاملات .. ومع ذلك فاننى فى كل يوم القاها يخيل الى أننى أراها لأول مرة ! »

.. ويمعن تيتوس فى الفرار منها .. حتى اذا عيل صبرها ، أرسلت فى طلبه .. فجاء اليها !

وها هما الآن معا وجها لوجه .. صامتان لبرهة قصيرة ، قطعتها بيرينيس بعتاب رقيق وجهته الى حبيبها لانه اجزل لها المنح والعطايا بينما هو يعلم أنها لا تطمع فى شىء من متاع هذه الدنيا ولا تصبو الا الى حبه كاملا دائما الى الابد ! انها تريده أن يمنحها قلبه وحبه .. وان يلقاها كل يوم ، لأن لقاءه يساوى عندها ملكا يضم أربعة اركان الفضاء .. وتطور العتاب الى ضراعة ملتهبة ، فقالت له :« **انت تعرف جيدا ما يصيبنى من جزع وألم عندما تفارقنى لحظات قصارا .. وتعرف جيدا اننى سأموت فى اليوم الذى يحول فيه بينى وبينك حائل أو يقف بيننا انسان ! »**

.. وهنا هم تيتوس بمقاطعتها اذ لم يعد فى مقدوره أن يسمع منها اكثر مما سمع ! ان احشاءه لتتمزق ، وانه ليحس بقلبه وقد أطبق عليه الألم بفكيه حتى ليكاد يخمد أنفاسه ! .. هم بمقاطعتها .. وهم بالكلام .. ولكن الكلمات جفت فى حلقه ! أتراه قادرا على أن يوقع فى مواجهتها الحكم باعدامها ؟ انه ليرتجف كلما تصور شناعة ما هو مقدم عليه .. انه باطاعته روما سيسحق قلبه ، ولكنه سيوقف دقات قلب المرأة التى ملكت عليه شغاف هذا القلب .. وكيف يجرؤ على أن يغمد فى هذا الصدر الجميل هذا النصل المسموم ؟ .. أيقتلها ويتركها مضرجة بدمائها ويفر كالجبان .. لا ! انه لا يستطيع ! انه لا يستطيع !

لقد خانته شجاعته .. وخذلته قواه .. ففر من وجهها دون أن ينطق ببنت شفة !

والآن هاهى تتخبط فى دياجير الظلام من جديد : **لماذا هرب منها الامبراطور ؟ أهو غاضب منها لأمر ما ؟ أهو حانق عليها لوزر ارتكبته ؟ انها لتدرك الآن طرفا من الحقيقة ، وتعرف لماذا هو غاضب محنق ! انها قد افسحت صدرها لانتيوكوس منذ ايام ليبثها هواه .. لا شك أن هذا هو سبب غضب الامبراطور ! .. وانها لتعترف بأنها قد اقترفت بفعلتها اثما كبيرا .. ولكن ما أسعدها بما اقترفت من أثم ! ان حبيبها « تيتوس » يغار من «انتيوكوس» ! انه يغار ، فهو اذن عاشق ولهان .. فما اسعدها بغيرته .. وغضبه وثورته !**

ويسدل الستار على الفصل الثاني

الواجب .. فوق الحب !

◆ **كيف** أتم راسين الفصول الثلاثة الأخرى ؟

ان تدرج الحوادث وتسلسلها أصبح الآن سهلا ، فبعد فترة التخيل جاءت فترة الشك .. وكان يتعين على بيرينيس أن تعرف الحقيقة .. وحين ترفع الستار عن الفصل الثالث، يرينا راسين كيف قابلت ملكة فلسطين الصدمة، وكيف تلقت الطعنة النجلاء !.. **لم يكن فى وسع الامبراطور أن يأتى عملا يخل بالشرف الامبراطورى .. فلم يخطر له على بال أن ينزل عن ملكه ويترك عرشه من أجل المرأة التى يحب .. ان شرفه الامبراطورى يأبى عليه الهرب من تبعات الملك لأى سبب من الأسباب .. فلم تكن هناك اذن معركة محتدمة بين الامبراطورية والحب..ولم يكن هناك صراع قائم بين الواجب والقلب.. فقد كان القرار الحاسم متخذا من أول الامر ، وهو أن الامبراطورية والواجب والقانون مفضلة على كل ما عداها من اعتبارات .. وانما المعركة والصدام كانا محتدمين حول أمر آخر وهو : كيف يتم رحيل بيرينيس ؟ !**

هنا يتأرجح التاج على رأس الامبراطور حتى ليكاد يهوى على الارض ، اذ يظهر أمام الحب رجلا خائرا مضعضع العزيمة لا يقوى على مواجهة هذه العاطفة .. بل هذه العاصفة !.. كيف ترحل بيرينيس دون أن يورده رحيلها موارد التهلكة ؟ انه لا يبدو هنا ملكا بل رجلا مسكينا وضع القدر فى يده مطرقة فجعل يدق بها قلبه حتى حطمه !.. **وانه ليرتعد فرقا عندما يتصور الألم الذى سيحل بقيره من جراء فعلته ، فهو لذلك يريد أن تلفظ فريسته أنفاسها الاخيرة بعيدة عنه .. فلا يرى مصرعها بعينيه ، ولا يسمع حشرجتها الذبيحة بأذنيه !**

انه الجبن الذى يستحوذ على الرجل اذا ما اضطر الى الانفصال عن المرأة التى يحب .. فلتمت بيرينيس ، ما دام لا يسمع آهاتها وأناتها .. فلو طرقت سمعه هذه الآهات والأنات فقد يخر صريعا !

اذن ، ماذا يصنع ؟ !

كان نذلا فيما صنع .. اذ كلف بهذه المهمة آخر شخص فى الوجود كان يجب أن يكلف بها ، وهو « انتيوكوس » !.. فقد كان يعلم أن هذا الرجل يحب بيرينيس ، وانه طارحها الهوى وصارحها بغرامه .. فخيل اليه أنه سيكون أرق من سواه حنوا عليها، ورعاية لها، لأنه يحبها..فهو سيتجنب ايلامها ، وسهر على راحتها .. واذن فليقم «أنتيوكوس» بابلاغها القرار المشئوم ، وليصطحبها بعدئذ الى ملكها في الشرق ، بعد أن تخلع عن عرش حبها في الغرب !

أما « انتيوكوس » فقد قبل المهمة التى كلف بها عن طيب خاطر .. وانه ليصعب علينا أن نميز أى الرجلين أكثر ضعة من الآخر ! ؟ .. وما أحقر الرجال وأضأل أقدارهم أمام امرأة محطمة !

وأبلغ « انتيوكوس » الأمر الى « بيرينيس » ..

واذ أفاقت المرأة من الفاشية ، أصرت ألا تنصاع لأمر صادر اليها «نقلا» عن الامبراطور .. انها لن تنفذه الا اذا سمعته من فمـــه مباشرة ، وبغير وسيط ! انها لن تغادر روما الا اذا أمرها هو بنفسه أن تغادرها .. فليخرج « تيتوس » من مخبئه ، وليقل لها ما يريد .. فان الحب لا يعرف الخوف ، ولا الكذب ، ولا النفاق !

المحنة الرهيبة !

◆ **فاذا** كان الفصـــــل الرابع فاننا نرى بيرينيس متهدمة ، متهاوية ، متهالكة ، بعد أن عرفت مصيرها المشئوم .. المحتوم !.. لقد علم تيتوس باصرارها على لقائه ومواجهته ، فأجابهــا الى ما تطلب .. وكان وهـــو فى طريقه اليها يتمتم بالعبارة الآتية : « لقد طعنت قلبا أعبده ويعبدنى ! »

ماذا لو أبقى عليها ! .. ولكن كيف السبيل الى خرق القانون؟.. لم يبق الا أن يلف حبل المشنقة على عنقه ، أو عنق الملكة !

وها هى بيرينيس معه الآن وجها لوجه .. يا لهول الموقف ! ماذا تراه مستطيعا أن يقول ؟ انه لا يلبث أن يضرع اليها بأن تساعده فى مهمتـــه الشاقة وتشد من ازره فى محنته القاسية .. ويذكرها بأنها « ملكة » ، فواجبها يحتم عليها أن تتصرف التصرف اللائق بالملكات..وعندئذ توجه اليه الملكة عتابا رقيقا خليقا بالملكات اللواتى عرفن كيف يجلسن وقورات على عرش الحب .. وها هو يحاول الدفاع وتلمس المعاذير ، ولكن ما جـــدوى كل هذا ؟ لقد قضى الأمر ونفذ سهم القدر المسموم الى صميم الاحشاء !

وقالت بيرينيس انها ستطيع أمر مولاها .. وستنفذه !

ولم يسجل التاريخ لحظة وداع رهيبة كتلك اللحظة التى ودع فيها هذان الحبيبان أحدهما الآخر .. لقد كانت نفسا انشقت نصفين !.. أنصت الى هذه العبارات التى فاهت بها بيرينيس وهى تودع تيتوس :

« اننى لا أستطيع الاصغاء الى شىء بعد الآن .. فوداعا ، الى الابد .. آه يا مولاى ! لعلك تدير فى عقلك مقدار ما فى هذه الكلمة من قسوة وبشاعة عند الذى يحب .. ترى الى أى غور سوف نغوص فى الألم معا بعـــد شهر أو بعد عام من هذا الفراق ؟ ! لتفصلنى عنك البحار الشاسعة والمحيطات يا مولاى ، فانني سأظل رغم ذلك مقيمة على حبك .. وانني لأسائل نفسي

ما معنى شروق الشمس وغروبها ، وابتداء اليوم وانتهائه ، اذا لم ير فيه تيتوس حبيبته بيرينيس .. وترى فيه بيرينيس حبيبها تيتوس ؟ ! »

وما كادت لحظة الوداع تدنو حتى خطر للامبراطور خاطر جديد : ليبق القانون محترما مصونا من كل عبث .. انه لا يفكر فى الانتقاص من هيبته .. والآن ماذا لو ترك القانون مهيبا مقدسا فى روما وتبع بيرينيس الى حيث هى ذاهبة ؟ ان القانون يجبرها هى على الرحيل ولكن لا يجبره هو على البقاء !!

.. لكنه ما كاد يشرع فى تنفيذ فكرته حتى أصدر اليه مجلس الشيوخ الرومانى أمرا بألا يغادر بلاده .. انه ليس ملك نفسه بل ملك بلاده وشعبه .. وعليه فالقانون يأمره بأن لا يحب ، ولا يشعر ، ولا يتألم .. ولا يغادر بلاده ، بل يبقى فيها جسدا بلا روح ، وجثة هامدة على عرش من ذهب وماس !

وهنا يتدخل « انتيوكوس » منافقا مداهنا كعادته ، وقد كادت الشفقة على الحبيبين تقتله حسرة وألما ، يتدخل ليقنع الامبراطور بأن يرافق الملكة ويسهر على راحتها !.. ولكن تيتوس يعود فيرفض ويصمم على البقاء فى عاصمة ملكه ..

وكان يمكن أن يسدل الستار على المأساة عند هذا الحد ، ولكن راسين أراد أن تستمر القصة ليظهر الملكة فى قمة مجدها كانسانة كاملة ارتفعت الى الذروة التى لم ترتفع اليها امرأة من قبل .. فقد سارعت الى تنفيذ الأمر الصادر اليها بالرحيل قبل أن يلفظه الامبراطور .. انها لا تريد أن ينزل قدره فى قلبها بخروج هذه الكلمة من فمه .. بل تريد أن تبقى صورته محفورة فى نفسها معصومة من هذه الوصمة .. وهكذا اتخذت أهبتها للرحيل دون ابطاء ، ولو لتعيش بعد ذلك ساعة واحدة .. نعم ، لتذهب الى حيث تلفظ أنفاسها فى مكان آخر ، وتحت سماء أخرى ! .

وهنا يتدخل الامبراطور للمرة الاخيرة .. ولكن لا ليأمرها بالذهاب ، بل ليأمرها صراحة بالبقاء ! ولكن على أى شرط ، وعلى أى أساس ؟ ما دام لا يستطيع الزواج منها ، وما دام لا يستطيع التنازل عن العرش ليتبعها الى حيث هى ذاهبة ، فلماذا لا يلجأ الى آخر سلاح فى يده ؟ ان فى يده سلاحا لا تقدر روما أن تنتزعه منه .. انه سيف بتار فى امكانه أن يستله متى شاء : فليقضيا نحبهما منتحرين معا !.. واذا كان قد عجز عن ملازمتها فى الحياة ، فليلازمها فى الموت !

قلب المرأة !

◆ **ولكن** « انتيوكوس » يتدخل فى هذه اللحظة المقدسة ويشوه بحضوره هذه اللوحة الخالدة التى رسمتها ريشة القدر فبلغت غاية الاعجاز والابداع

فى التصوير .. ان هذه اللحظة كان يجب أن تكون وقفا عليهما معا دون وجود دخيل بينهما .. حتى يقررا مصيرهما على ضوء اللهب المنبثق من قلبيهما المحترقين !.. ولكن « انتيوكوس » يظهر ليمنع الامبراطور من الانتحار.

وهنا ينقلب موقف بيرينيس انقلابا عجيبا ويتغير تغيرا يخطف الابصار .. لقدكانت منذ برهة على أهبة الرحيل كسيرة القلب محطمة الفؤاد لان تيتوس لم يعد يحبها .. فلم يكن الألم الذى استبد بها هو بسبب رحيلها ، بل كان بسبب يقينها من أن هذا الرحيل مبعثه أن تيتوس لم يعد يحبها . **أما الآن فها هو الامبراطور يقدم لها الدليل الذى لا يقبل الدحض على حبه لها : انه يعرض عليها أن يتبعها الى الموت !.. ألى هذا الحد يحبها حبيبها ؟.. ان الحياة لم تعد اذن بلا طعم ولا قيمة كما كانت تراها منذ برهة . ان لها الآن طعما ولها الآن قدرا .. فما دامت لم تفقد حبه فلتتحمل بصبر ألم فراقه وسائر آلام الحياة .. ان حبه يعينها على الصبر ، ويمنحها قوة على احتمال حزنها .. ويمد قلبها الجائع بفتات من القوت يساعده على استئناف دقاته ونبضاته ! ان الألم أصبح الآن مناصفة بين قلبين ، ولم يعد ألما ينوء بعبئه الثقيل قلب واحد بغير شريك . وحتى على البعد ، وعندما تنقطع كل الصلات المادية بين قلبين حبيبين ، فانهما يظلان متصلين بالأنفاس والنبضات .. فلا الزمن ، ولا بعد الشقة ، بقادرين على أن يفصما عرى حب يربط روحين .. والموت فى جبروته اذا أنشب فيهما أظفاره فستظل روحاهما متعانقتين فى جنات الخلود !**

وتسدل الستار على الفصل الأخير فى الرواية وبيرينيس تخاطب الامبراطور قبيل رحيلها النهائى ، بهذه العبارات الأخاذة الخالدة :

« لقد أحببت يا مولاى .. لقد أحببت ! وأردت أن أكون محبوبة أيضا .. واننى لأعترف بأننى كنت شديدة الجزع الليلة لأنى ظننت أن حبنا قد انقضى وذهب الى غير رجعة .. أما الآن فاننى سعيدة بأن أتبين خطئى فيما ذهبت اليه .. سعيدة بأن أعلم انك ستقيم على حبى وان فصلتنا البحار والمحيطات !.. ولسوف أعيش يا مولاى ، وسأطيع أوامرك على البعد كما أطعتها دائما على القرب .. أما أنت .. فاحكم ! واملك ! واجلس على عرشك ! .. وأما أنا .. فلن أراك بعد الآن !! »

الحياة تتغلب على الحب !

◆ **وهكذا** كانت « بيرينيس » قصة نابضة بالحياة لأنها صيغت من الحق الأبلج الناصع الذى لا زيف فيه .. ان النزعة الانسانية فيها تغلب على كل نزعة أخرى ، ولولا ذلك لما تغلبت الحياة فى ختامها على الحب ! .. فهى



بولين بونابرت (للمثال « كانوفا » بمتحف « بورجيزى » بروما)



التمثال الخالد للمثال الايطالى «كانوفا» ، المعروض بمتحف الفاتيكان بروما،
يمثل البطل الاغريقى « برسيه » ـ ابن كبير الالهة « جوبيتر » ـ الذى تقول
الاسطورة انه قطع راس الساحرة الشريرة ذات الشعر الثعبانى « ميدوزا »

ترجمة صادقة للعاطفة الانسانية فى أنبــل صــورها وأروعها .. بل هى القصيدة الشعرية الغاليــة على كل قلب ذاق طعم الحب ورشف من حلاوته أو تجرع من علقمه .. فخرج من تجاربه بهذه الحقيقة الخالدة : وهى أنه مهما عصفت بالقلب أنواء الحب ، واستبدت به أوجاعه وتباريحه .. فان هذه العواصف تساعد دقاته على ان تتجاوب قوية فى النفس .. ولا توقف نبضاته بل تدفعها فتية جياشة بالحياة !

مصــير مجهـول !

◆ **والى** هنا تنتهى قصة راسين .. ولكن المؤرخين يخــالفونه فى وقائعها .. كما يخالفونه فى شخصية بيرينيس التى مجدها ورفعها الى الذروة ! .. بل انهم يخالفونه حتى فيما صور به شخصية « تيتوس » ، فهم يصفونه بانه كان ذا نزوات جامحة ، عاصفة ، مفاجئة .. وانه كان كفؤا لأن يرتكب اعظم الحماقات فى احدى نزواته تلك .. وان اصداره الأمر الى بيرينيس بالرحيل كان نتيجة لاحـــدى تلك النزوات ! .. **ويضيف المؤرخون ان تيتوس فى بداية عهده بالملك تحدى معارضيه ، وتحــدى القانون .. ولم يحفل بشىء من تقاليد روما واوضاعها فجعــل بيرينيس تشاركه حياته الرسمية علنا كما لو كانت امبراطورة متوجة ! .. وانه كان يتمتع بسلطات مطلقة تدانى السلطات التى كان يتمتع بها الطاغية نيرون . فلا يعقل والحالة هذه ان يكون تطليقه ـ أو طرده ـ لبيرينيس ناتجا عن خوف أو مراعاة لشعور الرأى العام ـ و ان تكن معــاشرته لها قد ضاعفت من شوكة التيارات المعارضة له وزادتها حدة وعنفا ، سيما وقد كان ماضى بيرينيس موصوما بوصمة الدنس والعار : وصمة معاشرتها « لأخيهــا » معاشرة الأزواج ـ كما سيجىء التفصيل ! ـ على أن العجيب فى الأمر حقا ان تيتوس ، بانفصاله عنها ، طلق حياة الفسق والفجور .. وثاب الى رشده فلاذ بالاستقامة والخلق الحميد !**

وعندما أصرت هى عــلى مقابلة الامبراطور ، لتسمع من فمه الحكم عليها بالرحيل ، يقول المؤرخون أنه رفض مقابلتها ! وكان عنيفا مع رسولها فلم يزد على ان كلفه بابلاغها أمره اليها بالرحيل فى الحال !

أما ماذا جرى لها بعد ان غادرت روما ، فقد تساوى التاريخ والرواة والشعراء جميعا فى جهل مصيرها الأخير .. اذ لم يتحدث عنها احد بعد ذلك ، واكتنفها الغموض المطبق ! .. غير ان ذلك لم يمنع الشعراء والرواة من ان يصوغوا عنها منذ ذلك التاريخ قصائد وقصصا من نسج خيالاتهم ،

ويجعلوا منها « اسطورة » من اساطير الرومان ، يؤلفون فيها مسرحياتهم عن الحب المنهوم .. الفشوم .. الذى سيظل لغز الانسانية الغامض المحير الى يوم النشور !

قصة بيرينيس كما رواها التاريخ

كتابى : عند هـذا الحد وقف « هنرى بوردو » فى مقارنتـه بين شخصية بيرينيس كما صورها راسين ، وبين حقيقتها كما رواها المؤرخون .. ولعله قد اجتزأ من سيرتها بهذا القدر اعتمادا على ما يعرفه القارىء الفرنسى من تاريخها بعد ما كتبه عنها الباحثون والكتاب فى مختلف المناسبات منذ مثلت مسرحيتا راسين وكورنى فى القرن السابع عشر حتى اليوم ..

ولما كان الحديث عن بيرينيس ، والخوض فى تاريخ بيرينيس ، والتعليق على حياة بيرينيس ، لم يتجاوز ذلك المحيط الفرنسى الى ما عداه الا فى المناسبات النادرة ، وفى أضيق الحدود .. فقد رأيت أن أستقى لك من صفحات التاريخ – ومما رواه عنها المؤرخ اللاتينى المعاصر لهـا « تاسيت » – حقيقة سيرة بيرينيس ، دون خيال أو تنميق :

ولدت بيرينيس فى فلسطين فى العام الثامن والعشرين بعد الميلاد ، اى فى فجر المسيحية ، فهى بذلك قد نشات فى ملتقى عالمين وحضـارتين متباينتين .. كما اختلط فى دمهـا الشرق والغرب : الشرق الذى انتمت اليه امها « سيبروس » ، والغرب الذى انحدر منه ابوها « اجريبا » .. فجاءت بذلك مزيجا من الكبرياء ، والنهم للملذات .. من الاباء ، والتهالك على الاستمتاع بكل ما فى الحياة من فرص للمتعة واشباع الشهوات !

وكانت على جانب كبير من الدهاء ، والذكاء ، والمرونة ، وسعة الحيلة .. وكان أجدادها لأبيها يعتبرون أمراء وأسياد وحكام « شعب الله » فى عهود الوثنية .. وكانوا ذوى بأس وثروة ، يستمدون سلطانهم من امبراطور روما مباشرة ، ويعيشون فى بذخ واسراف كانا مضرب الامثال فى التاريخ !

وحرص أجريبا على تزويد ابنتيه « بيرينيس » و « دروزيللا » بالثقافة الرومانية .. **وعاشت بيرينيس فترة من الزمن فى « طبرية » ، فى بيت « هيروديا » زوجة عمها هيرودس – التى حرضت ابنتها « سالومى » – وكانت ابنتها من زوج سابق – على اغراء زوجها الجديد هيرودس بقطع رأس النبى « يوحنا المعمدان » وتقديمه اليها على طبق !**

.. ثم انتقلت بيرينيس من ارض الجليل المشرقة الى الاسكندرية ، حيث قضت فترى اخرى بصحبة ابيها ، قبل ان يبحر الى روما بناء على طلب الامبراطور تيبريوس ، الذى لم يكن على وفاق معه ..

ثم مات الامبراطور تيبريوس ، وجاء خلفه المخبول « كاليجولا » ، فعين أجريبا ملكا على احدى الولايات الخاضعة له ، ثم اغتيل كاليجولا ليخلفه الامبراطور « كلوديوس » ، الذى اختار أجريبا ملكا لولاية « اليهودية » ، JUDEE — كما كان يطلق يومئذ على تلك البقعة من فلسطين — وذلك مكافأة له على خدماته التى أداها لروما ..

وبحكم منصبه الجديد ، انتقل اجريبا بأسرته الى عاصمة « ملكه » أورشليم — القدس — وهناك انصرف همه الى أن يزوج ابنتيه « بيرينيس » و « دروزيللا » فى سن مبكرة ، على ان يكون زواجهما ذا « صبغة سياسية » ، بحيث يفيد منه ويستغله فى الوصول الى تحقيق مآربه واحلامه العريضة ! كما لم يغفل الأب من اعتباره « الناحية المالية » ، **فكان ان تزوجت بيرينيس من احد يهود الاسكندرية الأثرياء ، ويدعى « مارك » .. لكن هذا الزواج لم يدم طويلا ، لوفاة « مارك » بعد الزواج بوقت قصير ..**

فماذا يفعل الأب ؟ اختار شقيقه « هيرودس » ليزوجه من ابنته الارملة « بيرينيس » — أى انه زوج الابنة من عمها ! — وكان هيرودس فى الخمسين من عمره ، فى حين لم يكن عمر الاميرة بيرينيس يوم زواجها الثانى قد جاوز الثلاثة عشر عاما !

ابنة ملك .. وزوجة ملك !

◆ **وكان** القدر يدخر « للصبية » مجدا عريضا .. بل عرشا ! .. فقد كانت هدية العرس التى أهداها الامبراطور الرومانى الى هيرودس : مملكة « كاليكيا » — احدى مقاطعات فلسطين أيضا — فولاه عليها سنة ٤١ ميلادية ، وهكذا توجت بيرينيس « ملكة » وهى فى سن الثالثة عشرة !

وعاشت الملكة الصغيرة مع زوجها الكهل متسلطة عليه ، مسيطرة على شؤون المملكة .. ورزقت من هيرودس ولدين ، هما « بيرينيسيان » و « هيركان » .. **ولم تمض على زواجها ثلاث سنوات حتى مات أبوها « الملك أجريبا » ، وكانت تقيم فى بيته فى ذلك الحين ، فنشبت على اثر وفاته اضطرابات دموية فى أنحاء المملكة ، التى كان يحكمها بالحديد والنار ، والتى كانت تتنازعها الفرقة والأحقاد الدينية .. فهاجم الجنود السامريون قصر الملك وعاثوا فيه نهبا وسلبا ، وكادوا يعتدون على « بيرينيس » ، لولا ان لاذت بالفرار الى مملكتها ، واذ ذاك أخذوا تمثالها فوضعوه فى أماكن ذات سمعة مريبة وراحوا ينهالون عليه بأفحش الاهانات والألفاظ !**

وبعد أربعة اعوام مات هيرودس ، فغدت « بيرينيس » ارملة للمرة الثانية ، وهى بعد فى التاسعة عشرة ! .. وهنا قرر امبراطور روما - وكان « نيرون » - ان يؤول ملك مملكة « كاليكيا » الى ابن اجريبا الاكبر ، أى شقيق بيرينيس ، فتوج باسم « اجريبا الثانى »

وكان اجريبا الثانى يعيش فى روما منذ ثمانى سنوات ، لاتمام علومه ودراساته ، وليتمرس بمعيشة البلاط وحياة الملوك والامراء .. فغادرها الآن الى مقر ملكه ، أفتن ما يكون شبابا وجمالا - فقد كان فى الحادية والعشرين - الى جانب روحه العسكرية العالية ، وبسالته فى الجندية ، وألفته حياة القصور بما تنطوى عليه من ترف ، وتلف !.. وما كاد يستقر به المقام فى عاصمة ملكه حتى راح يقدح زناد فكره : كيف ينبغى ان يكون مسلكه مع الداهية الفاتنة : شقيقته « بيرينيس » ؟.. ان هذه الساحرة ليست بالمرأة التى يسهل اغفال وجودها واهمال شخصيتها !.. وعليه فقد انتهى أخوها الملك الشاب الى التحالف معها كى تعينه بواسع خبرتها فى ادارة دفة الملك

تعشق أخاها !

◆ وكانت بيرينيس فاتنة ، بارعة الجمال ، يفتك حسنها بالقلوب ويأسر الالباب .. يضاف الى فتنتها ثقافة واسعة والمام شامل بأفانين السياسة واحابيل السياسيين .. فزاد ذلك من تعلق أخيها بها ! .. وظلت أواصر المحبة والاخاء تزداد بينهما توثقا ، وتنزلق بهما رويدا رويدا .. فاذا بالعلاقات بين الأخ وأخته تتحول الى حب حرام !

واذا كانت تقاليدنا الحاضرة وقوانيننا تستبشع هذا النوع من العلاقات ، الا اننا لو رجعنا الى الوراء ، الى ما قبل الفى عام ، لرأينا مقاييس ذلك العصر لا تنظر الى هذه العلاقات نظرة الاستبشاع التى ننظرها اليها اليوم . أو لم يكن المصريون القدماء يبيحون للملك ان يتزوج من اخته ، حفظا للدم الملكى من ان يختلط بدم اجنبى ؟

على ان هذا لا ينفى ان اليهودية كانت فى العصر الذى نحن بصدده تعتبر زواج الاخ من اخته جريمة منكرة ، لا يصبر اليهود عليها ولا يطيقونها بحال ! .. لكن الأب الذى رضى لنفسه ان يزوج ابنته التى فى الثالثة عشرة ، من عمها الذى فى الخمسين ، طمعا فى أن يراها « ملكة » .. لا يبعد على ابنته أن تعشق أخاها !

على أن علاقة بيرينيس الآثمة بشقيقها لم تلبث أن أثارت ثائرة الكثيرين عليها .. فلم تر بدا ، كى تهدىء من تلك الثائرة ، من أن تعمد الى التعمية وذر الرماد فى العيون ، فعقدت زواجا صوريا لها على ملك ولاية مجاورة

يدعى « بوليمان » .. على أن العقد لم يكد يعقد حتى دخل الزوج فى « منطقة الظل » وبات كمية مهملة ، ونسيا منسيا .. ثم لم تلبث بيرينيس أن تحللت من هذا الزواج وهجرت بوليمان - دون مبالاة ! - وقفلت راجعة الى أورشليم ، سيما وقد كان الموقف يزداد كل يوم سوءا بسبب ازدياد المقاومة الشعبية لجيش الاحتلال الرومانى الذى كان يجثم على البلاد كالكابوس .. ولم تلبث أن اندلعت ثورة دامية أدت الى ذبح قوات



الملكة بيرينيس كما بدت صورتها على قطعة نقود

الحاميات الرومانية وأسر جانب كبيرمن جيش أجريبا المغلوب على أمره ..

واذا كانت هذه الاحداث قد عنت بالنسبة لبيرينيس وشقيقها - أو عشيقها - فشلا سياسيا أو هزيمة شخصية ، فانها كانت تعنى بالنسبة لروما كارثة خطيرة تهدد بافلات الشرق كله من قبضتها ! .. ومن هنا اضطر الطاغية « نيرون » الى أن ينصب على رأس جيش الشرق قائدا قديما محنكا هو « فسبسيان » ، الذى أرسل يطلب الى ابنه « تيتوس » أن يحضر الفيلق الخامس عشر من مصر ويخف معه للقائه فى ارض فلسطين ..

وفى الوقت نفسه جرد اجريبا وأخته - من ناحيتهما - جيشا لمعاونة فسبسيان وجيشه على قمع تمرد الثوار اليهود ..

والتقى الجيشان الصديقان ..

بداية المأساة !

◆ وفى ذلك اليوم من عام ٦٧ ، وأمام مائة الف مقاتل احتشدوا فى سهول فلسطين ، كتب القدر فى لوحه بداية مأساة غرامية من أعنف مآسى التاريخ .. فقد التقى « تيتوس » .. و « بيرينيس » !

كان كلاهما آية من آيات الفتنة والوسامة فى جنسه : هى ، فى نضوج الثامنة والثلاثين ، أكمل ما تكون حسنا واغراء .. وهو ، فى ربيع السادسة والعشرين ، بارع الفتوة ، اجتمعت له وسامة المحيا ، وجلال الطلعة ، ونضارة الشباب ، وفحولة الجسم ، وحدة الذاكرة ، ووفرة الثقافة ، واتقان الخطابة ، والبراعة فى الموسيقى ، وهواية شتى الفنون .. فضلا

عن شجاعته كقائد حربى مغوار ، « يعبده » جنوده ويقسمون بحياته ..
والتقت العيون .. وخفق القلبان ، من اول نظرة !

ولم تمض أسابيع حتى استرد جيش الشرق منطقة الجليل ، وفرغ من تأديب العصاة ، فقبل القائد وابنه دعوة الشقيقين لقضاء عشرين يوما فى ضيافتهما ، كانت عبارة عن مهرجان متصل من المآدب وحفلات التكريم الباذخة .. وسكر العاشقان بخمرة الحب فى جو ساحر كان كل ما فيه يؤذن للهوى والمتعة !

وحين آن موعد عودة « تيتوس » الى روما .. صحبته بيرينيس !.. ثم مات نيرون فخلفه القائد الظافر فسبسيان ، ثم مات هذا فجلس ابنه « تيتوس » على العرش ..

وحرمته الدولة من حق الزواج من « اجنبية » !

ثم كان ما قرأته فى مأساة « راسين » !

نماذج اخرى لشخصية « بيرينيس »

◆ **ولنعد** الى كتاب « بوردو » لنقرأ تعقيبه « المقارن » الممتع الذى ختم به حديثه عن بيرينيس ، والذى نقب فيه عن شبيهاتها فى الأدب والتاريخ .. فمن رأيه أن بيرينيس ليست من النساء اللواتى يخلع عليهن ثوب الألوهية أو القداسة .. أو من أطياف المثل العليا التى تتراءى فى الحب الشعرى مثل « بياتريس » التى وصفها « دانتى » ، أو « لورا » التى حدثنا عنها « بترارك » ، أو « موناليزا » أو « فيتوريا كولونا » اللتين يصور أولاهما « ليوناردو دافنشى » كما يصور الثانية « ميكيل أنجلو » فى صور تسمو على مستوى البشرية ، وترتفع الى ذروة العصمة ... **كلا ! بل هى مخلوق بشرى من لحم ودم .. معشوقة مشتهاة ، بل لعلها « معشوقة » أكثر منها « مشتهاة » ، بسبب ما تحلت به من صفات نادرة وروح صافية اتخذت من الجسد سبيلها المادى للظهور والتعبير عن وجودها .. ثم لكى تقترب بهذا التعبير من الحياة الانسانية ، وتدنو منا وتختلط بنا نحن البشر فى شعورنا، وتأخذ نصيبها من نقائصنا وما فينا من عيوب وما نقترفه من زلات .. فهى من طراز « شارلوت » فى« آلام فرتر » ، « ومدام كوايان » فى « النشوة » ، « ومدام أرنو » فى « التربية العاطفية » ، « ومدام دى نييفر » فى « دومنيك » ، « وماتيلد » ملهمة « فاجنر » فى مقطوعته « الشعرية » الخالدة : « تريستان » !!**

« شارلوت » بطلة « آلام فرتر »

◆ **فأما** « جيتة » فقد جعل « شارلوت » فى « آلام فرتر » امرأة متزوجة ، فهى لذلك تطلب الى « فرتر » ألا يراها .. واذا كان لا بد له من رؤياها فليكن ذلك فى مناسبة عيد الميلاد فقط .. لانها ترى فى فرحة الاولاد بهذه المناسبة السعيدة مطهرا لحبه الحرام ، وعاملا من عوامل تهدئة ثورة حبه لها بعض التهدئة اذا ما اكتحلت عيناه بمرآها .. **مسكينة شارلوت ! انها امرأة رقيقة ، ولكنها لعوب من حيث لا تدرى ! فلعل كل من قرأ قصة « آلام فرتر » يذكر ذلك المنظر الذى أمسكت فيه شارلوت بعصفور صغير وأدنته من شفتيها وجعلته ينقرهما بمنقاره الطرى الرقيق .. ثم قبلته وأعطته لـ « فرتر » ليقبله هو بدوره ، حتى تجتمع قبلته وقبلتها على منقار ذلك العصفور الصغير !.. يالها من دعابة صارمة ودلال قاتل ينفذان الى احشاء فرتر كالنصل .. وقد وصف فرتر هذا الدلال وتلك الدعابة القاسية بقوله : « انها لا ترى ! انها لا تشعر بأنها تعد بيديها السم الذى سيقضى علينا معا .. واننى لأتجرع هذه الكأس المملوءة بالسم الزعاف ، فى نشوة قوية دافقة عارمة ! »**

وعندما عن لشارلوت أن تبحث بين صديقاتها عن فتاة تصلح لان تكون زوجة لفرتر ، لم تجد بينهن واحدة تستطيع أن تدخل على نفسه المحطمة بصيصا من السعادة أو الامل .. وما كان فى مقدورها أن تفهم أنها ما دامت لا تريد أن تمنحه نفسها ، فانه كان يتحتم عليها أن لا تفكر لحظة واحدة فى أن تمنحه لامرأة أخرى !

أما « فرتر » فلم يف بوعده ، اذ عاد اليها قبل حلول عيد الميلاد .. واقتحم عليها بابها .. انها تخاف أمامه من نفسها أكثر مما تخاف منه .. فحاولت استدعاء احدى صديقاتها لتكون الثالثة فى هذا الاجتماع المرهوب ، فلم تجد .. فطلبت من خادمتها أن تبقى فى الحجرة المجاورة ، حتى تسارع الى نجدتها اذا صدمتها المفاجئات .. ثم أقبلت على فرتر تطلب منه أن يقرأ لها فصلا من كتاب ما ، بدلا من أن يتحدث اليها ! .. الا أنه انقض عليها كالصقر واحتواها بين ذراعيه .. ولكنها أفلحت فى الافلات منه .. وعندئذ أمرها بالعودة اليه قائلا : « عودى الى .. والا فانك لن تريننى بعد الآن ! » .. ولكنها تأبت وأمعنت فى التأبى .. ولم تعد !

وأحس فرتر بأنها تحبه .. ولكن هذا الاحساس لم يستطع ان يمنعه من أن يغادر منزلها الى منزله ، حيث قتل نفسه حزنا وكمدا !! .. **ولعل هذا الخطأ أصبح تقليديا فى الروايات الغرامية .. لان الرواة والمؤلفين مصممون**

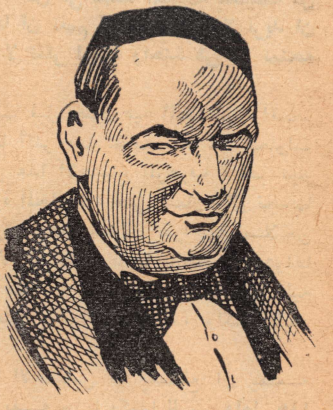
على أن يضعوا الحب فى مرتبة أعلى من مرتبة الحياة ، بدلا من وضع الحياة فى مرتبة أعلى من مرتبة الحب !

أما راسين فلم يقع فى هذا الخطأ عندما كتب عن « بيرينيس » .. فهو لم يقبل فكرة الانتحار ولم يحبذها .. لان انتحار الرجل الذى يعلم انه محبوب من المرأة التى يحبها ، لا يدع لهذه المرأة سبيلا الى العيش بعده فى سعادة أو سلام !

الحب « والنشوة » فى أدب « سانت بيف »

◆ **أما** « سانت بيف » فقد ذهب فى كتاب « النشوة » الى أبعد من ذلك بكثير فى تحليل الحب .. ونتائجه ومراميه .. فقد أحب «أمورى» مدام « دى كوايان » التى كانت زوجة وفية لزوجها ولا تخطر خيانتها له على بال.. لكنها مع وفائها المثالى لزوجها كانت عاجزة عن مقاومة صداقة رجل عرفت فيما بعد اسما آخر « لصداقته » . ووضح لها بجلاء لا يقبل الشك أن المقاومة حتى النهاية أمر مستحيل ، استحالة الحياة بلا أنفاس !

أما « أمورى » فقد قام فى نفسه طلاق بائن بين الحواس والقلب .. أى بين الجسد والروح .. فلجأ ليتخلص من عذاب حبه المحروم الى اشباع شهوة الجسد فى أحقر أوضاعها .. واذا به يترنح بين حب بغير شبع ، وشبع بغير حب ! حتى تملكه الاشمئزاز من نفسه .. فكتب يقول : « ان اشباع شهوة الجسد بهذه السهولة أبانت لى كيف أنه لا يكفى أن ترغب فى الشىء نصف رغبة .. بل لكى تشعر بالسعادة يجب أن ترغب فيه رغبة كاملة .. ولا يكفى أن تكون رغبتك فى الشىء كاملة تامة ، بل يجب - لتتم سعادتك - أن تبارك يد الله ما ترغب أنت فيه ! »



سانت بيف

ان العلاج الوحيد للنفس التى تزل ، وللجسد الذى يسقط ، هو الرحمة .. فالحب وحده مهما سما لا يكفى .. وانما البلسم الشافى لجروح الانسانية هو الاحسان .. لأن حب الاحسان يفتح عينيك على جروح الآخرين

.. وآذانك على أنات المتوجعين .. ويشعرك بلذة روحية هائلة فى تضميد هذه الجراح والتخفيف من الآلام التى تبعث هذه الانات ..

ان الألم هو البوتقة التى تطهر النفس الانسانية من الاوضار ، فلا تهربن منه ! وهنا يقول أمورى عبارته البليغة: **«ان أقدس مافى الحب المتبادل بين اثنين فى هذه الدنيا هو أنه يخص كل فرد منهما بميزة كبرى ، تجعله قادرا على أن « يمنح » الشخص الذى يحبه أشد انواع الآلام ! »**

« مدام أرنو » معشوقة « جوستاف فلوبير »

◆ **وفى** « التربية العاطفية » – الكتاب الخالد لجوستاف فلوبير – يستبد بالبطل – الذى هو فلوبير نفسه – طيلة حياته حب مستحيل .. ولكن ما يعانيه من ألم فى حبه ، يضفى على حياته جمالا حزينا ، ويشيع فيها ألما مستحبا . ولقد كتب مرة يقول : **« ان قلوب النساء شبيهة بقطع الاثاث التى تحتوى على عدة ادراج صغيرة (مسحورة) .. فأنت تتعب فى البحث وقد تكسر اظافرك اثناء محاولتك سحبها وفتحها .. فاذا ما فتحتها فى النهاية ألفيت فيها ورودا يابسة ... وغبارا ... وفراغا ! »**

وقد أحب فلوبير « مدام أرنو » من بعيد ، دون أن يجرؤ على مفاتحتها فى حبه ! .. وكتب مرة يصف حبه لها فقال : **« ان شخصك وجميع ما يصدر عنك من حركات مهما هان شأنها لها عندى من الأهمية ما لا يتصوره العقل البشرى .. وان قلبى ليسير خلفك كالغبار الذى تثيره قدماك .. انك تحدثين فى ذلك التأثير الذى يحدثه ضوء القمر فى ليلة صيف صافية الأديم ، يعطر جوها أريج الزهور .. وان اسمك ليوحى الى بالمتعة الروحية والجسدية معا ، فأردده بين شفتى وانا أحاول أن أقضمه بأسنانى قضما ! .. اننى لا أسمح للخيال بان يتسلط على وانا افكر فيك ، فأنا أريدك كما أنت – مدام أرنو – على حقيقتك .. وبجوارك ولداك .. وأنت تفيضين حنانا وعفة .. وجمالا وديعا يأخذ بمجامع القلوب .. ان هذه الصورة تمسح كل صورة أخرى فى مخيلتى وتبقى هى .. واننى لا افكر فيها فحسب ، بل أصغى الى موسيقى صوتك فى أعماق نفسى وأرى أمامى سحر عينيك على الدوام ! »**

أما « دومينيك » – بطل القصة المعروفة بهذا الاسم (١) – فقد كان يحب « مادلين » التى كانت صديقة طفولته وصباه .. وكان من الصعب

---

(١) تعتبر «دومينيك» من أروع القصص الفرنسية «السيكلوجية» ، ومؤلفها هو الكاتب والرسام « أوجين فرومنتان » ، (١٨٢٠ – ١٨٦٧) ، الذى برع فى تصوير سحر الشرق وأجواء الصحراء ، سواء فى كتاباته أو لوحاته

على مادلين ان تفسر علاقتها بدومينيك وشعورها نحوه بانه « حب » .. فقد درجا معا وعاشا سويا فربطتهما صداقة الطفولة المتينة التى تزيدها الثقة قوة ودواما .. وعليه فقد تزوجت من مسيو دى نييفر وهى خالية الذهن مما قد يسببه هذا الزواج لدومينيك من آلام .. أما هو فقد تملكه اليأس ، ولكنه كان يجد نشوة ومتعة حتى فى يأسه ، لان منبعه ومبعثه هو : مادلين !! .. كان يكفيه أن يعيش بالقرب منها ليكون سعيدا .. **الا انه ليس من اليسير أن تعيش بجوار الحب طويلا دون أن تصاب بعدواه ، فان نهم الحب يتحرق شوقا الى الشبع ! .. وقد آلى دومينيك على نفسه بعد زواج مادلين أن يصمت .. وطلب اليها أن تغفر له الاقوال التى لم يستطع أن يقولها لها بعد .. فرجته الا يقول شيئا ! .. وبذلت جهودا جبارة للمحافظة على الصداقة القديمة التى كانت تربطها به ، تلك الصداقة التى تراءت أمامها فى نزعها الأخير .. لكن جهودها ذهبت عبثا .. ففقدت نفسها دون أن تتمكن من انقاذه !**

عندئذ حاول دومينيك الرحيل ، ولكنه عجز عن ذلك .. وبعد قليل ثاب الى رشده ورأى شناعة الجرم الذى ارتكبه مع رفيقة صباه .. فرحل أخيرا بعيدا عنها - وان يكن بعد فوات الفرصة ! - راجيا أن يعيد ذهابه عنها بعض السلام الى قلبها الملتاع ..

وانقضى عامان وهو بعيد عنها .. واذا به يعود ليراها دون أن يمحو العامان اللذان قضاهما نائيا عنها ، شيئا من حبه لها ! .. انها الهزيمة التى تمنى بها ارادة أولئك الذين يستمدون قوتهم من الحب !

وما كاد يستقر به المقام ويلتقى بها ، حتى احتواهما الحب .. واخذت امواجه العاتية تتقاذفهما ، فقضيا ثلاثة أيام غارقين فى لججه لا يعيان من الحياة شيئا غير الحب .. ولا يفيقان من غمرته ، أو سكرته !

لقد كان شهر عسل من ثلاثة أيام ، كانا يعلمان انها كل حياتهما فى الحب .. وانه بعد انقضائها لن تكون لهما حياة ! .. فاستنزفا دمهما فى تلك الايام الثلاثة حتى آخر قطرة منه .. فكان مثلهما مثل المحكوم عليه بالاعدام، الذى يسمح له بكل شيء ، قبيل تنفيذ حكم الاعدام فيه !

وعند ما حانت لحظة الوداع النهائى ، سجلت مادلين « النصر » الذى احرزته فى « الحب » ، والهزيمة التى منيت بها فى مقاومته ، بتلك العبارة التى قالتها لحبيبها : « ليتك تعلم كم أحبك ! اننى لم اقل لك ذلك أمس .. ولكننى اعترف لك بحبى كاملا اليوم ، بعد ان زال « الحجاب » الذى كان يفصلنا ! »

وافترقا .. ولم يلتقيا بعد ذلك ، الى الابد ! .. أما هو فقد ذهب الى مسقط راسه ليدفن فيه آلامه .. وكان كالحيوان المطعون الذى ينزف دمه اثناء المسير قطرة قطرة ، فيظل يترنح وهو على وشك السقوط .. أما مادلين فلم يعرف عنها أحد شيئا بعد ذلك على الاطلاق !.. قد تكون عاودتها حياة الهدوء ، ذلك الهدوء الذى يعقب العواصف ـ والذى يشبه الموت الى حد ما ! ـ وقد لا تكون ..

وقضى دومينيك باقى حياته فى الريف .. وكان مظهره يدل على انه سعيد لا يحفل بشىء .. ولكن اذا ما وثبت امامه ذكرى الماضى ، كنت تراه وقد انتفض انتفاضة الناقه من مرض طويل ، الذى يصيبه حلول الليل بحمى تستبد ببدنه كله !

« ماتيلد » ملهمة « فاجنر »

◆ **وهـــا أنت** ترى أن «بيرينيس» موجودة فى كل مكان .. وهى تنحنى للحياة كالوردة المتفتحة على غصن فارع ، يميلها الريح ولكنها تميل قوية دون ان ينكسر غصنها ! .. وهى تشبه ايضا ـ عدا من سبق ذكرهن ـ « ماتيلد ويزندونك » ملهمة الموسيقى الخالد فاجنـــر .. فعندما نفى « فاجنر » من بلده لجأ الى زيوريخ فى سويسرا ، حيث نزل ضيفا على اسرة « ويزندونك » . وكانت تصحبه امرأة اسمها « مينا » ، وهى التى رافقته فى ايام محنته .. فما كاد يحتويه جو اسرة ويزيدونك حتى وجد فيه ملاذا لنفسه المضطربة وموئلا لروحه الفزعة .. فاقبل على عمله بشغف ومتعة .. وشجعته ربة الدار « ماتيلد ويزندونك » بما كانت تبذله من جهد لتهيىء له جميع اسباب الراحة والهدوء والهناء ..

وكانت ماتيلد امرأة سعيدة فى بيتها ، مع زوجها وولديها ، ذات حياة متسقة النغم مفعمة بالهدوء والسكينة ، يحس الانسان بقربها بالطمأنينة .. وظل فاجنر وسط هذه الاسرة خمس سنوات ، أحب ماتيلد خلالها حبا عنيفا صامتا لم يكاشفها به ! .. غير انه لم يكن من العسير على ماتيلد ان تعرف حقيقة شعور فاجنر نحوها ، كما لم يخف الأمر على رفيقته « مينا » ، فان من اليسير على النساء فهم ما يخفيه صمت الرجال !

وخيم على منزل ويزندونك سكون أشبه بالسكون الذى يسبق العاصفة .. العاصفة التى ما لبثت أن هبت عاتية عند ما أهدى فاجنر مقطوعته الشعرية « تريستان » التى كان قد انتهى من وضعها ، الى ماتيلد ! فوضع بذلك النقط على الحروف .. وما كاد يفعل ذلك حتى دنت منه ماتيلد .. ومالت عليه .. وقبلته وهى تقول : « ليس عندى الآن ما أطمح اليه فى الحياة .. فقد نلت منها كل شىء ! »

انها لعوب مثل شارلوت فى آلام فرتر.. تلعب بالعصفور ! ولكن ماذا حدث بعد ذلك ؟ لم تطق «مينا» ـ مرافقة فاجنر القديمة ـ صبرا على ما حدث، فوشت بهما للزوج ! .. ولم يكن فى مقدور ماتيلد ان تحطم حياتها المرتبة المتسقة الرخية من اجل حب عاصف عابر .. فصارحت فاجنر برغبتها فى البقاء مع زوجها ووليديها ! .. فاذا به يغادر المنزل عابرا الجبال هائما على وجهه فيها حتى وصل الى «فينيسيا» ، ومن هناك كتب الى التى مالت عليه .. ثم أجفلت منه .. يقول : «اننى لن آسف على ما حدث .. لأن ما وقع بيننا كان دليلا قويا على حبى القوى الذى أعتبره الحلية الوحيدة التى تزين حياتى الجدباء .. ان قلبك وعينيك وشفتيك قد ملأت دنياى بالسعادة .. وأدلة الحب التى تبادلناها هى تاج حياتى .. وهى الورود اليانعة التى تفتحت على اكليل الشوك الذى كان حتى ذلك الوقت يكلل جبينى .. فلا تأسفى على شىء ياحبيبتى ! »

وعاش فى فينيسيا فى حمى هذا الحب .. وقد كتب فى مذكراته يصف حياته فى تلك الفترة بقوله : « عندما يجن الليل أستقل الجنـدول الى الليدو ، فأحس كأننى محاط بنغمات حنونة متصلة منبعثة من القيثار الذى شبهتك به فى أحد الايام ! »

وفى عيد الموتى خطر لفاجنر نفس الخاطر الذى انتاب فرتر .. وهو ان يبحث عن الراحة فى عالم آخر ! وكان يكفيه ان يعبر حاجز نافذة حجرته لينفذ منها الى ذلك العالم الذى يشتهيه ، وذلك بالقاء نفسه فى القنال الكبير الذى يطل عليه منزله ! .. ولكن حبه كان يقظا ، فوقف يحرسه .. وكتب فى مذكراته يقول : **« عند ما سحبت يدى فى تلك الليلة من على حاجز النافذة وتراجعت الى الوراء ، لم تكن قوة الفن هى التى صدتنى عن تنفيذ فكرتى .. ولكن ظهر امامى فى تلك اللحظة الرهيبة ، بوضوح ، المحور الذى تدور حوله رغبتى فى الموت والعبور الى الحياة الجديدة .. وهـذا المحور هو انت .. انت ! ـ لا تغضبى منى يابنيتى ! ـ واذا بدمعة تجرى على خدى .. والرغبة فى البقاء تغلبنى ! .. ويحك ياعيد الاموات .. لقـد اصبحت عيد القيامة ! »**

وهكذا أنقذه من الموت حب الحياة الذى رسمته لنا بيرينيس. واننا لنرى بيرينيس فى مناسبات اخرى كثيرة ، واماكن مختلفة ، ومواقف خالدة يكون الحب الاعظم سيدها جميعا . ولذلك فقد أصبحت مثلا يضرب على الحب الذى يحفر آثاره ويتركها بارزة تتحدى عاديات الايام .. واننى لأذكر مثالا آخر واقعيا لحب بيرينيس فى احدى المآسى الغامضة التى وقعت حوادثها فى

موطنى باقليم « السافوا » .. وكانت بطلته فتاة لم تتمكن من الزواج من فتى أحلامها الذى أحبته حبا جارفا . وأرغمتها الظروف على الزواج من رجل آخر عرف بالاستقامة والخلق الكريم .. فانجبت منه اولادا كثيرين عنيت بتربيتهم وتعهدتهم بالرعاية والحنان . وكان كل من يراها يتخيلها امرأة موفورة السعادة .. وكانت ناضجة التفكير ، متزنة ، وقورة .. ثم تقدمت بها السنون على هذه الحال دون ان يحدث ما يعكر صفو حياتها كزوجة وأم .. حتى مرضت ذات يوم ، **فلما اشتدت بها العلة وأحست بدنو اجلها ، انفلت من بين شفتيها اسم الشاب الذى احبته فى شبابها ، وراحت تناديه ليسارع بالحضور اليها فى لحظاتها الاخيرة !.. وظن جميع المحيطين بها فى تلك اللحظة انها تهذى ، الا احدى شقيقاتها التى كانت تعرف السر لانها كانت موضع ثقتها .. وكان اسم الشاب الحبيب هو آخر كلمة خرجت من شفتى اختها قبل ان تفارق الحياة !**

الحياة أقوى من الحب !

◆ **غير** اننا ينبغى ان لا نرثى لحال بيرينيس ولا لحال اولئك الذين راحوا ضحية اخفاقهم فى الحب ، سواء كان هذا الاخفاق بفعل الظروف التى أحاطت بهم ولم يستطيعوا قهرها ، ام بفعلهم هم ومن صنع ايديهم.. انهم لا يستحقون الرثاء ، بل اننى أفضلهم على ابطال القصص الغرامية الذين ظنوا انهم قادرون على ان يتحكموا بعواطفهم فى مصائر الامور ، فلم يفلحوا الا فى جعلها تسير من سيىء الى اسوأ ..

ان الوحيد الذى لم يتحمل الفشل فى الحب كان « فرتر » .. ولذلك فقد انتحر .. اما الآخرون ، فانه اذا كانت جراحاتهم لم تندمل وظلت تنزف مدى الحياة .. الا انهم امتازوا على غيرهم بشعورهم بلذة الألم فى الحياة .. هذه الحياة التى هى أقوى من الحب الذى يتدفق فيها ، ويدوى بين جنباتها .. وتحتويه !

نحن وأكبادنا

البيت والعائلة والطفل



عزيزى القارىء ..

فى هذا الباب قدمت لك فى اعداد سالفة عددا من القصص الكلاسيكية ، المبسطة خصيصا كى يقرأها الصبيان ، أو يقرأها الكبار ثم يحكونها لأطفالهم ..

وابتداء من العدد الماضى قدمت لك فى هذا الباب مادة من نوع آخر .. فهى ليست للاطفال ، وانما عنهم .. ذلك ان علم النفس الحديث قد فتح آفاقا فسيحة لمحاولة اتاحة اكبر قسط ممكن من السعادة للانسان فى مختلف مراحل حياته ، عن طريق فهم ومعالجة نفسيته منذ نعومة أظفاره ، ومن ثم تربيته التربية الصحيحة التى تكفل له نفسا سليمة من العقد والمنغصات وأمراض الشخصية .. كما تكفل له جسما سليما من العلل والامراض البدنية

وفى الصفحات التالية اقدم لك الحلقة الثانية من سلسلة محاضرات أعدها خصيصا للامهات والآباء نفر من أشهر الاخصائيين الفرنسيين فى علم « تربية الطفل »

مدرسة الآباء -٢-

الطفل والأسرة

للدكتور اندريه بيرج
الإخصائى فى تربية النشء



تلخيص الاستاذ : كليم أبو سيف

الدستور المثالى لتربية النشء

◆ فى العـــددين الماضيين قدمت لك المحاضرتين الأوليين من سلسلة المحاضرات التى نظمتها « مدرسة الآباء » بجامعة باريس لارشاد الآباء والأمهات الى الوسائل السليمة لتربية الأبناء واعدادهم لحياة سعيدة .. وقد ألقت المحاضرتين المذكـــورتين الدكتـــورة « فرانسواز دولتو » الاخصائية فى هذه الدراسات

واليـــوم أقدم لك الحلقة الثانية من سلسلة بحوث مدرسة الآباء ، وقد اضطلع بهـا الدكتور « اندريه بيرج » مدير معهد كلود برنار بباريس ، فعالج موضوعها فى ثلاث محاضرات ألقـاها تباعا وجعل عنوانها « الطفل والاسرة »

وفيما يلى المحاضرة الاولى من هذا « الدستور » الرائع لتربيـة الجيل الجديد ، الذى يفتح أمام الوالدين آفاقا جديدة فى اعداد النشء ، لعل احدا لم يسبقه اليها من قبل .. وسوف نتبعهـا بالمحاضرتين التاليتين فى الاعداد القادمة باذن الله

المحاضرة الاولى

ما يجب أن تكون عليه تربية الطفل « قبل مولده » !

◆ **كثيرا** ما يقال ان تربية الطفل تبدأ عند بلوغه الرابعة أو الخامسة من عمره . ولكننى أقول بلا تردد بأن هذه التربية تبدأ عند اتمام زواج والديه ! ذلك لان جميع العوامل التى تلعب دورا فى تربية الطفل تكون قد تحددت ورسمت خطوطها الرئيسية عند زواج والديه .. على أن هذا لا يمنعنا من أن نقرر حقيقة أخرى ، وهى ان تربية الانسان لا تنتهى الا بموته ، لانها فى الواقع عبارة عن « خلق مستمر » !

كذلك هناك حقيقة ثالثة وهى ان تربية الطفل « قبل مولده » لها أهميتها العظمى !

فما معنى هذا ؟

معناه أن تربية الطفل تبدأ أول ما تبدأ فى شخص أبويه .. ولكى نحدد هذه الحقيقة نقول بأن هذه التربية تأخذ فى التكوين منذ اللحظة التى

يأخذ منها الشخص الواعى فى اعـداد نفسه وتهيئتها لاسـتقبال الاطفال الذين سيرزقهم فى المستقبل ! .. والدراسات التى أجريت فى هذا الباب استعرضت بصفة عامة حالة الوالدين الصحية ، وعوامل الوراثة ، وجميع العناصر العضوية للآباء .. وليس من شك فى أن الناحية « العاطفية » للآباء لها أهمية كبرى فى مستقبل الاسرة . ومن دواعى الاسف انه لم تجر العادة بوجوب الحصول على شهادة تحليلية من هذا النوع قبـل الزواج . وليس ذلك لمنع اتمام بعض الزيجات ـ لانه يجب ألا نفقد الامل فى الحياة وامكان ازدهارها رغم جميع الظروف ـ وانما لمعرفة مدى ما يمكن أن يكون عليه الزوجان من تجانس له أثره الفعـال فى حياتهما الزوجيـة المستقبلة ..

وهناك أربع مراحل رئيسية فى حياة الآباء تلعب دورها فى تربية الطفل : المرحلة الاولى ، وهى مرحلة تربية الآباء أنفسهم ! .. والمرحلتان الثانيـة والثالثة هما اللتان يتعين خلالهما العمل على جعل الحياة الزوجية ناجحة موفقة ، فان هذا عامل أساسى فى « نمو » الطفل ! .. وأما المرحلة الرابعة فهى مرحلة الاستعداد لقدوم الطفل.. واذن فالمراحل الاربع هى :

١ ـ المرحلة الشخصية ، أى مرحلة تربية الآباء أنفسهم !
٢ ـ المرحلة التى تسبق الزواج ، أى مرحلة « الخطبة »
٣ ـ مرحلة الزواج
٤ ـ المرحلة التى تسبق ولادة الطفل !

المرحلة الاولى : تربية الآباء أنفســهم !

◆ **وتتضمن** هذه الفترة ثلاث نقط :

النقطة الأولى : تتلخص فى أنه يتعين على الشخص أن يتعلم كيف يواجه مشاكله الخاصة ، حتى يتجنب بذلك اشراك أولاده معه فى هذه المشاكل اذا عاودته فى المستقبل ، سواء جاء اشراكهم معه فيها عن غير عمد أو عن رعونة .. فبقدر ما يكون عليه الآباء من كفاءة واخلاص فى حل مشاكلهم الخاصـــة ، يوفرون على الابن كثيرا من الصعوبات التى يكون الآباء أنفسهم قد عرفوها وواجهوها من قبل .

والنقطة الثانية : هى انه على كل فرد أن يتوفر على عمله ويؤديه بطريقته الخاصة وطابعه الخاص الذى يوائم طبيعته وجنسه .. فالرجل يقوم بعمله كرجل ، والمرأة تقوم بعملها كامرأة ، والزوجة كزوجة ، الخ .. كل حسب تكوينه الجنسى، فلا يخلط أحد عمله واختصاصاته بعمل الآخر واختصاصاته، بل يسير كل فرد وفق تكوينه الطبيعى دون أن يحيد عنه !

والنقطة الثالثة : ومؤداها ان كل ما من شأنه أن يساعد على تكوين الشخص وبنائه ، يكون له أثره المفيد فى تربية الاطفال الذين سيرزقهم هذا الشخص فى المستقبل ..

ولنتناول هذه النقط الثلاث بشىء من الايضاح فنقول :

اذا كان هناك شخص لم ينجح فى حل مشاكله الخاصة بنفسه ، هذه المشاكل الخاصة بعلاقاته بالآخرين مثلا ، فماذا يحدث ؟ يحدث أن هذا الشخص يتسبب فى المستقبل فى منع اولاده من الوصول الى الحل الذى عجز هو عن الوصول اليه . فالانسان الذى لم يوفق فى حياته الى اصطناع الاصدقاء سيمنع أولاده مستقبلا من الاختلاط بالناس ويحبسهم فى نفس الحيز الضيق الذى تعود الحياة فيه ، لعجزه عن الخروج منه .. ثم ان كثيرا من المتاعب الداخلية التى يعانيها الآباء تؤثر على حياة الطفل العاطفية ، كما فى حالة الآباء الذين لم ينجحوا فى فهم غريزتهم الجنسية أو لم يحاولوا ذلك .. فان الاحساس المرهف « بالخطيئة » الذى يبهظ كاهل الشخص من هؤلاء ، لهو وثيق الصلة « بالخوف » المبالغ فيه الذى يستشعره هذا الشخص من حياته « الغريزية » .. وينتج عن هذا الشعور تشكك خطير لا مبرر له فى الناس ! .. فنرى مثل هذا الشخص يهجس فى نفسه حائرا : ترى هل ابنه كفء للصداقة ؟ انه يشك فى « ماهية » هذه الصداقة لانه عجز عن الحصول عليها وتفهمها فى سابق حياته .. فهو كلما تطلع حوله لا يرى صداقة بل يرى « غريزة » منحرفة .. وما ذلك الا لانه لم يتعلم كيف يحيا فى اطواء نفسه حياة متزنة متجانسة

الشعور بالنقص !

◆ **ومثل** آخر للمساوىء الناجمة عن سوء حل المشاكل الشخصية : امرأة شابة مصابة بعقدة نفسية تتلخص فى انها تتصور نفسها دائما « أقل » قدرا من الآخرين ! فماذا يترتب على ذلك ؟ يترتب على هذه العقدة النفسية ان هذه الشابة لا تبخس نفسها فقط ، ولا تبخس اعمالها فحسب ، بل تدفعها هذه العقدة الى أن تبخس كل ما يحيط بها من اشياء ومن يحيط بها من أشخاص ! وعليه فان زوجها الذى كانت تعجب به قبل الزواج لا يساوى الآن فى نظرها شيئا لانه أصبح « لها » .. واولادها لا قيمة لهم لانهم أولادها .. والنتيجة الحتمية هى أن يفقد أولادها بدورهم ثقتهم بأنفسهم ، هذه الثقة التى لا غناء عنها لمخلوق يريد أن يعيش سعيدا ناجحا !

ومثــل آخر ، هو ذلك الوالد الذى يعامل ابنــه معاملة الشخص لأخيه الاصغر ، لا لابنه ، مخافة ان يحتل ابنه مــكانه فى الاسرة .. فيسحق بذلك شخصية الابن ويمحوها ! .. الى غير ذلك من المشــاكل الكثيرة التى يصعب ان تحلهــا وحدك ، ومع ذلك فمن الضرورى لك ولاولادك أن تتوفر على حلها بمفردك دون اشراكهم معك فيها !

ان اعداد الانسان لنفسه لتأدية دوره فى الحياة ، سواء كان دور رجل ، أو أب ، أو زوج ، أو امرأة ، أو زوجة ، أو أم ، لهــو وثيق الصــلة « بالناحية الجنسية » .. فكثيرا ما يحس الطفل بألم من جراء عدم حصوله على المزايا التى يرى « الجنس الآخر » قد حصل عليها ! فالولد يريد أن يحصل على المزايا التى تكون البنت قد حصلت عليها ، والعكس صحيح .. وهكذا الحال فى الرجل والمرأة .. فمن الضرورى ان يحــدد الشخص لنفسه بوضوح « ماهية الجنس » ، وان يختار لنفسه بحــرية بعدذلك المطالب اللازمة لجنسه ، كرجل أو امرأة ..

ان مبادىء التربية الصحيحة ليست فى أن تقول للطفل : « افعل ما أقوله لك ولا تفعل ما افعله أنا ! » ، فان كثيرين يعمدون الى ذلك وهم فيه مخطئون . ذلك لان الطفل شديد الحساسية قوى الملاحظة لما يراه من تناقض فى أقوال وأفعال الكبار الذين يرى نفسه مضطرا لطاعتهم .. فليس من الممكن ولا من الصواب ان نتطلب من الصغير ما لا نتطلبه من أنفسنا .. فمثلا ترى أية عبارات تستطيع أن توجههــا الى أبوين ، اعتــاد ابنهما السرقة ، اذا لاحظت أنهما لم يتورعا ، هما نفساهما ، عن أن يضعا على غلاف خطاب أرسلاه الى أحد معارفهما ، طابع بريد نزعاه من غــلاف خطاب آخر كان الختم قد أخطأه فظل سليما ؟!

المرحلة الثــانية : مرحلة ما قبل الزواج

◆ **لماذ** تتزوج ؟ هذا سؤال تكثر الاجابات عليــه وتختلف . فالبعض يجيب عليــه بقوله : « لأننى التقيت بفتاة أحلامى » !.. والبعض الآخر بقوله : « لأننى أريد أن أعيش مستقلا فى بيتى ! » .. وآخرون يجيبــون بقولهم : « لكى نرزق أولادا » .. الخ

وانه لمن المهم ، والعسير فى آن واحد ، ان نكون فكرة صحيحة عامة عن « الحب » ، حتى نستعرض على ضوئها الطفل وسعادته ونموه وصحته ! **فمثلا صادفتنى يوما حالة زوج ترين عليه الكآبة ، فلما بحثت ظروفه تبين أن مبعث هذه الكآبة النفسية التى تخيم عليه هو أنه كان قبل الزواج يحلم بالحب « العذرى » للفتاة التى وقع اختياره عليها لتكون شريكة حياته .**

وكان يستشعر اشمئزازا كلما تصور حبا يشبع رغبات الجسد ! .. ومن هنا كانت الغمامة التى تخيم على نفسه وروحه ! .. ولا شك ان الحب الكامل ، الحب الصحيح ، هو الذى لا يفرق بين هذا النوع من الحب أو ذاك . فليس هناك تعارض بين حب الروح وحب الجسد .. بل ان الأمر على النقيض ، فالتجانس والتوافق بين النزعات الجسدية والميـول الروحية ، وبين العقليات والمعنويات ، هو دليـل الحب الكامل القـوى الصحيح .. فكلما زاد الميـل الجسدى نحو الشخص الذى تحبه ، زاد الامل فى ان تسعد فى الحب . وعلى العكس ، اذا كانت صلة الجسد لا تقوم على دعامات عاطفية قوية ، فان الحب يتعرض لمآزق ومخاطر كثيرة !

واذن فاختيار الزوج يجب ان يكون اختيارا ناضجا ، وليس معنى هذا ان يكون الاختيار قائما على العقل وحده ، بل يجب ان يقوم على اشباع جميع الميول والرغبات التى تضطرم بها النفس البشرية . ومن الواجب على الراغب فى الزواج الحذر من بعض الافكار الخداعة التى تقـول بوجوب البحث عند الزواج عن الشخص الذى يشبهه فى رغباته وميوله كل الشبه. فهذا خطأ كبير، بل –على النقيض– يجب أن يكمل الزوجان أحدهما الآخر لا أن يتشابها كل الشبه . ويجب ان يكون التجانس قائما على اساس ان فضائل احدهما تفيض فتخصب فضائل الآخر ..

كذلك يجب ان لا نخلط بين اشكال الحب المختلفة ، كأن نخلط مثلا بين مسلك الزوج كزوج أو الزوجة كزوجة من ناحية ، ومسلك الأم كأم والابن كأبن من ناحية أخرى . **فهناك نساء يقمن مع الازواج بدور « الامهات » ، فلا يضفين على الزوج حنان الزوجة بل حنان « الأم » فى الوقت الذى يجب فيه ان يكون الزوج هو الحامى لزوجته والمدافع عنها ، كيما يؤدى دوره الطبيعى فى الحياة الزوجية**

وكثيرا ما يتخيل المرء ، وهو يفكر فى الزواج ، صعوبات تصـده عنه وتخيفه منه ، وهذه الصعوبات مبعثها احساس عجيب بالشر وتوقع له قبل وقوعه ! وقد ضرب « تريستان برنار » مثلا لهذا النوع من الناس فقال : « عرفت رجلا تقدمت به السن دون ان يتزوج ، فلما استوضحته السبب أجابنى بأنه يخشى اذا ما تزوج أن تستبد به تبـاريح الألم اذا ماتت زوجته ! .. هذه الزوجة التى لم يعرفها بعد !! »

فمن الخير ان لا نسمح بهذه المبالغات التى تنغص علينا عيشنا وتحرمنا لذة الرضى والقناعة . فالرغبة فى الكمال حسنة ولكن على شرط أن يأتى هذا الكمال بالتدريج . وكم من الناس حكموا على أنفسهم بالعقـم لانهم

رغبوا فى أن يأتيهم الكمال بغير ابطاء ودفعة واحدة ؟ فكانت النتيجة أن تعذر عليهم بلوغه على النحو الذى يتخيلونه ويتمنونه .. فبقوا حيث هم ، وفقدوا كل شىء ؟!

فعلينا اذن أن نؤمن بفكرة النجاح المتدرج المستمر ، غير المحدود .. وان نتسلح بالشجاعة الكافية التى تمكننا من غزو ميادين الكمال المنشود غزوة بعد غزوة !

ومن الواجب أن نتقى شر الافراط والتفريط معا فى هذا الصدد . فهناك شر ينجم عن الرخاوة والترهل والتفريط فى الكفاح .. كما ان هناك شرا ينجم عن عدم التسليم واللدد فى العناد ، فى كفاح لا نفع منه ولا جدوى!!

ويجب ان لا ننظر الى الحب بعين الانانية ، شأن ذلك الشاب الذى يريد من الفتاة التى يحبها أن تبذل له النهاية القصوى فى كل شىء ، لارضائه ، دون أن يكلف نفسه عمل شىء من أجلها مقابل ما تبذله فى سبيله..فان الحب لا ينجح ولا يزدهر ، جسديا وروحيا معا ، الا اذا كان متبادلا ، متكافئا فى كل شىء !

المرحلة الثالثة : مرحلة الزواج

◆ **أسفرت** الابحاث العديدة الدقيقة التى أجريت فى معهد « سان برنار » وغيره من المعاهد ، عن ان اكثر الاولاد الذين يصادفون صعابا عاطفية أو اخلاقية فى حياتهم ، هم الاولاد الذين ولدوا فى أسر مفـــككة ، أو من زوجين على شقاق !

وقد قال لاروشفوكو : « ان هناك زيجات حسنة ، ولكن ليست هنـــاك زيجات ممتعة ! » .. ومع أنه من الممكن دحض هذا القول ، الا أنه من الحقائق الثابتة ان من الزيجات التقليدية الفاشـــلة ذلك النوع من الزواج الذى يبدأ بشهر عسل مثالى ، ويستمر فى « روتين » الحب والتفاهم الكامل بين الزوجين ، حتى ينتهى به هذا « الروتين » الى تبلـــد عاطفى مطبق !

ان نجاح الحياة الزوجية صرح لا يتم بناؤه فى يوم اتمام عقد الزواج .. فهو عمل يتم رويدا رويدا طيلة حياة الزوجين وما يتخللها من محن وآلام .. وفشل بعض الزيجات راجع الى أن الزوجين يغفلان ضرورة التدرج فى بناء الاسرة . ذلك ان من الضرورى ان يعرف الزوجان نفسيهما تمام المعرفة ليتمكنا بعد ذلك من معرفة كيف يحب أحدهما الآخر .. ومن المهم أن ابين هنا أن « شهية » الرجل الجنسية أعنف واكثر تجددا منها عند المرأة .. وان « الرغبة » عند المرأة اكثر غموضا وأقوى معنويا منها عند

الرجل .. فالتفاهم « الجسدى » بين الزوجين لا يتحقق معنويا دائما بصفة مباشرة ، وذلك لاختلاف مزاج الزوجين . فالامتزاج الكلى بينهما يتم رويدا رويدا مع الزمن ..

ومن الملاحظ والمشاهد انه عند وجود صعوبات فى الاسرة حول تربية الاطفال ، فغالبا ما تكون هذه الصعوبات نتيجة خلاف « جسدى » أو معنوى بين الزوجين !

وعليه فيمكننا ان نقول بان الطفل الذى يوجد فى ظروف تربوية ملائمة، هو الطفل الذى كونته المتعة نطفة ، وغلفته السعادة جنينا ، وخلقه الألم وليدا ، واستقبله الفرح بذراعين مفتوحتين !

واذا قلنا « الطفل الذى خلقه الألم وليدا » فاننا نعنى ما نقول . ذلك لأن الألم الذى تحسه الأم فى الوضع يخلق عروة عاطفية وثيقة بين الأم التى تألمت والوليد الذى جعلها تتألم ! .. والفترة التى تسبق مولد الطفل لا تنجح الا اذا أحب الزوجان اثناءها أحدهما الآخر حبا متأججا !

فلتحرص الزوجة على اغواء زوجها !

◆ **ومن** الطبيعى أن نضع موضع الاعتبار الظروف المالية لكل بيت .. الا انه من المستحب ان تنفق الزوجة على زينتها بذوق واعتدال حتى تسيل لعاب الرجل باستمرار .. فهذا أفضل من ان تهمل العناية بهندامها وزينتها بدافع الاقتصاد فى النفقات . فهناك نوع من الاقتصاد يكلفك ثمنا باهظا !

ويجب ان يقوم البيت على دعائم قوية من التجانس والتوافق بين الزوجين ، فقد قيل « ان الرجل يقرر .. والمرأة تجعله يقرر ! » . وهذا القول الجميل يحدد دور كل من الزوجين .. وعلينا ان لاننسى أمرا رئيسيا وهو ان كل بيت جديد يجب أن يعنى باقامة قواعد استقلاله المادى ، على أن يكون هذا الاستقلال ماديا اذا أمكن ، وعاطفيا وعقليا فى جميع الاحوال ! مع ملاحظة عدم الاغراق فى الاستقلال الى الحد الذى يجعل منه « انانية مزدوجة بين الزوجين » !

وواجبات أخرى يجب مراعاتها فى هذه الفترة : **منها ان نمهد الطريق ونعبده لاستقبال الطفل بفرح .. فكثيرا ما نوجه همنا الى الواجبات الحتمية التى لا غنى عنها .. ولكن أكثر الواجبات صعوبة وضرورة هى التى تتلخص فى وجوب اشاعة الغبطة والسعادة فى جو المنزل قبل ان يدق الطفل بابه .. فان هذا من أصعب الواجبات التى تقع على كواهلنا ، وهو فى الوقت نفسه من امتعها وأسعد الفرص التى تتاح للاسرة ..**

وقد قال « الان » : « ان السعادة فضيلة » .. وهذا صحيح ، لكنهـا واجب فى الوقت نفسه !

فاذا أشعنا الغبطة والسعادة والمرح والسخاء والثقة فى جو المنزل ، فقد عبدنا الطريق أحسن تعبيد لمقدم الطفل ، الذى تتم تربيته على أحسن صورها فى المستقبل اذا استعد كل فرد لاداء دوره المفروض عليه ـ ساعة الولادة ـ على أحسن وجه !

المرحلة الرابعة : مرحـلة ما قبل الولادة

◆ **من** المعروف أن صحة الوالدين فى « لحظة » حدوث الحمل لها تأثير كبير على صحة الطفل . ولكن الذى لا يعرفه الكثيرون ـ وهو مع ذلك ليس أقل صحة ـ هو ان الحالة النفسية التى يكون عليها الوالدان « ساعة الحمل » تؤثر على حالة الطفل النفسية أيضا .. ويمكن القول بأن الطفل الذى ينمو نموا حسنا هو الذى كان أبواه يتحرقان شوقا للحصول عليه !

ولكن « الرغبة » فى الحصول على الطفل لا تضمن وحدها نموه الحسن. فالمعول هنا على « نوع » هذه الرغبة : فقد يتحرق الزوج شوقا « ورغبة » فى الحصول على طفل لكى يعوضه عما يلاقيه من تعاسة فى الحياة الزوجية! وقد تكون « الرغبة » فى المولود قائمة على حب الانتقام ، أى أن نستعمل الطفل اداة تعذيب وانتقام من الآخرين ! .. وهذه « الرغبـة » معيبـة شائهة ، والطفل الذى يأتى ثمرتها لا ينمو نموا قويا .. انما ينمو الطفل ويترعرع كالزهرة المتفتحة اذا كانت « الرغبة » فيـه سليمة نقيـة قوية خالية من اوشاب السرائر ، وأدران الضمائر !

فالطفل يجب أن يشتهى ليكون محرابا مقدسا لحب أبويه . واعظم الفرص المؤاتية لكى نبلغ بتربيته مرتبة النجاح انما تتوقف على الابوين ، اذا كان الطفل ثمرة الثقة ودليل الحب المتبادل بينهما !

وعلينا ان نتجنب ما تعود بعض الناس أن يقـرروه مقدما من تعيين « جنس » الطفل وهل سيكون ذكرا أم أنثى ، فاذا جـاء على نقيض ما يشتهون قوبل بامتعاض ! .. وقد تعمـد الأم فى بعض الاحيان الى اطالة جدائل شعر الولد وربطها بشريط أحمر كما تفعل الامهات مع البنـات ، وذلك لانها كانت تشتهى بنتا .. فهذا خطأ كبير لانه يحول بين الطفـل وبين معرفة جنسه وشخصيته الحقيقية !

وفى العدد القادم تقرأ المحاضرة الثانية فى هذا البحث

سكك حديد جمهورية مصر

مواعيد فصل الشتاء عام ١٩٥٤/١٩٥٥

تعلن مصلحة السكك الحديدية الجمهور بأنها أدخلت تحسينات وتعديلات على مواعيد القطارات اعتبارا من أول نوفمبر سنة ١٩٥٤ كما يتضح من الاطلاع على الجداول المعروضة بالمحطات وعلى جداول الجيب التى تباع بها والتى أضيف اليها بيان بأثمان التذاكر فيما بين محطة القاهرة والمحطات الرئيسية .

منطقة سوهاج التعليمية

قلم التغذية ـ اعلان

تعلن المنطقة عن المناقصة الرابعة لتوريد الاغذية لمراكز التموين والمدارس التى لم يتم ترسيتها فى المناقصات السابقة . وقد تحدد يوم الاثنين ١٩٥٤/١٢/١٣ الساعة ١٢ الثانية عشر ظهرا آخر موعد لتقديم العطاءات وفتح المظاريف . وتطلب كراسات الشروط وملحقاتها من المنطقة وثمنها مائة مليم تضاف مائة مليم أخرى لمن يطلبها بالبريد . ولن يلتفت لأى عطاء لا يكون مصحوبا بالتأمين الابتدائى ومستوفيا للشروط .

وللمنطقة الحق فى قبول أو رفض أى عطاء بدون ابداء الاسباب

٩٣٩١

مجلس بلدى بورسعيد

تقبل العطاءات بمجلس بلدى بورسعيد حتى ظهر يوم ١٢/٢٠ سنة ١٩٥٤ عن عملية رصف شوارع المدينة وتطلب الشروط والمواصفات من المجلس على ورقة تمغة فئة الخمسين مليما نظير دفع مبلغ ثلاثة جنيهات خلاف اجرة البريد للنسخة وكل عطاء لا يرفق به تأمين ابتدائى قدره ٢ ٪ من قيمته لا يلتفت اليه

٩٣٣٨

مصلحة البلديات

تقبل العطاءات بمجلس دمياط البلدى حتى ظهر يوم ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٥٤ عن توريد سيارة نقل وتطلب الشروط والمواصفات من المجلس على ورقة دمغة فئة الخمسين مليما نظير دفع مبلغ ٢٥٠ مليما للنسخة وكل عطاء لا يرفق به تأمين ابتدائى قدره ٢ ٠/٠ من قيمته لا يلتفت اليه

٩٣٨١



دائرة معارف الثقافة العالمية

مطالعات

في الكتب والمجلات والموسوعات

ومشاهدات

في المسارح والمعارض ودور السينما

لو انك عنيت بفحص الفيتـــامينات فى غذائك ، لأنقذت نفســك من كثير من الامـــراض التى لا داعى لهـــا



العلم والطب يرشدانك :

اين تحصل على الفيتامينات فى طعامك

لأخصائى استرالى فى التغذية

الفيتـــامينات ليست خرافة !

◆ **يسود** العالم اليوم وعى مرهف بصدد « الفيتامين » ، فاذا هذا الادراك الذى لم يشتد ويقوى الا فى العقدين الأخيرين من القرن العشرين، يصبح طابعا لهذا القرن ، فيجعله .. « عصر الفيتامين » !

ومشكلة البحث عن موارد الفيتامينات مشكلة ظهرت من فترة غير بعيدة ، حين اثبت العلم ان ثمة مادة أخرى تمس اليها الحاجة – الى جانب المواد الدهنية والنشوية – لصون صحة الانسان ونشاطه . واذا كان الكربون ، والنتروجين ، والاوكسيجـــين ، والهيدروجين ، والكبريت وغيرها من العناصر ، ضرورية للتفاعلات الكيماوية العضوية اللازمة للجسد .. لكنها ليست كل شيء ، بل ان هناك عاملا آخر غامضا ، وضروريا ، جمعت ظواهره تحت اسم « مواد غذائية اضافية »

ومن الواضح أن الانسان البدائى أشبع بعض حاجته الى الفيتامينات ، بارشاد من العناية الالهية .. اى انه كان يشبعها بوحى من الفطـــرة والسجية ، ومن العجيب حقا – ان لم يكن من المحزن – ان كثيرا من الأقوام فى عصرنا الحاضر ما يزالون يعتمدون على هذا الوحى ..

وقد بعث احد الأطباء من عهد غير بعيد الى مستشفى « المتروبوليتان » – بنيويورك – بمريض كان يعانى من آثار سوء اختيار أصناف الغذاء الذى يتناوله .. اذا كانت تغذيته تقتصر على الخبز والزبد وبعض المربى والشاى. واذا كان هذا القوت قد اختير عن قصد ، فان صاحبه اغفل باختياره بعض المستلزمات الاساسية . ولو سلمنا بأن المريض كان يجد الشبع فى هـــذه الاصناف – من حيث الكمية – فانه بذلك لم يكن يتيح لجسمه الأنواع اللازمة من الأغذية ..

لقد كان أسرى الحرب معذورين ، لان حرمانهم من الغذاء المناسب كان على الرغم منهم ، وفقا لارادة آسريهم . غير أن المهارة والعلم قاما بالمعجزات فى سبيل توفير ما كانوا يحتاجون اليه من فيتامينات ، مدفوعين بالرغبة فى تحقيق هذه الغاية .. وكان لشجاعة الأسرى وحسن حيلتهم نصيب وافر فيما تم تحقيقه ، اذ استطاعوا - تحت اعين العـــدو ، وفى الظروف الشاذة التىكانوا يعيشون فيها فى بلاد الغربة - ان يظفروا بالمواد الضرورية اللازمة ! ولو قيل - لتبرير هذه الاساءة الى صحة الاسرى - ان العدو كان يوفر لأسراه قدرا من الغذاء كافيا لاشباعهم ، لقيل - ردا على هذا - ان هناك عددا كبيرا من الاصناف الغذائية الشائعة كان يمكن ان يوفر لهم الفيتامينات المطلوبة ، لكنه لم يقدم اليهم ..

أثر الفيتامين فى البصر والاعصاب !

◆ **ولو** اننا تناولنا الفيتامينات تبعا لترتيبها الابجدى ، لوجدنا ان فيتامين «ا» يتوفر فى الزبد واللبن والبيض والزيوت المستنبطة من أكباد السمك .. وهذه هى الاغذية التى تساعدك ان شئت ان تعجل بتنميـة مقاومتك للعدوى الناشئة من الامراض المختلفة . اما نقص هذا النوع من الفيتامينات فيؤدى الى اثر عكسى ، ويثير بعض الاضطراب فى البصر ، اكثرها شيوعا ان تعشى العينان .. اى لا تبصران بالليـــل .. **ولقد زاد المشرفون على تموين اسلحة الطيران من كميات الجزر فى اغذية الطيارين ، نظرا لانها غنية بالكاروتين ، وهى مادة توفر فيتامين «ا» ، وذلك للتغلب على آثار العشى لدى الطيارين والعاملين فى الطيران ، فان حدة البصر لا تقدر بقيمة لدى هؤلاء الناس ، فى جميع الاوقات ، وخاصة فى الليل .. وقد ادى تقدم العلم الى معرفة حقيقة هامة ، هى ان امتصاص الجســم للجزر المطهى بمواد دهنية ، أجدى فى القيمة مما لو تناوله الفرد نيئا أو مسلوقا ..**

و « فيتامين ب » اسم يضم انواعا كثيـرة ، منها «فيتامين ب ١ » ، وفيتامين ب « المركب » .. والاول يصون الاعصاب ، ويؤدى نقصه الى مرض « البرى برى » والى الالتهابات الحادة للاعصاب .. لهذا فمن الممكن ان يعتبر الخبز قوام الحياة فعلا ، لان الخبز « الكامل » ، اى الخبز المحتوى على قشرته ولبه معا ، يشتمل على نصيب وافر منفيتامين ب .. على أننا نجد قدرا أوفر من هذا الفيتامين فى : الخميرة ، واللبن ، واللحـم ، والبيض .. كما يلاحظ ان المحار ، ولحم الخنزير المقدد ، وبطارخ السمك، تساعد على التخلص من التهابات الاعصاب فى بدايتها ، بالنسبة للأكولين ، نظرا لاحتوائها على نسبة من هذا الفيتامين ..

ويتألف فيتامين « ب ٢ » من مجموعة متحدة من الجزئيات المركبة ، ويمكن تمييز اثنين من هذه الجزئيات بلونهما : « فالريبوفلافين » أصفر اللون ، وفيتامين « ب ١ » احمر .. بيد ان الجزئيات الأخرى يصعب تمييزها ، ومنها حامض النيكوتين ، والبايريدوكسين ، والبيوتين ، وحامض البانتوثنيك والفوليك .. ومعروف ان الكبد وخميرة البيرة هما خير موارد هذه المواد .. كما يستطيع الذين لا يحبون اللحم الضأن المحمر أو لحم الخنزير ان يجدوا هذه المواد فى الخضر وعصائرها ، على شريطة ان يتناولوا كميات كافية منها .

وقد وجد ان اصناف الغذاء العادية لا تشتمل عادة على الكفاية من مجموعة فيتامين «ب» ، لذلك يحسن ان يتخذ المرء الاحتياط الذى يكفل له السلامة ، بأن يضم الى غذائه العادى اصنافا تشتمل على فيتامين «ب» ، وبذلك يتفادى احتمال اصابته بالانيميا الخبيثة ، وهى نوع من فقر الدم المستفحل ، ينتشر بين المسنين بوجه خاص ، وقد فقد فظاعته ـ بالنسبة للمرضى والأطباء على السواء ـ مذ أمكن التوصل الى فيتامين «ب ١٢» .

ومن الطريف حقا ان نعرف ان اهل الصين ـ الذين يعيب عليهم الغرب اعتمادهم فى العلاج على ما يسمى « طب البركة » ـ قد ادركوا قيمة «الكبد» منذ مئات السنين ، وقبل أن يعرف الأساس الكيمياوى لهذه القيمة.

فوائد فيتامين « ج » و « د »

◆ ولا يزال « السبانخ » عظيم القيمة لدى اولئك الذين يعرفون اثرها فى تفادى مرض « الاسقربوط » .. وللحصول على اقصى فائدة من السبانخ يجب ان يؤكل نيئا ، لأن الطهو يخفض نسبة « فيتامين ج » فيه بنسبة تتراوح بين الثلث والثلثين . ومن حسن الحظ ان معظم الفواكه غنية بالفيتامين ، لا سيما الموالح . وكم من فوائد عظيمة لليمون ، فهو يساعد على تجنب آلام الأطراف والمفاصل ، ونزيف اللثة ، والكلل ، ونقص الجير فى العظام .. الخ

والذين يحبون الشمس يستطيعون ان يطمئنوا الى توفر « فيتامين د » فى اجسامهم ، لأنه يتكون فى انسجة الجسم دون حاجة الى تناوله مع الاغذية ، بتفاعل اشعة الشمس مع مادة « الارجوستيرول » التى توجد على مقربة من سطح بشرة الجسم . كذلك يتوفر فيتامين « د » فى اللبن والزبد والبيض والزيوت المستخرجة من السمك ، وبفضل وفرة هذه الأطعمة يمكن أن لا تقوم قائمة لأمراض الكساح ولين العظام وتشوهها .

ويقوم الخس الطازج وزيت الاذرة الشامية الصفراء ، بدور عظيم الاهمية فى توفير « فيتامين هـ » . وقد قل الاتجاه الى استخدام هذا « الفيتامين »

ـ الذى لا يقبل الذوبان الا فى الزيت ـ كمقو لأنسجة الجسم ، كما تضاءل استخدامه لعلاج اضطرابات القلب . ومن الطريف ان نعلم ان انسجة اجساد النساء تحتوى على نسبة من « فيتامين هـ » تفوق ما لدى الرجال !

فيتامين « ك » ونزيف الدم !

◆ **وهناك** أخيرا ـ وليس آخرا ـ « فيتامين ك » الذى نعتمد عليه فى علاج الظاهرة الهامة المعروفة بعدم تجلط الدم .. وهى من الضرورات الرئيسية لحياتنا ، اذ لولاها يظل الدم ينساب من أجسامنا بسبب اتفه جرح يصيبنا !

وقد كان آل « هابسبورج » ـ اباطرة النمسا ـ مصابين بالنزيف كمرض وراثى ، بحيث كانوا اذا اصيب الواحد منهم بجرح ، عجز الدم عن ان يتجلط ، فيظل يتدفق من الجسم ويعرض حياتهم للخطر .. وبفضل توصل الكيماويين الى تركيب هذا الفيتامين كيماويا ، وابتكار الاساليب الحديثة لنقل الدم ، اتسع نطاق الأمان لحياة البشر الى درجة كبيرة ..

وفى وسع الناس ان يعالجوا أنفسهم كالأطباء تماما ، وفى وسع اولئك الذين اوتوا اهتماما وفطنة فى مسائل العناية بالتغذية ، ان يجدوا فى الفيتامينات خير سلاح ضد المرض . والواقع أن كل ما يحتاجون اليه هو غذاء بسيط يتألف من الجبن والخس والطماطم ، والخبز الكامل ـ الذى لم تفصل عنه الردة ـ والزبد ، مع برتقالة ، وموزة ، وزجاجة لبن . وكل ما عليك هو أن تتناول هذا الغذاء فى فيض من أشعة الشمس ـ على أن لا تنسى ان تتناول نصيبا من اللحم الضأن المحمر بين آن وآخر ـ ثم دع الفيتامينات تعنى بنفسها .. وبك !

هل انت مسرف فى القلق ؟

اختبر نفسك

◆ **كل** انسان يستسلم الى القلق الى حد ما ، فهذا أمر طبيعى ، فلولا القلق الحكيم بصدد المستقبل ما كانت هناك قوانين لصون سلامة الناس ، ولا نظم للتأمين وللمعاشات ، ولا اعانات تمكن الفقير من أن يتعلم ، ولا .. ولا ..

على انه لا حاجة بنا الى ان نجعل من القلق مصدرا للاضطراب والانزعاج ، فإن القلق لا يغدو مصدرا للازعاج الا حين نتمسك به بلا داع ، وفي هذه

الحال نتوقف درجته على طباعنا .. اذ ان كل امرىء يرث عند مولده قدرا من الانفعالات العاطفية ، قد تكون من النوع القلق ، وقد لا تكون .. ويضاف الى هذه الانفعالات الموروثة ، ما يلقاه الكثيرون فى صغرهم من تجارب تجعلهم دائما فى خوف من الحياة وعدم اطمئنان اليها ..

فان شئت ان تعرف ما اذا كنت مسرفا فى قلقك أو معتدلا ، فأجب عن هذه الاسئلة :

١ – **هل** تظل تتقلب فى فراشك تستعرض احداث اليوم قبل ان يواتيك النوم ؟

٢ – **هل** تشعر حين تستيقظ فى الصباح بتعب أو بانقباض وخوف مبهم ؟

٣ – **هل** تراودك الاحلام المزعجة كثيرا ؟

٤ – **هل** تعانى من سوء الهضم ، والصداع ، والارق ؟

٥ – **هل** تعانى من مركب نقص يجعلك تكره أن تقابل الغرباء الذين لا تعرفهم ، او ان تنافس سواك فى مضمار الحياة ؟

٦ – **هل** تطيل التفكير فى أخطائك وزلاتك ، وتضخم لنفسك معانيها وقيمتها ؟

٧ – **هل** لك فى الحياة نظرة قاتمة .. اى هل تميل للاكتئاب والتشاؤم ؟

٨ – **هل** تنزعج حين تبدو اولى اعراض المرض عليك او على افراد اسرتك ؟

٩ – **هل** ضيعت على نفسك فرصا لأنك خفت ان تنتهزها ؟

١٠ – **هل** يصور لك الوهم مصائب لا تحدث قط ، وهل تتحسر وتندم باستمرار على اعمال اتيتها فى الماضى ؟

من أى فريق أنت ؟

◆ **اذا بلغت ((نعم)) فى اجاباتك سبعة أو ما يزيد ،** فأنت رجل غير مطمئن النفس ، سهل الاستثارة والاستفزاز . لذلك يجدر بك ان تحزم أمرك على اتباع القواعد الاربع المذكورة فيما بعد لتخفف من حالك ..

أما اذا كان عدد اجاباتك بـ ((نعم)) يتراوح بين ثلاثة وستة ، فلا بأس عليك ، ولكنك لا تزال تعنى بما لا داعى للقلق من اجله ..

واذا كانت اجابتك بـ ((نعم)) عن سؤال او اثنين ، فأنت رجل عادى .. وليست الحالة أو الحالتان اللتان اجبت عنهما بـ ((نعم)) سوى رد فعل للتوتر الذى تحدثه الحياة الحديثة .

تغلب على قلقك !

◆ ومن الممكن التغلب على القلق بهذه القواعد الاربع :

١ - اتبع برنامجا يوميا صحيـا ، تنعم فيه بقسط كاف من الراحة والاستجمام ، حتى تشعر بأنك فى حالة ذهنية وبدنية جيدة بقدر الامكان ..

٢ - حـاول ان تتجنب الاشخـاص والمواقف التى تسبب لك توترا عصبيا ..

٢ - حاول أن تتجنب الأشخاص والمواقف التى تسبب لك توترا عصبيا ..
البسيطة ، ليتسنى لك تدريجا ان تمارس هذا التحـكم فى المسـائل الكبيرة ..

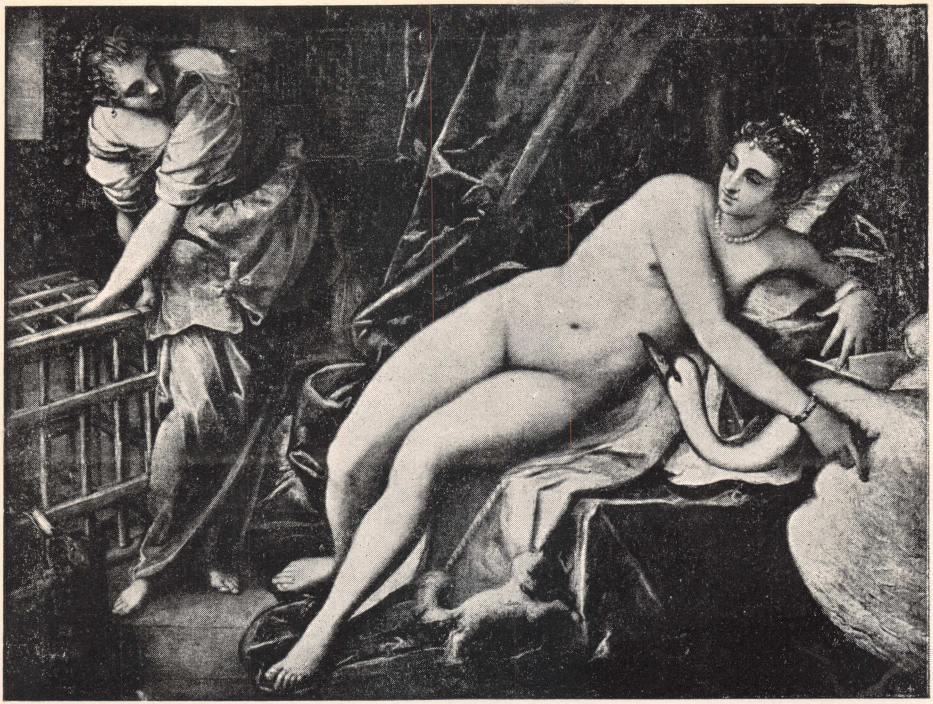
٤ - حاول ان تكون عمليا ، فتنظر الى الأمور على صـورها الحقيقية ، وتتأمل مشكلاتك فى اوضاعها وقيمتها الصحيحة ..

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

ضاق نطاق هذا العدد عن نشر بقية الموضوعات التى أعدت لدائرة معارف الثقافة العالمية ، وموعدنا بها العدد القادم

مطابع شركة الاعلانات الشرقية



« ليدا » والبجعة (للرسام «تنتوريتو» ، بمتحف «افيزى» بفلورنسا)



بائع الفاكهة (للرسام « كارا فاجيو » ، بمتحف « بورجيزى » بروما)

كتابي

٣ نصائح .. للسعادة

١ - اذا أردت تجنب الخلاف مع شريك حياتك ، فعليك أن تلقاه بعد ساعات العمل بأعصاب هادئة .. فان اكثر الخلافات الزوجية ترجع إلى أن الزوجين يكونان حين يلتقيان فى نهاية النهار متعبين ، مرهقى الأعصاب. لذلك يحسن بالزوجة التى يجهدها عمل البيت ان تحظى بساعة راحة قبل عودة زوجها .. والزوج الذى ينهمك فى عمله طول النهار دون أن ينال فترات قصيرة من الراحة يعود الى بيته فى النهاية مرهق الأعصاب ، فيرى الحياة المنزلية والأطفال جحيمًا لا يطاق !

٢ - اذا كنت تشكو من الأرق فعليك ان تصور لنفسك حين تلجأ إلى فراشك أنك قد حزمت مشكلاتك جميعًا والقيت بها خارج مخدعك ، فاذا حاولت أى مشكلة منها أن تتسلل إلى ذهنك ، فذكّر نفسك بأنك قد طردتها من الحجرة ، وأنها يجب أن تبقى خارجها إلى الصباح !

٣ - واذا كنت تشكو من الشعور بالقلق فالعلاج الوحيد هو أن تواجه أسباب القلق بصراحة وتسائل نفسك : ما الذى تخشى أن تفقده ؟ وما الذى تتوقع ان يوقع بك الضرر ؟ وهل حظك من ذلك "الخطر" المحتمل أسوأ من حظوظ الألوف من البشر ؟.. فاذا فرغت من هذه "المواجهة" فلتروض نفسك على أن تحيا ليومك فقط ، وأن تدع الغد إلى حينه ، اذ ما حاجتك الى أن تشقى به وهو لم يحن بعد ؟

(من كتاب "أعصابك المرهقة" ، أحد محتويات هذا العدد)

شركة فن الطباعة ٥٨١٤٩